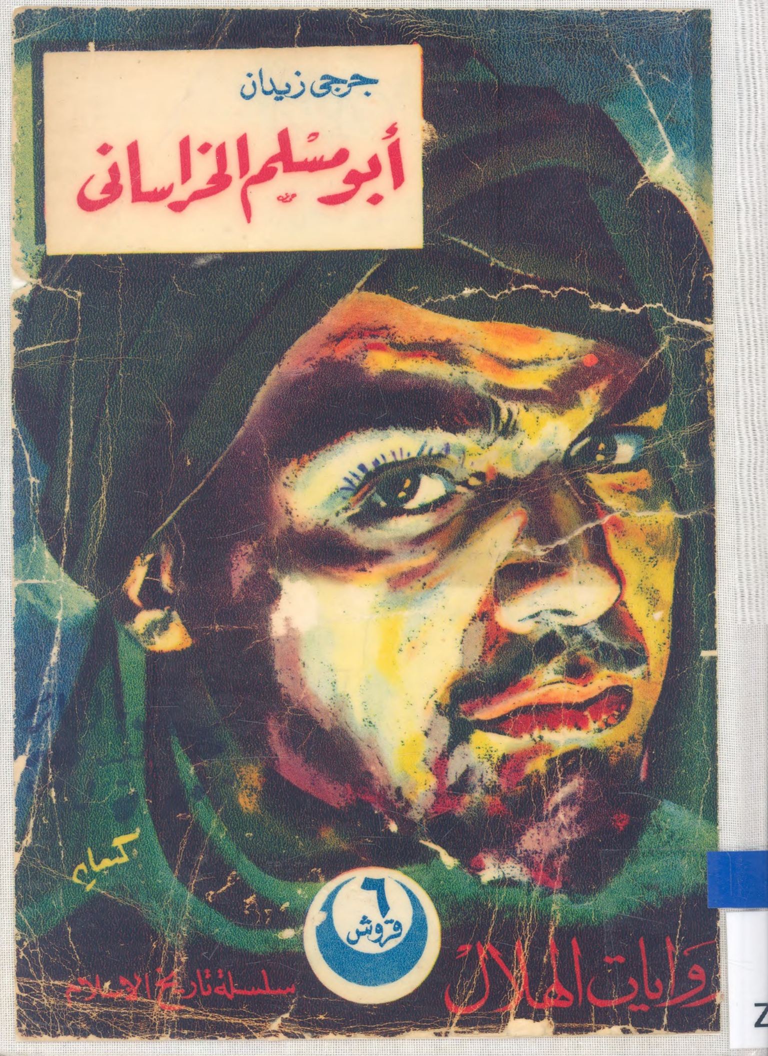

جرجي زيدان
أبو مسلم الخراساني
كمال
٦ قروش
روايات الهلال
سلسلة تاريخ الإسلام

روايات الهلال

صاحباها ورئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكرى زيدان

مدير التحرير : طاهر الطناحى

العدد ١٠ * اكتوبر ١٩٤٩ * ذو الحجة ١٣٦٩

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٦٠ مليما — فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ٨٠ قرشا سوريا — فى لبنان ٨٠ قرشا لبنانيا — فى فلسطين ٧٥ ملا — فى شرق الاردن ٨٥ ملا — فى العراق ٨٥ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٦٠ قرشا — فى سوريا ولبنان ٨٠٠ قرش سورى أو لبنانى — فى فلسطين وشرق الاردن ٨٠٠ مل — فى العراق ٨٠٠ فلس — فى المملكة العربية السعودية ٨٠ قرشا صاغا او ١٧ شلنا — فى الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا والمكسيك والارجنتين ٦ دولارات — فى سائر انحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٦ / ٢٠ شلنا

طريقة الدفع

فى مصر والسودان : نقدا او بموجب اذونات او حوالات بريدية أوشيكات — فى خارج القطر المصرى : بموجب حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order) او الى احد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبول اذونات البريد او العملة الاجنبية

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع المبتديان — القاهرة
المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر
التليفون : ٤٦٠٦٤ (ثمانية خطوط)
الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

كلمة التحرير

هذه معجزة قائد شاب لم يتجاوز الرابعة والعشرين ، هدم دولة ، وبنى دولة ، وحطم عرشا هيمن فى الشرق العربى ألف شهر كاملة ، وأقام عرشا تألق فى عاصمة العراق مئات السنين، فاتسع سلطانه ، وامتدت حضارته بين المشرق والمغرب

وهو فى حياته الطموحة ، وشجاعته واقدامه وعزمه وايمانه ، مثل بارز للشباب الطموح ، وعبرة لطلاب المجد والعلى . فقد سما أبو مسلم الخراسانى ، بهمتـــه وجده ، فاختير وهو فى العشرين من عمره قائدا للدعوة العباسية ، وتقدم على شيوخ سبقوه عدة سنوات بالعمل والمال ، وبرهن على أن الارادة اذا صحت تحقق الهدف المستحيل ، وان الايمان اذا صـــدق يبلغ بالانسان أقصى ما يريد

ان أبا مسلم لم يتعلم فى جامعة ، ولم يتلق الاخلاص لفكرته والايمان بدعوته عن استاذ ، ولكنه رأى أن أهل بيت النبى محمد احق بالخلافة ، وأن بنى امية قد اغتصبوها ، وأفسدوا الملك والسلطان ، فنهض يحاربهم ، وتزعم قيادة الدعوة العباسية حتى نجح فيهـا فقـامت دولة العباســيين ، وزالت دولة الأمويين . ولكن نجمه الساطع ما لبث بعد سنوات أن هوى ، وانتهت حيـاته وهو فى عنفوان الشـبابـ بمأساة ساقتها له الدسائس واطماع ذوى السلطان

تلك هى رواية ابى مسلم الخراسانى: مفخرة ومأساة، وموكب لامع من البطولة والنجـاح ، ثم مأتم محزن من مآتم الغــدر والطغيان . وهى أول رواية من عصر الدولة العباسية تكشف عن ميلاد هذه الدولة الى عهد أبى جعفر المنصور . أما الرواية التالية التى تصدر فى ١٥ نوفمبر القادم فهى « العباسة أخت الرشيد » وتشتمل على نكبة البرامكة وأسـبابها ، ويتخللها وصف مجالس الخلفاء وحياتهم فى قصورهم ودواوينهم وأوقات فراغهم ، وما بلغته الدولة العباسية من أبهة وحضارة وعظمة فى عصر هرون الرشيد . وهو ذلك العصر الذى ازدحم برخاء الحياة وزينة الدنيا وجمال الحضارة ، وأحلام الزمان

أبو مسلم الخراسانى

تشتمل على سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية
وسعى أبى مسلم الخراسانى فى تاييدها ، الى قتله فى خلافة
المنصور ، مع وصف عادات الخراسانيين واخلاقهم وغير ذلك

لمؤسس الهلال

جرجى زيدان

١٨٦١ ـ ١٩١٤

دار الهلال بمصر

أبطال الرواية

ابراهيم الامام	: صاحب الدعوة العباسية
* ابو مسلم الخراسانى	: عبد الرحمن بن مسلم
* ابو العباس عبد الله بن محمد	: أول الخلفاء العباسيين
* ابو جعفر المنصور	: ثانى الخلفاء العباسيين
* نصر بن سيار	: امير خراسان
* دهقان مرو	: أحد الامراء الفرس
* جلنار	: ابنة دهقان مرو
* مروان بن محمد	: آخر الخلفاء الامويين
* خالد بن برمك	: قائد عباسى
* ابو سلمة الخلال	: ممول الدعوة العباسية

مراجع هذه الرواية

هذه هى المراجع التى اعتمد عليها المؤلف فى تأليف الرواية ووقائعها التاريخية

* تاريخ الطبرى
* تاريخ ابن الاثير
* « ابن خلكان
* « الاصطخرى
* « التمدن الاسلامى
* مروج الذهب للمسعودى
* معجم الأدباء لياقوت
* الأحكام السلطانية

فذلكة تاريخية

تختلف دولة بنى أمية عن دولة الخلفاء الراشدين فى أن السلطة تحولت فيها من الخلافة الدينية الى الملك السياسى . كما أنهـا تختلف عن الدولة العباسية التى خلفتها فى انها كانت عربية خالصة ، شديدة التعصب للعرب . ولذلك كان أهل الذمة وغيرهم من سـكان البلاد الأصليين ، حتى الذين أسلموا منهم ، يعاملون من خلفاء بنى أمية وعمالهم ، ومن العـرب عامة فى ذلك العهـد ، معاملة العبيد ، وكانوا يسمونهم « الموالى » ويعدون أنفسهم ذوى فضل عليهم لأنهم أنقذوهم من الـكفر . وكان بعض العرب اذا مرت بهم جنازة مسلم ، سألوا : «من هذا ؟» . فاذا قيل : «انه قرشى» . قالوا : « واقوماه ! » . واذا قيل : « هو عربى » . قالوا : « وابلدتاه » . فأما اذا علموا أنه من المـوالى فكانوا يقولون : « هو مال الله يأخذ ما يشـاء ويدع ما يشاء ! » . وكانوا يحرمون الموالى من الكنى ، ولا يدعونهم الا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون فى الصف معهم ، ويسمونهم العلوج . وفى كتاب الموالى للجاحظ أن الحجاج لما قبض على الموالى الذين حاربوا مع ابن الأشعث ، أراد أن يفرقهم حتى لا يجتمعوا .. فنقش على يد كل منهم اسم البلدة التى وجهه اليها . وقد تولى ذلك النقش رجل من بنى عجل . فقال الشـاعر .

وأنت من نقش العجلى راحته　　وفر شيخك حتى عاد بالحكم

ومن أجل ذلك كان سكان الدولة الاسلامية غير العرب ، فى عهد بنى أمية يودون التخلص من دولتهم، وكانوا أول المحبين لمن يدعو الى غيرها أو يسعى فى اسقاطها

ولولا دهاء بعض خلفائها وأمرائها لم تطل مدة حكمها ، فقد قامت بدهاء معاوية وأنصاره . من أمثال زياد بن أبيه ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وما بايع الناس معاوية الا رهبة من سيفه أو رغبة فى عطائه ، اذ

كان الاعتقاد السائد أن أهل بيت النبى أولى بالأمر • ثم توالى على دولة الأمويين أحوال كثيرة ، أعانت على بقائها أكثر من تسعين سنة

وكان أهل بيت النبى أثناء ذلك يطلبون الخلافة لأنفسهم ، وهم فئتان كبيرتان : فئة ترجع بنسبها الى الامام على ابن عم النبى وهم العلويون ، وفئة ترجع الى العباس بن عبد المطلب عم النبى وهم العباسيون ، وتسمى شيعتهم الراوندية • والعلويون فئتان : فئة تطالب بالخلافة لأبناء على من زوجته فاطمة بنت النبى ، وهم : الحسن ، والحسين ، ومن تسلسل منهما •• وفئة تطلبها لابنه محمد بن الحنفية • وكان دعاة محمد هذا يدعون الكيسانية

ولم يطالب العباسيون بالخلافة الا فى أواخر دولة بنى امية • أما العلويون فما انفكوا من زمن معاوية يطالبون بها فيرسلون الدعاة الى أنحاء المملكة الاسلامية يدعون الناس اليهم ، وكثيرا ما اجتمع حول بعضهم ألوف من الأنصار والأشياع ، ولكنهم لم يفلحوا • حتى اذا انقضى القرن الأول وأخذت دولة الامويين في الاختلال، كان الكيسانية قدكثر دعاتهم فيالعراق وخراسان • وكانوا يدعون لأبى هاشم بن محمد بن الحنفية ، وكان أبو هاشم قد أسر الى أتباعه أنه سيحول الدعوة الى آل العباس • فلما علمت شيعته بموته ، قدموا الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وبايعوه •• فبعث الدعاة سرا الى الآفاق فى السنة المائة للهجرة • وكان أكثر الذين أجابوا الدعوة من الموالى غير العرب ، ولاسيما فى خراسان لبعدها عن مركز الخلافة الأموية بدمشق

وفى سنة ١٢٤ هـ توفى محمد بن على صاحب الدعوة ، فبايع الناس لابنه ابراهيم وكانوا يسمونه الامام • وما زال أمرالعباسيين يقوى ، وأمرالأمويين يضعف ، حتى انقضت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، وكان قائد شيعة العباسيين شابا فارسيا اسمه أبو مسلم الخراسانى هو بطل هذه الرواية



جلنار

كانت بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر قبل الفتح الاسلامي مؤلفة من المدن والقرى ، وكان رجال الحكومة يقيمون في المدن ويجعلون فيها كل قوتهم ، وأما القرى فكانت فى جوزة جماعة من أشراف الفرس يعرفون بالدهاقين على نحو ما كانت عليه حال قرى أوربا في عصر الاقطاع ٠٠ حين كانت البلاد فى أيدى الأمراء والأشراف ، وكل أمير منهم يحكم مقاطعة تعرف باسمه ، يحرسها جنده ويحرثها رجاله وهو فيهم الحاكم المطلق ٠ وكان الدهقان ورجاله يحكمون أهل القرى من سكان البلاد الأصليين ، ويعاملونهم معاملة الأرقاء ٠ وكان هؤلاء خليطا من الشعوب الآرية يمتازون بضخامة البدن وبروز الصدر

وقد بقى الدهاقين فى قرى خراسان وجاراتها بعد أن فتحها العرب ، فقد جرت عادة هؤلاء كلما فتحوا مدينة على أن يقيموا بها حامية منهم ٠ أما القرى فكانوا يقرون فيها الدهاقين على نحو ما كانوا عليه فى دولة الفرس ، واستعانوا بهم فى أعمال الادارة ولاسيما في اقتضاء الخراج ، لما كان لهؤلاء من النفوذ العظيم بين أهل البلاد الأصليين ٠ وكان الدهاقين من الجهة الأخرى ينتفعون بتقربهم من الفئة الحاكمة ، ويجتزئون مما كانوا يجمعونه من الخراج ٠٠ فتضاعفت ثروتهم وازداد نفوذهم ٠ على أنهم كانوا يتفاوتون ثروة ونفوذا،فمنهم صاحب القرية أو المزرعة الصغيرة ، وصاحب الرساتيق العديدة والبلاد الواسعة ٠ وكثيرا ما كانوا يتولون الحكومة كالأمراء ٠ لكن بني أمية كانوا يسيئون الى أولئك الدهاقين أحيانا ، اساءتهم الى غير العرب٠ وقد ظل الدهاقين على المجوسية ديانة الفرس القدماء ، وانقضت أيام بنى أمية ولم يسلم منهم الا القليلون

وكان أعظم دهاقين خراسان ، فى أوائل القرن الثاني للهجرة ، دهقان كانت أكثر ضياعه بجوار مدينة مرو ، عاصمة خراسان فى ذلك العهد ، فغلب عليه الانتساب الى تلك المدينة فكان يسمى « دهقان مرو » ٠ وكان له ابنة اسمها جلنار غلبت شهرتها على شهرته ، وقد ذاع ذكرها فى الناس حتي أصبحت مضرب أمثالهم جمالا وتعقلا وأنفة ، فكثر خطابها من الدهاقين والأمراء ٠٠ ولكنها لم تكن تميل الى أحد منهم ، ولم يكن أبوها يعارضها

وكان دهقان مرو هذا ، يقيم بمزرعة له على بضعة أميال من العاصمة ،

وله قصر فخم تأنق في بنائه ، وأنشأ حوله الحدائق وفيها الأشجار المثمرة وأصناف الرياحين والأزهار،وسرح فيها الطيور الداجنة النادرة والطاوس والديكة الهندية وغيرها ، وأقام حول القصر والحديقة ســـورا عاليا منيعا كأسوار القلاع ٠وجعل خارج السور منازل رجال الحاشية والأعوان،وبينها أعشاش يقيم بها الحراثون والخدم

ولم يكن يقيم معه بالقصر الا ابنته ونساؤه وخدمه ، ولم يكن له ولد ذكر وهــــذا القصر مبنى على نمط خاص يحسبه المقبل عليه هيكلا من هياكل النار التي كان الفرس يصلون فيها قبل الاسلام٠ولعله كان كذلك من قبل، فلما أسلم أصحابه حولوه الى قصر للسكن وأنشأوا حوله الحديقة والسور٠ ولذلك كان المقبل عليه يرى أساطين ضخمة في صدره من الرخام ، عليها نقوش فهلوية وصور بعض الأبطال وبعض نصوص الأدعية أو الصلوات المجوسية ٠ وتحيط هذه الأســاطين برحبة أرضها من الرخام مرتفعة عن أرض الحديقة ، وفي سقفها نقوش ملونة تمثل أســاطير المجوس من مواقع حربية أو حوادث دينية ٠ وكانوا يسمون تلك الرحبة قاعة الأساطين أو القاعة الكبرى ٠ ووراء القاعة غرف كبيرة مفروشة بأثمن الأثاث من الديباج والابرسيم على الطراز الفارسي

وفي ليلة من ليالي رجب المقمرة من سنة ١٢٩ هـ . كان الدهقان جالسا في قاعة الأساطين هذه ، وقد فرشت بالسجاد . ووضعت عليه الوسائد المزركشة بالذهب ، وفي وسط القاعة شبه منضدة من خشب الصـــندل المرصع بالأصداف الملونة . وعلى المنضدة تمثال صغير من الذهب لفارس فارسي عليه الدرع ٠ وعلى رأســه الخوذة والى جنبه السيف . وعيناه وعينا جواده من الحجارة الكريمة ٠ وعلقوا في سقف القاعة مصــابيح يتوسطها مصباح كبير ، وقد أناروها في تلك الليلة كالعادة ، ولكن القمر أغناهم عن نورها

وكان الدهقان متصـــدرا القاعة على وسادة من الخز ، وعليــه قباء من الديباج الأحمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الجلد الملون تغطيها عمامة صــغيرة من نسيج الكشمير يغلب فيها اللون الأبيض ٠ وكان القبــاء مبطنا بالفرو لأنهم كانوا في فصــل الربيع ٠ وكان الجو باردا ، فالتف الدهقان بقبائه حتى غطى الفرو عنقه ومعظم لحيته ٠ وكان كبير الوجه جاحظ العينين ضخم الأنف أشقر الشعر ، وقد خالطه الشيب قليلا فيحسبه النــاظر اليه في الخمسين من عمره وهو فوق الستين ٠ وبعد أن جلس هناك وحـــده نحو ساعة ، نهض فجأة ودخل غرفة ابنته،فنهضت الخدم لقيامه ووقفوا احتراما له

وكانت جلنار قد ذهبت الى غرفتها بعد العشــاء وبعثت الى ماشطتها . فجاءتها وأعانتها على خلع ثيــابها ونزع حليها ، ثم جلست بجانب فراشها تحدثها ريثما تنــام ٠ وانما عجلت جلنار بالذهاب الى الفــراش لكي تخلو

بماشطتها وتفضي اليها بما في نفسها ، وهي على جانب عظيم من الجمال مستديرة الوجه ، ممتلئة الجسم ، طويلة القامة معتدلتها ، بيضاء البشرة مع حمرة تتلألأ تحت البياض ، سوداء الشعر مسترسلته نجلاء العينين كحلاءهما ، تفيض جاذبية وحلاوة ·· وكان لها في مقدم الذقن فحصة ، واذا ابتسمت ظهر على جانبي فمها فحصتان هما « الغمازتان »

فلما نزعت عنها الماشطة ثيابها ، ألبستها قميصا من الحرير الوردي ، وحلت شعرها وسرحته بمشط من العاج فاسترسل على كتفيها ، ثم ضفرته ضفيرة واحدة · وكانت الماشطة من أهل الذكاء والتعقل ، أصلها سرية ابتاعها الدهقان في جملة جوار بيض من بعض تجار الرقيق الذين يتجرون بالمماليك ، من بلاد الترك وما اليها · ولكنها تمكنت بذكائها ولباقتها من اكتساب ثقة الدهقانة جلنار ، فجعلتها ماشطتها · والماشطة ذات شأن كبير في بيوت الدهاقين ، لأن نساءهم يفضين بأسرارهن اليها ويعتمدن عليها في كثير من المهام · فاذا كانت من أهل الذكاء والدهاء ، ملكت زمام القصر وسيرت الدهقان والدهقانة وفق ما تريد

وكانت ماشطة جلنار ، واسمها ريحانة ، قد ملكت ثقة سيدتها ، فأحبتها خصوصا بعد وفاة أمها ·· فأصبحت محط آمالها وخزانة أسرارها ، فلما انتهت جلنار من تبديل الثياب استلقت على فراش من ريش النعام ، غطاؤه اطلس سماوي اللون ، فغرقت فيه · واتكأت بذراعها اليسرى على وسادة مزركشة ، وأسندت خدها على كفها وتغطت باللحاف الى أسفل الكتف ، وأرسلت يدها اليمنى فوقه وقد نزعت من معصمها أكثر الحلي الا الأساور ، وانحسر الكم عن زندها فظهرت بضاضته · فتوسدت ووجهها الى ريحانة ، وكانت هذه قد لفت رأسها وعنقها بخمار من نسيج الكشمير ، ولبست دراعة مستطيلة تحتها سراويل منتفخة على نمط لباس الفرس في تلك الأيام ، وليس عليها شيء من الحلي

جلست ريحانة بالقرب من جلنار مستغربة ما رأته من سكوتها وانقباضها أثناء تبديل الثياب ، وكانت عادتها أن تمازحها في مثل تلك الساعة ، على انها جارتها في السكوت تأدبا ، حتى مع علمها ببعض ما يجول في خاطر سيدتها من الأفكار · فلما اتكأت جلنار أشارت الى ريحانة أن تغلق باب الغرفة ، ففعلت ·· وعادت الى مكانها ومدت يدها الى شعر جلنار وجعلت تلاعبه بين أناملها ، ثم مرت بيدها على رأسها وهي تنظر الى وجهها وتبتسم كأنها تستفهم عن سبب سكوتها · وكانت جلنار تعرف العربية كأكثر اهل فارس في ذلك العصر ، لأنها لسان الفئة الحاكمة ·· لكنهم كانوا يتفاهمون فيما بينهم بالفارسية لغة آبائهم ، فقالت لها بالفارسية : « ما قولك في ابي ؟ » · فقالت ريحانة : « انه يريد لك الخير ·· »

قالت : « صدقت ولكني آراه شديد الرغبة في زواجي »

قالت : « أتلومينه على ذلك ٠٠ وأى أب لا يريد أن يزوج بناته ٠٠؟ وأنت من نعم المولى ، في رغد من العيش ، وأبوك أكبر دهاقين خراسان وليس له سواك ٠ وكلما جاءك طالب رفضته ٠ أفيلام أبوك اذا غضب ؟ »

فتنهدت جلنار ولم تعد تستطيع السكوت فقالت ويدها تصلح عنق قميصها : « وهل تظنينني أكره الزواج ؟ ٠ ولكنى أرى أبى لا ينظر فى زواجى الى غير فائدته وأنت تعلمين ذلك »

فتجاهلت ريحانة وقالت : « لا أراه كما تقولين يا مولاتى فانه انما أراد زواجك بابن أكبر أمراء العرب فى خراسان ، ولا يخفى عليك أن هذا الأمير لا يطلب شيئا الا ناله لأنه الحاكم وكلمته نافذة ، ومن تقرب منه اكتسب مثل هذا النفوذ »

فقاطعتها جلنار قائلة : « وهذا ما أقوله ٠٠ ان أبى يريد تزويجى بابن الكرمانى أمير هذا الجند لينال حظوة عنده ، وليكثر دخله من جباية الخراج٠ ثم ان الكرمانى هذا لم يتم له الأمر بعد ، فهو ليس الأمير الحاكم وانما يتطلع الى ذلك ٠٠ وما أدرانا أنه يناله ؟ »

فقالت : « أما نيله الأمارة فأنا ضامنة ذلك لما أعلمه من قوة جنده ، فهو يحاصر الآن مرو عاصمة خراسان وقد ضيق على أميرها نصر بن‌سيار حتى فر من أمامه ، ولا يلبث أن يستسلم فيصير الكرمانى صاحب الأمر والنهى فى خراسان وتصيرين أنت أميرة خراسان »

قالت : « أراك تهذين وتتخبطين ٠ أأتزوج ابن الكرمانى على أمل أن يغلب أبوه أمير خراسان ويقوم مقامه ؟ وما أدرانا أن الخليفة فى الشام لا يرسل جندا يحارب الكرمانى هذا ويقهره ٠ فكيف تكون حالنا ؟ »

فابتسمت ريحانة ، وقالت : « أما بصدد الخليفة فى الشام ، فكونى على يقين من أنه لا يحرك ساكنا لاشتغاله بما حوله عما هو بعيد ٠ فقد علمت من خادمك الضحاك انه لما تولى الخليفة الحالى مروان بن محمد ،قامت الناس عليه حتى أهله ورجاله ، وقد قضى زمنا يحارب ويجاهد فى بلاد الشام فلم يستطع اخضاعها الا بشق الأنفس ، فهو لن يقوى على استرجاع خراسان اذا تغلب عليها رجل مثل الكرمانى »

□

قالت جلنار : « لقد ذكرتنى بالخادم المضحك خفيف الروح ، وأراه يعرف اللغة الفارسية جيدا مع أنه عربى ، كما انه رغم ضحكه المتواصل وخفة



«واتكأت جلنار بذراعها اليسرى على وسادة مزركشة ، وجلست ريحانة بجانبها تحادثها..»

روحه بعيد النظر ذو دهاء واخلاص . أين هو الآن ؟. ادعيه لعلنا نستفيد شيئا من حديثه »

وهمت ريحانة بالنهوض ولكنها سمعت خفق نعال أمام باب الغرفة ، فعرفت أن الدهقان مار من هناك . فوقفت حتى يمر فاذا به وقف بالباب ثم فتحه ودخل ملتفا بالقباء كما تقدم ، فأسرعت ريحانة الى الباب وخرجت احتراما لسيدها. وأما جلنار فبقيت في الفراش ، وظهرت البغتة فى وجهها ولكنها كانت رابطة الجاش فتجلدت ورحبت بأبيها . فأقبل حتى وقف بجانب فراشها ، ثم انحنى وأمسك ذقنها بين أنامله كأنه يداعبها . أما هى فلم تكن تجهل غرضه ، فظلت صامتة حتى كلمها قائلا : «أراك تحبين الرقاد المبكر يا جلنار ؟ »

قالت : « كنت متعبة ، فاستلقيت على الفراش لأرتاح وأنا لا أشعر بالنعاس »

قال : « هلم بنا الى القاعة الكبرى ، فان الجلوس فيها يشرح الصدر لما تطل عليه من الأزهار والرياحين ، ونحن فى أبان الربيع فضلا عن نور القمر الساطع »

فلم يسع جلنار الا الاذعان لرغبة أبيها ، فنهضت وتزملت بملاءة كبيرة من نسيج الكشمير ــ يغلب فيها اللون العنابى ــ غطت أثوابها ، ومشت معه حتى وصلا الى القاعة فجلسا على وسادتين متحاذيتين ، وجلنار تتوقع من أبيها حديثا لا يرضيها. فلما استقر بهما الجلوس قال الدهقان : «رأيتك يا جلنار فى هذا المساء على غير ما عهدتك . فما الذى حملك على ذلك ؟ »

فاطرقت وقالت : « انى أطوع لك من بنانك يا مولاى »

قال : « فما بالك سكت لما ذكرت لك ان أمير العرب أرسل يخطبك لابنه ؟ ألا تعلمين أن مصاهرة هذا الأمير مدعاة الى الاغتباط والفخر ؟ »

قالت : « وأى أمير تعنى يا أبتاه ؟ »

قال : « أعنى الكرمانى قائد قبائل اليمنية الذى يحاصر مدينة مرو الآن ، أو هو فتحها على ما بلغنى وقد فر (نصر) منها »

قالت : « انى لا أفعل الا ما تأمرنى ، لكنى لا أثق بفوز هذا الأمير .. وقد رأيتك لما بعث نصر بن سيار أمير المدينة ليخطبنى منك لابنه ، لم تجبه مع انه صاحب حكومة خراسان »

قال : « وهذا يدلك على ما أريده لك من أسباب الهناء ، لأن نصرا هذا لا يلبث أن يغلب على أمره ويخرج من البلاد مدحورا لضعف حاميته وانحطاط قوة دولة بنى أمية على الاطلاق ، فقد أصبح أهل خراسان كافة ناقمين عليها بعد ما ظهر لهم من ايثارها العرب على الفرس ، وبعد فرضها عليهم الضرائب الفادحة وطلب عمالها الجزية حتى من المسلمين ! »

قالت : « لا أجهل استبداد هذه الدولة ، ولكنها لا تزال في نظرى أقوى من رجال لا دولة لهم ولا حكومة مثل الكرماني · فانه أشبه برجل ثائر على حكومته ، وشأنه في ذلك شأن جماعة الخوارج الذين يجتمعون على الدولة ثم يتفرقون ويقتلون ، وآخرهم شيبان الذى رأيناه بالأمس محاصرا لمرو · وزد على ذلك أن الكرماني ليس معه من الأحزاب الا القبائل اليمنية من العرب ، وأما سائر القبائل المضرية فهم مع نصر بن سيار ، وربما عدلوا قوة اليمنية أو فاقوها · وهل نسيت حزب الشيعة القائم الآن في بني العباس وامامهم ابراهيم بن محمد ·· ألم نكن نحن في جملة الفرس الذين عاهدوا دعاة العباسية على نصرتهم وأكثر أحزابهم من أهل خراسان »

قال : « صدقت ، لقد عاهدنا الشيعة وساعدناهم ، ولكن يظهر لى انهم يقولون ولا يفعلون · فقد مضى عليهم أعوام منذ دعونا الى نصرتهم سرا ، فأمددناهم بالأموال مرارا ، ولكنهم لا يزالون الى الآن يتكتمون · وأما الكرماني هذا فانه جمع الجند ولا يلبث أن يستولى على مرو ، واذا هو فتحها أصبح أمير خراسان ، ثم يفتح سواها وتصير دولة قوية تقوم مقام دولة بني أمية · وأكبر شاهد على ذلك أنه تغلب بالأمس على الحارث بن سريج وقتله وشتت جنده ، ثم غلب في مرو وفر نصر منها ·· فالكرماني صاحب الأمر والنهى الآن ·· فأطيعيني وأنت الرابحة ، واذا كان الأمير صهرنا أصبحت كلمتنا العليا ، وأصبحت أنت أميرة خراسان كلها · ومع ذلك فاني وعدته بك من قبل ، وقد بعث الى بالمهر مع الرسول »

فسكتت جلنار وأطرقت، فاعتبر أبوها سكوتها رضاء ، وأراد أن يتحقق من ذلك فصفق ، فلما جاءه أحد الغلمان قال له : « ادع الضحاك العربى »

▭

أقبل الضحاك العربى خادم جلنار الى حجرتها ، وكان طويل القامة رقيق البدن محدودب الظهر قليلا لطوله ، وكان لا ينفك ضاحكا لغير ما سبب كأن به شيئا من البله · ورغم صغر وجهه وخفة شعر لحيته وشاربيه ،كان يضع على رأسه عمامة ضخمة تجعل منظره مضحكا · وكان الدهقان قد اشتراه من بعض تجار الرقيق ، ثم احتفظ به لأنه عربي ويندر بيع مثله في تلك الأيام ، ولأنه كان خفيف الروح ، خبيرا بفنون الأحاديث ، وكثيرا ما دعاه وسأله عن بعض المسائل العربية ، فكان يجيب دائما اجابة الخبير ، وان خلط الجد بالهزل · فلما أنس الدهقان الانقباض في ابنته أراد أن يسليها فاستقدمه·فلما دخل ألقى التحية ثم أمال عمامته الى جانب رأسه فأصبحت بكبرها وانحرافها ذات منظر غريب ، ووقف يضحك ويقهقه بلا سبب ظاهر

فلما رأته جلنار ، ضحكت لأنها كانت تستأنس به كثيرا وتتوقع أن

تستخدمه في بعض شئونها ، لما تحققته من جده في معـرض المزاح • ثم سأله الدهقان : « متى يثبت سلطان بني أمية في خراسان ؟ » • فأجابعلى الفور : « متى شاب الغراب يا مولاى ! »

فالتفت الدهقان الى ابنته وابتسم كأنه يقول لها : «ألم أقل لك ذلك ؟»• ثم التفت الى الضحاك وقال : « كيف تقول ذلك والأمويون لا يزالون أهل سلطان وعند خليفتهم في الشام الجند والأعوان ؟ ألا تظنه ينجد هذهالمدينة وينقذها من أصحاب الكرماني ؟ »

فقهقه الضحاك قهقهة عاليـة وقال : « مسكين نصر بن سيار ، لقد بح صوته وهو يستنجد بني أمية وينـذرهم بسوء المغبة ان لم ينجدوه ، وقد بلغني انه استعان في اقناع الخليفة بالشعر فنظم له قصيدة قال له فيها :

« أرى بين الرماد وميض نار	وأخشى أن يـكون له ضرام
فان النـار بالعودين تذكى	وان الحـرب مبـدؤها كلام
فقلت من التعجب : ليت شعرى	أأيقاظ أمية ؟ أم نيـام ؟ »

قال الدهقان : « وماذا كان جواب الخليفة ؟ »

قال : « كتب اليه يقول : (الشاهد يرى ما لا يراه الغائب)•ولم يسعفه بشيء »

فنظر الدهقان الى ابنته واكتفى بتلك النظرة تأييدا لقوله • ولكنها لم تقتنع • ولم يكن تمنعها لغرض سياسي أو طمع في سلطان ، ولكنها كانت ذات قلب يحب ويبغض ،فاذا كانت قد سلمت قيادها الى أبيها فانها لم تسلم قلبها لابن الكرماني ، ولاسـيما أنها كانت ترى أن هنـاك من هو أكثر استحقاقا لمحبتها ، وهو رجل رأته في مجلس أبيها مرة فأحبته ، ولكنها لم تجرؤ على التصريح بذلك ، لأنها لم تكن تعلم هل هذا الرجل يحبها أم قلبه مشغول بغيرها

وأشار الدهقان الى الضحاك فخرج مهرولا ، فلما خلا الدهقان الى ابنته قال لها : « سأرد رسول الكرماني في الغد بجواب الرضا » • ولما وجدها أطرقت وسكتت لم يعبأ بذلك لاعتقاده أنها صنعت ذلك من قبيل الحياء

على أنها كانت خـلال سكوتها قد سمعت طنطنة أجـراس عن بعد ، ثم سمعت نباح الكلاب •• فأدركت أن هناك طارقا غريبا • وما لبث أبوها أن أدرك ذلك أيضا ، فقال لها : « لعل هناك قافلة سائرة على ضوء القمر » • ثم جعلت أصوات الأجراس تقرب ونبـاح الكلاب يشتد ، بينما الدهقان وابنته في صمت وكل منهما في شاغل

أبو مسلم الخراسانى

لم يمض على ذلك قليل حتى سمع الدهقان وابنته جلنـار هدير الجمال وصهيل الخيل وضوضاء الناس . ثم جاء بعض الغلمان مهرولين ، وقالوا : « ان قافلة كبيرة وقفت بجانب القرية تطلب النزول بدار الأضياف »

فقال الدهقان : « من أين هم قادمون ؟ وما عددهم ؟ » ، فقال أحـد الغلمان : « انهم يزيدون على مائة نفس ومعهم الجمال والخيل ، ولا ندرى من أين قدموا » . فقال : « لا أظنهم يبغون الاقامة جميعا عنـدنا .. فادعوهم للنزول » . فخرج الغلمان ، وبعد قليل جاء أحدهم وقال : « ان رجال القافلة يطلبون مقابلة مولانا الدهقان » .

قال : « فليدخلوا »

فوقفت جلنار تهم بالرجوع الى غرفتها، فأمسكها أبوها وقال : « انتظرى حتى نرى من يكون هؤلاء » .

وما أتم كلامه حتى أقبل رجلان ، قد تزمل كل منهما بقباء أسود ، وتلثم بلثام أسود ، ووراءهما رجلان يحملان حزمة طويلة يسندانها من طرفيهـا على أكتافهما ، فلما وصـلا الى باب القصر أنزلاها الى الأرض ووقفا . أما الاثنان الأولان فدخلا دخول الأمراء ، وحيى أحدهما الدهقان بالفارسية . فلما سمع صوته أجفل وخيل اليه أنه سمع ذلك الصـوت من قبل ، ثم اقترب الرجل من الدهقان ، فما كاد يتبين وجهه على ضوء المصباح حتى هتف مرحبا به قائلا : « عبد الرحمن ؟ »

فلما سمعت جلنار هـذا الاسم ، اختلج قلبها ، ونظرت الى وجه القادم وهو ملثم فلم تعرفه، ولكنها رجحت أن يصدق ظنها فيه لقصر قامته وساقيه وعرض صدره ، فظلت جالسة تنتظر ، فلما حسر الرجل اللثام بعد أن سمع الدهقان يرحب به ، لاح تحته وجه أسمر جميـل نقى البشرة أحور العينين عريض الجبهة حسن اللحية طويل الشعر ، فأدركت جلنار أنه عبد الرحمن ابن مسلم ـ وقد سـمى بعد ذلك أبا مسلم الخراسـانى ـ فامتقع لونها لدهشتها من رؤيته على غير انتظار مع ما فى نفسها من حبه

أما الدهقان فلما فرغ من الترحيب به دعاه الى الجلوس ، فجلس .. ثم دعا أبو مسلم رفيقه للجلوس بجانبه قائلا : « اجلس يا خالد » . ثم التفت

الى الدهقان وقال : «هذا صديقنا خالد بن برمك» . فبغت الدهقان وقال : « ابن صاحب النوبهار ؟ ! »

فأجاب خالد قائلا : « لقد انقضت أيام النوبهار ، وتخلصنا من عبادة النار لما هدانا الله بالاسلام »

قال الدهقان : « صدقت ، أهلا بكما ومرحبا » . ثم صفق فجاء بعض الغلمان ، فأمرهم باعداد الطعام للأضياف وتقديم ما تحتاج اليه القافلة من الزاد والعلف

فاعترضه أبو مسلم بهدوء وسكينة قائلا . « لا تتعب نفسك ولا تشغل رجالك ، فاننا لا نحتاج الى شيء من ذلك ونحن نشكر لك حسن رعايتك »

فقال : « ومن أين أنتم قادمون ؟ »

قال : « من الحج » . ولكن ملامح وجهه دلت على أنه يعني غير ما يقول ، ففهم الدهقان انه يريد الكتمان كعادته من قبل حين كان يفد على الدهاقين ويطلب المعونة من المال ونحوه سرا انتصارا للشيعة . ولكن عبد الرحمن ما لبث أن قال : « لا تظننا نريد التكتم ، فقد انقضى زمن الأسرار ، وآن لنا أن نظهر دعوتنا . فهل أنتم على عهدكم معنا ؟ »

فتذكر الدهقان انه صاهر الكرماني ، واذن فقد خالف العهد . وقد كان في جملة من عاهد على نصرة بني العباس ، ولكنه لم يتوقع ثباتهم لتكرار فشل الشيعة في نصرة أهل البيت ، وظن في كلام أبي مسلم مبالغة فاراد أن يتبين الحقيقة ، على أن يكتم أمر الكرماني ثم ينضم الى الفئة الغالبة فقال : «وماذا تعني بذهاب زمن الأسرار ؟ »

قال : « أعني اننا كنا نأتيكم سرا باسم ابراهيم الامام ، ونستنصركم على بني أمية ريثما يحين الوقت للظهور واخراج دعوتنا من القول الى العمل . اما الآن فنبشركم بأن الامام قد أمرنا باظهار الدعوة »

فقال : « هل جندتم الرجال ؟ »

قال . « لم نجند أحدا . لأننا لم نبدأ باظهار الدعوة بعد .. وأنت أول من عرف اعتزامنا اظهارها . ونرجو اذا أظهرناها أن يجيبنا كثيرون لأن شيعتنا قوية في خراسان ، ومعظم الدهاقين معنا »

قال : « هذا صحيح ، ومن هم الذين معك في القافلة ؟ »

قال : « هم النقباء ، وعددهم سبعون نقيبا اختارهم الامام من شيعته ، ووجههم لدعوة الناس الى بيعته ، وحمل السلاح في نصرته ، وسنفرقهم في خراسان قريبا »

قال : « وكيف استطعتم المرور بهذا العدد الكبير في البلاد ، دون أن يرتاب العرب في أمركم ، مع انهم يسيئون الظن بكل فارسي ؟ »

فلما سمع أبو مسلم سؤاله أحب أن يفيض في وصف حالهم تثبيتا للدهقان في نصرة الدعوة فيقتدى به دهاقنة كثيرون ، فقال : « أنت تعلم يا أعظم الدهاقين أن العرب يفاخروننا بأن النبى منهم ، وقد احتقرونا وأذلونا وعاملونا معاملة الرقيق ، ولو استطاعوا ألا يبقوا منا أحدا لفعلوا . مع أن الفئة السائدة منهم الآن وهم بنو أمية ليسوا من آل بيت النبى بل هم أعداء أهله ، وقد اضطهدوهم ، وقتلوا آل على بن أبى طالب ابن عم النبى ، وساموهم العذاب الشديد ، ولا يخفى عليك أن آل بيت النبى لا يرون فرقا فى الاسلام بين العربى والعجمى .. بل هم يفضلون العجم على العرب ، ولذلك كانت شيعتهم من الفرس . ثم سلم آل على حقوق الخلافة الى آل العباس عم النبى ، وكبيرهم الآن ابراهيم الامام . فتحول شيعة آل على فى هذه البلاد الى نصرة بنى العباس . فالامام الآن مقيم فى الحميمة بالبلقاء قرب الشام يبث الدعاة ويوجه الأنصار . وقد عهد الى منذ عام فى أن أتولى رياسة هذا الأمر ، وكتب الى أصحابه أن يطيعونى وجعلنى أميرا على خراسان وما أفتحه من البلاد . فاستصغر بعض النقباء شانى لأنى دون العشرين من العمر وهم شيوخ كبار ، لكنهم أذعنوا أخيرا . وقد أوصانى الامام يوم ودعته فى العام الماضى وصية ذات بال هى أساس كل عمل عملته أو أعمله فى سبيل هذه الدعوة »

وكان الدهقان يسمع كلام أبى مسلم مأخوذا من رزانته على صغر سنه ، وشعر كأنه فى حضرة شيخ كبير أو أمير جليل لما كان فى وجهه من الهيبة والوقار . فلما سمعه يشير الى وصية الامام أصاخ بسمعه ليفهم تلك الوصية .. وكانت جلنار منزوية وكلها عيون وآذان لترى وتسمع .. ولا تسل عن حالها فى تلك الجلسة وهى المرة الثانية التى تنظر فيها أبا مسلم ، ولم تبق جارحة من جوارحها لم يستول عليها الاعجاب به .

أما هو فقد كان فى غفلة عما يتقد فى قلب الفتاة ، وكان كل همه القيام بالدعوة حق القيام . فلما ذكر الوصية مد يده الى جيبه وقال : « هاأنذا أتلوها عليك كما تلقنتها بالعربية حرفيا » . وأخرج ورقا ملفوفا نشره ، وأخذ يقرأ والحاضرون يسمعون :

«يا عبد الرحمن ، انك رجل من أهل البيت ، فاحتفظ بوصيتى وانظر الى هذا الحى من اليمن فأكرمهم ، وحل بين أظهرهم ، فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم . وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم . وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار . فاقتل من شككت فى أمره ، ومن كان فى أمره شبهة ، ومن وقع فى نفسك منه شىء . وان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل . فأى غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ، اقتله »

فلما انتهى من تلاوة الرق ، لفه وأرجعه الى جيبه وهو ينظر الى الدهقان ، الذى اغتبط لنقمة الامام على العرب ، لما فى نفسه منهم . وما كان رضاه

بابن الكرماني صهرا له الا خوفا وطمعا ، ولكنه كان لا يزال ضعيف الثقة بشيعة بني العباس • على أنه كتم ذلك وتظاهر بالاعجاب وقال : « انها وصية حكيم • ويكفي باعثا على تأييد الفرس لها أنها تأمر باذلال العرب وقتلهم ، فما أظن دهقانا أو فارسيا يطلع عليها الا كان من المتشيعين لبني العباس » • ثم التفت الى خالد بن برمك وسأله : « أليس كذلك ؟ »

وكان خالد في نحو الأربعين من عمره ، وأبوه برمك (جد البرامكة) صاحب « النوبهار » أي بيت النار في مدينة بلخ • وقد مات مجوسيا في الغالب فخلفه ابنه خالد هذا وهو من أكثر الرجال عقلا ودهاء وبطشا • ثم كان ممن أسلموا من عظماء الفرس وتشيع لآل العباس انتقاما من بني أمية والتماسا للسلطان والنفوذ اذا قامت الدولة بهم • وكان على كونه كهلا قد رضي برياسة أبي مسلم ، وهو شاب لا تزيد سنه على العشرين الا قليلا ، وكذلك صنع كهول وأشياخ كثيرون ممن قالوا بدعوة العباسيين ، فرضوا بأبي مسلم قائدا لهم نزولا على أمر ابراهيم الامام • وكان أبو مسلم يحترم خالدا ويقدره حق قدره ويستشيره في مهام أموره ، ولذلك اختصه بصحبته لما أراد مقابلة الدهقان • فلما سمع خالد سؤال الدهقان ، أجابه على الفور قائلا : « لا ريب عندي في أن الفرس سيقومون بنصرة العباسيين ، وعندي انه يجب على كل فارسي أن يقدم نفسه وماله لنصرتهم لأن في ذلك رفع شأن الفرس ! »

فأراد الدهقان أن يطري أبا مسلم تقربا منه وايهاما له بأنه شديد التمسك بدعوته اخفاء لما سبق من قبوله مصاهرة الكرماني فقال : « لا غرو اذا انتصر الشيعة وفيهم مثلكما من ذوي الحزم والبسالة والتعقل »

فقال خالد : « ان البسالة والقوة لا يكفيان للقيام بهذا العمل »

فأدرك الدهقان أنه يلمح الى المال ، فقال : « على كل منا أن يقدم مما عنده ، واذا كنا لم نقصر في الماضي حين كانت الدعوة سرية ، فلن نبخل الآن »

فعاد أبو مسلم لاتمام حديثه فقال : « لقد جئنا الى خراسان وقمنا بالدعوة سرا ، وكنت أختلف الى الامام أحمل اليه ما يجتمع عندنا من المال وأتلقى أوامره • فلما كان هذا العام ، دعاني اليه فسرت ومعي النقباء الذين ذكرتهم ، متظاهرين بالحج

« ولما بلغنا (قومس) أتاني كتاب الامام باسمي واسم سليمان بن كثير وهو من كبار النقباء ومع الكتاب راية النصر » • قال هذا ، وأشار الى الحزمة المطروحة أمام القصر ثم أخرج الكتاب من جيبه وقرأ : « قد بعثت اليك براية النصر ، فارجع من حيث لقيك كتابي ، وأظهر الدعوة فان الله ناصركم »

ولاحظ أبو مسلم أن الدهقان يطيل النظر الى الحزمة المطروحة أمام القصر ،

فأدرك أنه يريد رؤيتها ، فأمر الرجلين اللذين كانا يحملانها باحضارها ، ولم تسعها القاعة لطولها فأدخلاها من أحـــد طرفيها وظل الطرف الآخر خارجا ٠ وكانت ملفوفة بقماش أسود ففكاه ، وأخرجا منها لواء أسود وراية سوداء ٠ واللواء معقود على رمح طوله ١٤ ذراعا ، والراية على رمح طوله ١٣ ذراعا ٠ فوقف أبو مسلم اجلالا للواء ، وقال : « ان هذا اللواء يسمى الظل ، والراية تسمى السحاب ، ولونهما الأسود هو الشعار الذى اختاره الامام ابراهيم لشيعته ٠٠ فهم من اليوم يلبسون العمائم السوداء والأقبية السوداء وراياتهم أيضا سود كما ترى »

ووقف خالد والدهقان اجلالا للواء ، وهمت جلنار بالوقوف مجاراة لهم ٠٠ فلم تساعدها ركبتاها لما غلب عليها من التأثر بحديث أبى مسـلم ، وما سمعته من أنه قائد الجند ، فأصبح همها منصرفا الى الاطلاع عـلى مكنونات قلبه لعله ينتبه اليها فيرمقها بنظرة تفهم منها ما يطمئن به قلبها ، فوقفت مستندة الى أحد الأعمدة ، وتصـدرت قليلا حتى انتبه لها خالد فنظر الى وجهها نظرة الاعجاب والاستغراب ٠ أما أبو مسلم فأغضى وكأنه لا يرى شيئا

ثم سأله الدهقان : « وما المراد باختيار السواد شعارا لبني العباس ٠ هل أرادوا الاشـــارة الى حدادهم على قتل أهل البيت العلويين ومنهم على والحسين ، أم ماذا ؟ »

فقعد أبو مسلم وهو يشير الى الرجلين أن يعيـــدا الحزمة ، وقعد خالد والدهقان وظلت جلنار واقفة ، ثم قال أبو مسلم : « ان السواد شعار أهل بيت النبى ، لأن راية النبى كانت سوداء واسمها العقاب كما قد تعلم »

وكان الدهقان يفكر فيما علمه من أمر الشيعة ، وخاف على نفسه من أبى مسلم اذا علم ما فى ضـميره ، ولاسيما ان الامام أوصاه بأن يقتل كل من يشك فيه ، فتظـاهر بالتحمس وقال : « لقد أيقنت الآن بفوزكم وظهور الفرس ، ولابد من استنجاد سائر الدهاقين وترغيبهم فى الاســلام ، لأن أكثرهم لا يزالون مجوسا »

فقال خالد : « اذا أسلم الدهاقين وأنجـدونا بأموالهم ورجالهم ، فانما ينجدون أنفسهم لأنهم ينشئون دولة فارسية ترفع شأن الفرس »

قال الدهقان : « انى ضامن لكم اسلام معظم دهاقين خراسان ، والأموال كثيرة » ٠ ثم صفق فأتاه غلام ، فأمره أن يدعو خازنه

فلما سمعه أبو مسلم يدعو خازنه ، أدرك أنه يريد أن يؤدى اليـه عونا ماليا على عادته فى مثـل هذه الحال ، فأشار بيده الى أحد الرجلين صاحبى الحزمة اشـارة فهم غرضه منها ، فخرج مهرولا ثم عاد ومعه رجـــلان ٠٠ تأبط أحدهما كيسا كبيرا فارغا ، والآخر قصير القامة مع سمن قليل وعليه قباء واسع وعمامة كبيرة يكاد يجر قباءه جرا لقصره ، ووراءه غلام يحمل دواة

وقلما ، فلما دخلوا القاعة وقفوا فى بعض جوانبها ، فنادى أبو مسلم صاحب القباء قائلا : « تقدم يا ابراهيم وخذ من الدهقان ما جادت به نفسه في سبيل نصرة أهل البيت »

وجاء خازن الدهقان فأسر اليه هذا كلاما ، فذهب وعاد ومعه غلام يحمل أكياسا من جلد قد أثقلت كاهله حتى وضعها بين يدى الدهقان . فلما أمر أبو مسلم خازنه ابراهيم بتسلم المال تقدم وأخذ في عد الأكياس وهي مختومة وقد كتب على كل منها « ألف دينار يوسفية » فبلغت ٢٠ كيسا ، فأشار الى رفيقه والغلام الآخر فتقدما وتعاونا على نقلها الى الكيس الكبير ، وتناول هو القلم والدواة وأخرج من تحت قبائه درجا كتب فيه عددالاكياس وما تحويه من الدنانير

وكان أبو مسلم أثناء ذلك مطرقا كأنه يفكر فى أمر يهمه ، وقد زاده التفكير هيبة وشغله عما حوله . وكانت جلنار قد تعبت من الوقوف فقعدت على وسادة بجانب أبيها وهي تختلس النظر الى أبى مسلم ، وكأن خالدا أدرك ذلك منها وفطن لما يجول فى خاطرها ، ولكنه كان يعلم زهد أبى مسلم فى النساء واشتغال باله بالمشروع الخطير الذى ندب له

فلما انتهى الخازن من تدوين المال نهض واستأذن ولحظ الدهقان فى أبى مسلم الرغبة فى الانصراف أيضا فقال له : « اذاكنتم تريدون النوم ، فهذه دار قد أمرنا باعدادها لنزولكم » . وأشار الى بعض جوانب الحديقة

فنهض أبو مسلم ونهض الحضور وقال : « ننصرف الآن الى الرقاد ، فان السفر قد أتعبنا هذين اليومين » . قال ذلك ومشى فشيعه الدهقان الى آخر القاعة ، وصفق فجاء بعض الغلمان فأمرهم أن يمشوا بين يدى الأمير بالشموع الى المنزل المعد له ففعلوا . وعاد الدهقان الى ابنته وكانت واقفة بجانب العمود وحدها فأدرك مما لحظه من انقباضها أنها تفكر في أمر زواجها بابن الكرمانى ، وأنها ترى فيما ظهر من أبى مسلم حجة تدفع بها طلب الكرمانى ، فوضع يسراه على كتفها ومشى معها الى غرفتها وقال : « لا أظن هؤلاء الدعاة سيفلحون ، وأرى أمرهم هذه المرة صائرا الى الفشل كشأنهم فيما مضى »

فلم يفتها غرض أبيها من هذا الحديث بعد ما دار بينها وبينه فى العشاء فقالت : « اذا كنت تعتقد فشلهم فما بالك تعاهدهم على القيام بنصرتهم وتبذل لهم الأموال ؟ »

فضحك ووقف وقبض على لحيته بيمينه ، ويسراه ما زالت على كتفها ، وقال بصوت خافت : « انى أفعل ذلك تحوطا . لأننا ان أظهرنا له الجفاء كنا فى خطر على حياتنا وأموالنا ولاسيما بعدما سمعنا من وصية ابراهيم الامام ، فانه أمره بقتل كل من يشك فيه . ومع ذلك فنحن غير واثقين الثقة

التامة بفشل هؤلاء وان كنت أرجح الفوز للكرماني للأسباب التي ذكرتها لك قبلا ٠ فتظاهرنا بالمسالمة أو المساعدة لا يضرنا بل قد ينفعنا ٠ وليس ما نؤديه لهم بالشيء الذى يذكر اذا قيس بما نتوقعه من الكسب اذا كنا فى جانب الحزب الفائز »

فلما انتهى الدهقان من كلامه قالت : « لقد اصبت يا أبتاه ، أنك تحاسن أبا مسلم بالأموال والمواعيد ، وتحاسن الكرماني بجلنار » ٠ قالت ذلك وغصت بريقها ، فهرولت الى غرفتها واستلقت على الفراش ، فتبعها أبوها وقال : «يظهر أنك متعبة يا جلنار ، نامى واتكلى على الله ، وأنا أعرف تعقلك وحسن تدبيرك ، واعتقد أنك اذا كنت عند الكرماني ، وكنت أنا مع أبى مسلم بتنا فى مأمن وأصبح الفوز مضمونا لنا على كل حال ٠ نامى يا حبيبتى واستريحى الآن » ٠ قال ذلك وخرج وهو يتجاهل مغزى كلامها

□

أما هى فلما خلت بنفسها عادت الى هواجسها ، وتصورت ما هى فيه من الارتباك حتى انها لا تدرى أتطيع أباها أم تطيع قلبها ؟٠ على أنها لو تحققت ان عند أبى مسلم مثل ما عندها لهان عليها اغضاب أبيها وان كان ذلك مما لا يقدم عليه أمثالها ٠ ولكنها لم تر فى شيء من حركاته أو أقواله ما يفتح لها نافذة الأمل ٠ ولكن الحب كان يعترض عوامل اليأس ، ويهون عليها ما ظهر من عدم اكتراثه ، فأخذت تنسب ذلك الى اشتغاله بشؤون الدولة ، ثم تعود الى رشدها فلا ترى له عذرا ، وتقول لنفسها : « لو كان عنده بعض ما عندى لشعرت به ! »

قضت فى ذلك برهة وقد طار الرقاد من عينيها واستوحشت من الوحدة فتذكرت ماشطتها وودت لو تأتيها تلك الليلة لتشكو لها حالها وتستشيرها فى أمرها ٠ ثم ما عتمت أن سمعت وقع خطوات بطيئة فعلمت أنها خطوات الماشطة فنهضت وفتحت لها ، فدخلت هذه وأغلقت الباب ، فدعتها جلنار للجلوس وقالت : « ما الذى جاء بك يا ريحانة على غير انتظار ؟ »

قالت : « علمت أنك فى قلق فجئت لتسليتك »

قالت : « وكيف علمت ذلك ؟ ومن أنبأك به ؟ »

أجابت وقد ضمتها الى صدرها وقبلتها : « أتظنينني غافلة عن أحوالك وما يطرأ عليك من الهواجس ، ولاسيما بعد قدوم هؤلاء الأضياف ؟! »

قالت : « وهل شاهدتهم وسمعت أقوالهم ؟ »

قالت « شاهدت كل شيء ، وسمعت كل كلمة خلسة من وراء الستار» فما تمالكت جلنار أن قالت : « وهل رأيت أبا مسلم ؟ »

قالت : « خفضي صوتك يا مولاتي لأن لهذه الجدران آذانا ، نعم شاهدته وشاهدتك أيضا »

فخجلت جلنار من تسرعها في اظهار عواطفها ، ثم تذكرت ثقتها بريحانة فقالت : « وكيف رأيته يا ريحانة ؟ »

قالت : « رأيته لائقا . ولكن تمهلي ولا تعجلي ، ان في العجلة ندامة ! »

قالت : « أراك قد أدركت مكنونات قلبي ولم يخف عليك شيء ؟ »

قالت : «لم يخف علي شيء ، ولكنني أرى الأمر يحتاج الى الحكمة والتؤدة»

فلم تعد جلنار تقدر على اخفاء عواطفها فقالت : « وما العمل يا ريحانة دبريني برأيك . لقد نفد صبري فانى لا ألبث أن أزف الى ابن الكرماني وأنا لا أريده ولا أحبه »

قالت : « أتحبين أبا مسلم ؟ » . وضحكت

فأطرقت جلنار ولسان حالها يقول : « نعم أحبه ؟ »

فقالت ريحانة : « وهل يحبك ؟ »

فرفعت جلنار نظرها الى ريحانة وفي عينيها دمعتان تترددان بين الأماقي، وهمت بالكلام فشرقت بريقها وسكتت

فقالت ريحانة : « انك لا تعلمين وأنا لا أعلم ، فما علينا الا التحري والاستفهام »

قالت : « من يكشف لنا الحقيقة ؟ »

قالت : « ألا تعرفين الضحاك ؟ »

قالت : « وهل تظنينه يستطيع خدمتنا في هذا الأمر ؟ »

قالت : « أظنه أقدر الناس على ذلك اذا أراد . ولا يغرنك ما يبدو من مجونه فانه داهية حازم يعتمد عليه في الأمور العظام »

قالت : « ومن يخاطبه في ذلك ؟ وأخاف أن يفشي سرنا ، أو يطلع أبي على أمرنا »

قالت : « كوني في راحة وطمأنينة وأنا أتدبر الأمر ، وليس ينقصني شيء سوى المال »

قالت : « وهل للمال قيمة عندي . اطلبي من خازني ما تريدين وافعلي ما تشائين ، ثم انبئيني بما يكون »

قالت : « ينبغي أن نسعى في الأمر من الآن اذ لا نضمن بقاء هؤلاء الأضياف عندنا الى الغد أو بعده »

فنهضت جلنار من فراشها الى صندوق صغير في بعض جوانب الغرفة وأخرجت منه صرة من الحرير دفعتها الى ريحانة وهي تقول : «هذه خمسمائة

دينار أنفقيها كما تشائين ولا تبطئي ، واذا وفقت الى ما أريد فلك المزيد »
فتناولت ريحانة الصرة ونهضت تقول : « كوني في راحة » . وخرجت تسترق الخطى وتركت جلنار على مثل جمر الغضا

□

لم تكد ريحانة تخرج من الغرفة حتى رأت الضحاك قادما وكأنما كانا على ميعاد . فلما رأته بغتت ولكنها تجلدت وأشارت اليه أن يتبعها الى غرفتها في طرف القصر مما يلي الحديقة ، فلما أراد أن يدخل الحجرة خلفها اصطدم رأسه بالباب لطوله ، فصرخ صرخة أفزعتها وأضحكتها ولاسيما حينما سقطت عمامته على الأرض فوجدته حليق الرأس ، فبادرت الى اغلاق الباب . ثم أرادت الاستفهام عن سبب حلقه رأسه ، فأسرع هو وأعاد العمامة الى رأسه ، واقترب منها وقال : « يظهر انك تحبينني ياريحانة بارك الله فيك » . وضحك وعض على شفته السفلى وتشاغل باصلاح عمامته ، ثم ضحك ضحكة البله وجعل يطرق بأطراف أنامله على أسنانه . فضحكت ريحانة من قوله وحركته ثم عبست في وجهه عبوسا يخالطه الابتسام وقالت : « اني أحبك لخفة روحك وعلو همتك . ولاسيما اذا أطعتني فيما سأقوله . لكني أسألك أولا هل عندك للسر مكان ؟ »

فقال وهو يضحك : « عندي لكل سر مكان ، وللأسرار عندي منـــازل وطبقات ، واذا كنت في ريب من ذلك قولي فأنصرف »

فضحكت وقالت : « ألا تكف عن مجونك يا رجل ؟ . أعرني أذنك وأصغ لما أعرضه عليك بحياة الدهقانة وحرمتها عندك »

فسكت وأظهر الجد وتأدب في موقفه وقال : « أني طوع أمرك »

قالت : « أتعرف ضيوفنا الليلة ؟ »

قال : « أيهما تعنين ؟ أبا مسلم الخراساني الذي لا يعرف أباه ، أم خالدا ابن برمك المجوسي صاحب النوبهار ، أم خازن أبي مسلم ابراهيم اليهودي ؟ »

فضحكت ريحانة واستغربت قوله أن أبا مسلم لا يعرف أباه فقالت : « وماذا تعني بقولك أن أبا مسلم لا يعرف أباه ؟ »

قال : « اذا كنت لا تصدقينني فاسأليه » .

قالت : « صدقتك ، وأسألك كيف كان ذلك ؟ »

قال : « لو سألته عن نسبه ما عرفه . أما أنا فأقول لك أن أباه فارسي يسميه بعضهم بسلم ، وبعضهم يسميه عثمان ، وهو يزعم أن نسبه يتصل ببزرجمهر الحكيم الفارسي المشهور . وهذه عادة كبار القوم عندنا فمن كان

منهم دنيء الأصل رفعه جاهه الى طبقات الاشراف . فاذا كان عربيا أوصل نسبهالى أبي بكر أو عمر أو الحسين . واذا كان فارسيا جعل نفسه من نسل (بزرجمهر) أو (أزدشير) أو (كسرى أنوشروان) . وأما الذى نعلمه من أمر أبي مسلم فهو أن أباه كان من أهل قرية (ماخوان) وتبعد عن (مرو) ثلاثة فراسخ . وكانت هذه القرية ملكا له مع عدة قرى اخرى . وكان فى بعض تجارته يجلب المواشي الى الكوفة، ثم انه ضمن خراج (رستاق فريدين) على عادة الدهاقين فى أيام هذه الدولة (بنى أمية) فانهم يقاسمون الحكومة أموالها بنفوذهم . فلما حان الوفاء عجز عن تأدية ما عليه . فقبض عليه العامل وأرسل معه من يشخصه الى الديوان فى الكوفة ، وكان عنده جاريه يحبها فأخذها معه وهي حامل واحتال على حارسه في الطريق وفر الى (أذربيجان) وهي معه فلما بلغا « رستاق فايق » تركها فيه عند رجل اسمه عيسى بن معقل وذهب الى اذربيجان ، فمات بها . وولدت الجارية صاحبنا أبا مسلم هذا ، فربي في بيت عيسى بن معقل وهو يعد نفسه من أولاده . وكان عيسى هذا وأخوه ادريس في ضمان الخراج أيضا فأصابهما ما أصاب ذاك من تأخير الخراج فقبض عليهما عامل أصبهان وشكاهما الى أمير العراقين يومئذ خالد القسرى ، فبعث من حملهما الى الكوفة وسجنهما فيها ، وكانا قد أنفذا أبا مسلم قبل القبض عليهما فى مهمة فلما رجع وعلم بسجنهما جاء الى الكوفة وجعل يتردد عليهما في السجن . واتفق أن جماعة من النقباء دعاة بنى العباس جاءوا الى الكوفة سرا يدعون الناس الى أهل هذا البيت فلقوا أبا مسلم هناك فأعجبهم عقله ومعرفته وكلامه ، وعرف هو أمرهم فانضم اليهم وخرج معهم الى مكة ، فقدموه الى ابراهيم الامام هناك فأعجب به وتوسم فيه الخير ، فأبقاه عنده يخدمه. ثم ان الدعاة عادوا مرة ثانية وطلبوا رجلا يقوم بأمر خراسان فدفع اليهم أبا مسلم هذا وهو صغير السن كما ترين وأوصاه بما أوصاه . فهل يعرف أباه »

فاستغربت ريحانة الحكاية ، ثم عادت الى مهمتها الأصليه فقالت : «آمنا وصدقنا ، والآن لا تخرج عما أكلمك فيه . انظر (ومدت يدها وأخرجت الصرة ودفعتها اليه) هذه هدية من مولاتك جلنار وأنا أريد أن أنوط بك مهمة سياسية »

فتناول الصرة ضاحكا ووضعها في جيبه وقال : « سمعا وطاعة »

قالت : « أنت تعلم أن مولاتنا الدهقانة مخطوبة لابن الكرماني أمير الجند الذى يحاصر مرو ، وستزف اليه قريبا . ولكنني رأيت الليلة أن أجل الكرماني قصير وان هذا الخراساني سيغلبه ، ولقد لحظت أنا أنه يميل الى مولاتنا ويرغب فى أن يتزوجها ولكنه لم يصرح بذلك . فمهمتك الآن أن تبحث عن هذا بدهاء وحسن أسلوب ، ولا تدع أحدا يشعر بك .. ولابد من معرفة ذلك الليلة »

قال : « هذا على هين . واذا فرضنا أنه لم يحبها بعد فانى أجعله يحبها ٠ ما رأيك ؟ »

قالت : « اذا كان ذلك فى استطاعتك فان مكافأتك عظيمة جدا ٠ وهذا سر عميق »

فأطرق الضحاك برهة وقد بدا الجد فىوجهه ثم التفت الىريحانة وقال : « انى ذاهب الساعة فادعى لى بالتوفيق »

قالت : « امض وفقك الله »

فقال : « أمهلينى ريثما أصلح منشأنى أمام مرآتك » . ووقف أمام مرآة من النحاس على الحائط وحل عمامته وجعل يلفها بأسلوب مضحك وعبث بشعر لحيته وشاربيه حتى تعربس وانتفش ٠ وخلع جبته ولبسها مقلوبة وخلع نعليه .ووضعهما فى منطقته ومشى حافيا وهو يضحك !

□

أما أبو مسلم فقد سار مع خالد ، بين الأشـــجار والرياحين ، والخدم يسيرون أمامهما بالشموع ، حتى وصلوا الى بيت بجانب الســـور قد أضىء بالمصابيح ٠ فدلوهما على الأسرة المعدة لرقادهما ورجعوا ٠ فلما دخلا أخذ أبو مسلم يخلع ثيابه وسلاحه ويتأهب للرقاد وهو لا يتكلم ٠ وكان خالد فى شاغل من أمر جلنار وما شـــاهده من جمالها وما لحظه من نظرها الى أبى مسلم . وما كان من جمود هذا حتى انه لم يشر اليها بعد ذلك بكلمة ٠ فظل خالد ساكتا وأخذ فى خلع ثيابه وسلاحه ، ولم يستغرب سكوت أبى مسلم لعلمه أنه كثير السكوت لا يتكلم الا قليلا ويندر أن يضحك



الخازن ابراهيم والأبله

رجع ابراهيم الخازن بالاكياس الى غرفة فى ذلك المنزل بعيدة عن غرفة ابى مسلم وخالد . وامر الغلمان ان يضعوا الاكياس وينصرفوا . وكان ابراهيم يهودي الاصل ، وقد اسلم ابوه رغبة فى الكسب لا رغبة فى الاسلام ، وشب ابراهيم هذا وهو اشد من ابيه طمعا ، وظل يتزلف ويتملق حتى تقرب من النقباء رجال الدعوة . وكان حاسبا ماهرا فجعله ابو مسلم خازنا له ، وكان يقبض الاموال ويدونها رغبة فى الكسب من ذلك . ولم يكن كسبه من التلاعب فى عد النقود او سرقة شيء منها لانه لم يكن يستطيع ذلك الا نادرا ، ولكنه كان يكسب بتبديلها . لأن النقود كانت فى ذلك الحين أنواعا كثيرة هناك، ومنها ناقص الوزن وكامله لاختلاف ضاربيها . فالنقود التى ضربها الحجاج سنة ٧٥ هـ كانت ناقصة ، فلما تولى ابن هبيرة ضرب أجود منها ، ولما تولى خالد القسرى زاد فى تجويدها ، وضرب بعده يوسف بن عمر فأفرط فى التشديد والتجويد . فكانت النقود الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية ؛ وسميت نقود الحجاج بالمكروهة ، فكان ابراهيم اذا قبض مالا من الدهاقين او غيرهم من نصراء الشيعة دونها فى دفاتره بعددها . . ولكنه لا يعين صنفها فاذا كان فيها نقود هبيرية أوخالدية أو يوسفية أبدل بها نقودا مكروهة فيربح من ذلك شيئا كثيرا . وكان لا يخلو صندوقه من أكياس من النقود المكروهة لأجل الاستبدال عند الحاجة . فلما خلا الى نفسه تلك الليلة ، اغلق باب غرفته واطفأ المصباح ، واشتغل بابدال تلك النقود خلسة وهو يحاذر أن يسمع رنينها

وكان الضحاك يعرف ابراهيم هذا ويعرف اباه من قبله . فلما ذهب فى المهمة المذكورة ، اعتزم الاستعانة بابراهيم لعلمه بتفانيه فى سبيل المال . وأما ابراهيم فلم يكن يعرف الضحاك ولا فهم من امره الا انه رجل مهذار خليع أو مجنون

فمشى الضحاك فى الحديقة والقمر قد تكبد السماء ، وجعل يخطر الهوينى وهو ينظر الى السماء كأنه يعد نجومها أو كأنه يقرأ صفحة مكتوبة فيها ، حتى دنا من غرفة ابراهيم فوقف ببابها وتباله وأذناه مصغيتان ، فسمع حركة ثم سمع خشخشة . وكان ابو مسلم وخالد قد ناما وانصرف الخدم ، ولم يبق فى الحديقة احد ، ولم يعد يسمع غير جعجعة الجمال خارج المحلة من بعد . وظل

الضحاك واقفا بباب ابراهيم حتى ظنه فرغ مما هو فيه ، فطرح كيس النقود الذي معه على بلاطة هناك ، فكان لوقعه طنين وخشخشة ظهرا قويين لهدوء الليل

وكان ابراهيم يعمل في ابدال النقود ويحاذر ان تسمع حركة احتكاكها ، فأصبح لشدة محاذرته يخاف ان يكون لتنفسه صوت. وكان يظن ان كل شيء ساكت هادىء ، فلما سمع وقع كيس الضحاك على البلاط أجفل وبغت ، وظل هنيهة جامدا ينصت لعله يسمع صوتا آخر فلم يسمع . فأقبل الى الباب ففتحه رويدا رويدا خوفا من صريره ، وأخرج رأسه وتلفت فرأى الضحاك على بضع خطوات من غرفته واقفا هناك ويداه خلف ظهره ، وقد ولى وجهه نحو السماء ينظر الى غيوم تتسابق الى القمر . فتفرس ابراهيم في المكان الذي سمع الخشخشة منه فرأى كيسا حريريا ملونا ، فحدثته نفسه ان يخرج لالتقاطه ولكنه خاف ان ينتبه له الضحاك ، ثم تذكر انه ابله لا يفقه شيئا وأنه لو كان ممن ينتبهون لم يسقط منه الكيس على تلك الصورة . . فاختلس خطوتين حتى تناول الكيس وهم بالرجوع ، واذا بذلك الابله يقهقه بصوت عال، فارتعدت فرائص ابراهيم وانتفض انتفاض الطير حتى كاد الكيس يسقط من يده ، ولكنه تجلد وتظاهر بأنه خرج من الغرفة لشأن له ونظر الى الضحاك فرآه يمشي نحوه ، وهو يخطر ويطيل خطاه كأنه يتخطى اقنية . فابتدره ابراهيم بالكلام، وقال : «هل انت تذرع الارض أم تعد نجوم السماء ؟»

قال وهو ينظر الى السماء : « بل أنا أفتش عن نقودي ، فقد كان معي كيس واظنه وقع هنا » . وأشار الى القمر

فضحك ابراهيم وتأكد بله الرجل وصمم على اخفاء الكيس ، وقال : «هذا جائز » . وتحول الى غرفته ، ولم يبلغ الباب حتى أدركه الضحاك ، وقبض على رقبته قبضة شديدة ، ثم دفعه الى الغرفة دفعا . وكان ابراهيم لقصر قامته وجبنه لو أراد الضحاك أن يقبض عليه ويرمى به من فوق السور لفعل. على انه لو كان شجاعا ما استطاع الكلام خوف الفضيحة وايقاظ النائمين ، اذ ربما استيقظ أبو مسلم أو خالد أو غيرهما ممن يخاف الفضيحة لديه اذا رأى أن يدخل غرفته فيكشف امره ، لأن الاكياس كانت لاتزال مفتحة والنقود مبعثرة . وزد على ذلك ان الذنب يصغر النفس ويذلها ويجعل السيد عبدا . ولكن ابراهيم لم يكن ليفتح باب غرفته في تلك الساعة لو لم يسمع طنين الدراهم ، فلما رأى الكيس على الارض ظن انه يلتقطه ويرجع لساعته . فلما رأى نفسه بين يدي الضحاك وقد دخل معه الغرفة ارتبك في امره ثم أظهر انه يمزح فقال : « هذا كيسك قد سقط على من السماء فخذه »

فوقف الضحاك وتناول الكيس بأطراف أنامله ، ثم تركه فسقط على الارض فخشخش . . فأسرع ابراهيم فالتقطه وقال : « أليس هذا كيسك ؟ »

قال وهو يضحك : « لا اعرفه الا على النور فهلا اضاءت شمعة ؟ »

فقال : « تعال ننظر اليه على ضوء القمر » . وامسك بيده وأراد اخراجه ، فاذا هو ثابت في مكانه كالشجرة المغروسة لايتزحزح . فقال له : « اذا كنت تظن نقودك قليلة فانا أزيد لك عليها »

فنظر اليه واحنى رأسه كالساجد وقال : « ولكنني لا آخذ الا نقودا يوسفية »

فلما سمع ابراهيم ذلك خفق قلبه ، لأن ضميره بكته وظن ان ذلك الابله مطلع على أسراره . والمجرم يخاف خياله ويحسب ان الطبيعة تراقب اعماله ، ولكنه عاد الى عقله واستبعد اطلاع هذا الابله على سره وقال : « هي نقود يوسفية . نعم »

قال : « ألم تبدلها بعد ؟ » . وضحك

فتحقق ابراهيم أن الضحاك مطلع على امره ، وربما كان قادما اليه بدسيسة . ولكنه لجأ الى المغالطة وأراد اخراجه من الغرفة ليبعده عن مكان الشبهة فلم يستطع ، فقال له : « تفضل . . اجلس » . وظن انه سيخالفه فيخرج ، فاذا به قد قعد على الارض وامسك بيده واجلسه ، فجلس وهو لايدرى ماذا يعمل ، وقد ركبه الخوف فاطاعه ليرى ما يبدو منه . ولم تكن الغرفة في ظلمة حالكة لأن ضوء القمر كان ينفذ اليها من الباب، وكانت الاكياس والنقود ظاهرة . فالتفت الضحاك اليها وقال : « هل اعينك على جمع هذه الاكياس وهل امحو منها لفظة (يوسفية) وأكتب لك مكانها (حجاجية) ، فان ذلك أولى من ظهور الخيانة »

فاقشعر بدن ابراهيم ، وقال له : « قل لي بالله من أنت وما غرضك ؟ . فانك لست أبله كما تتظاهر . من انت ؟ »

فقال له : « أنا الضحاك . الا تعرفني ؟ . . هذه عمامتي وهذه جبتي وهذه نعالى ثم ماذا ؟ »

فقال : « لا تخدعني بالمزاح ، صرح ولك مني ما تشاء »

قال : « أنا الضاحك المبكي، فعسى الا تكون باكيا وانت خازن هذه الحملة ! »

قال : « قلت لك صرح وأخبرني عن حقيقة أمرك ، ولك ماشئت »

قال : « لا تهمك حقيقة أمرى . واني استرذنبك لقاء حاجة تقضيها لي ! »

فسر ابراهيم واحس بانفراج كربه وقال : « اطلب ما شئت فاني فاعل ما تريد »

قال : « هل لك دالة على ابي مسلم ؟ »

فاطرق ابراهيم وظهر عليه الارتباك وقال : « ليس أبو مسلم ممن تؤخذ عليه الدالة لأنه شديد غضوب يندر أن يضحك ، ولايتكلم الا قليلا، وجلساؤه

يخافون غضبه لأنه يقتل لأقل شبهة . واظنك سمعت وصية الامام التي تلاها على مولاك الدهقان الليلة ، وهو يوصيه فيها بأن يقتل كل من يشك فيه . فمن كان هذا شأنه فلا سبيل الى الدالة عليه . أما اذا كان لك غرض عنده ، فاني أبذل ما في وسعي للوصول اليه » .

قال : « لقد نطقت بالصدق ، ولو قلت لي غير ذلك لاتهمتك وشككت فيك ، وعند ذلك يحق لي أن انفذ وصية الامام فيك » . وضحك ثم قال :

« ومرادي أن اسألك سؤالا آخر . هل عندك للسر مكان ؟ »

قال : « بئر عميقة . . لا تخف »

قال : « لا أخاف منك لأن روحك في يدي ، وليس أسهل على من ان القى الشك في قلب أبي مسلم . ويكفي ان اذكر له مسألة النقود اليوسفية » . ثم نهض بغتة ويده في منطقته ، فأخرج منها النعلين ولبسهما ووقف . فعجب ابراهيم لعمله وخاف أن يعود جنونه فتحدثه نفسه أن يشكوه الى الامير في تلك الساعة ، فنهض معه وأظهر الاهتمام به وقال : « ما بالك يا أخي ؟ قل ما هو السر ؟ »

قال : « نسيته في البيت فأنا ذاهب لاستدعائه » . وضحك

فضحك ابراهيم مجاراة له ، ولكنه ازداد خوفا من ذلك التباله ، ولم يعلم كيف يسترضيه ، فقال له : « بالله كف عن المزاح وأخبرني ، وحياتي في يدك . . فلا تخف وأنا أنما أريد قضاء حاجة لك »

فمشى الضحاك فتبعه ابراهيم حتى خرجا من الغرفة ، فلما استقبلا ضوء القمر التفت الضحاك وقال : « هل يحمل أبو مسلم أهله معه اذا سافر ؟ »

قال : « تعنى هل يصحب امرأته في سفره ؟ كلا انه يتركها في منزلها وحولها الارصاد والعيون لأنه شديد الغيرة ولا يدع لها سبيلا للخروج من البيت ، ولا يدع أحدا يدخل قصره غيره . وفي قصره كوى يطرح لنسائه منها ما يحتجن اليه . وبلغني انه يوم زفت اليه امرأته أمر بالبرذون الذى ركبته فذبح وأحرق السرج لئلا يركبه أحد بعدها ! »

فقطع الضحاك كلامه قائلا : « تقول (لنسائه) كأنه تزوج عدة نساء ؟ »

قال : « كلا انه لم يتزوج اثنتين معا قط ، وهو يكره الزواج ويعده جنونا . ومن اقواله المأثورة : (الزواج جنون ، ويكفى الانسان ان يجن في السنة مرة) . فمن كان هذا اعتقاده لا يهتم بالنساء ، ولكنى أردت بنسائه اللواتي في قصره من الجواري والحواضن ونحوهن مما تقتضيه مظاهر الامارة »

فلما سمع الضحاك قوله أطرق ، وكأنه ثاب اليه رشده . وادرك ابراهيم ان ذلك السؤال لم يكن عبثا ، فاستأنس بهدوئه فقال له : « ان امر هذا الرجل غريب جدا لم أسمع بمثله ، ولعل هذه الخلال من أسباب نجاحه لأنه ينقطع عن

كل شيء في سبيل القيام بدعوته . . فتراه لايضحك ولايمزح ولايلهو بشيء قط »

قال الضحاك : « وصلنا الى السر . بلغني انه لما شاهد مولاتي الدهقانة الليلة شغف بها وكأنه أراد ان يتزوجها . وبما ان مولاتي مخطوبة لأمير آخر ، فاذا كان أبو مسلم يريدها لنفسه فاني أستطيع تحويل الخطبة اليه . هذا سر بيني وبينك ، فهمت ؟ »

قال ابراهيم : « لا تخف يا اخي فقد أوسعتني تحذيرا . أما انه رأى الدهقانة واحبها فهذا أمر بعيد ، وهو لايرفع بصره الى النساء لأنه غيور ويعرف قدر الغيرة . اما اذا كان الامر على خلاف ذلك فأرجو أن تصرح »

فالقى الضحاك يده على كتف ابراهيم ، وهو يخفض بصره ليراه لقصره وقال : « اظنك تعني ان الدهقانة احبته وكأنها أحبت الاقتران به . فهب ان هذا هو الواقع فما قولك ؟ »

قال وهو يرفع بصره نحوه : « ان ذلك يحتاج الى استرضاء ابي مسلم . واسترضاؤه ليس بالامر السهل لأنه يكره الزواج كما قلت لك »

قال : « اذن أنت لاترجو قبوله »

قال : « لا أرجوه ولا انا قانط منه ، فالامر يحتاج الى روية وسعي » . قال ذلك وأمسك بمنطقة الضحاك وقال : « اسمع ، انك تجعل نفسك مهذارا وانت أذهى مني . قد خطر لي خاطر ، اظنه يؤدي الى تحقيق غرضك . لايستطيع احد أن يفاتح ابا مسلم في أمر الزواج الآن ، ولكنني أرى ان نسترعي انتباهه الى الدهقانة بان نذكر له مثلا انها شديدة الغيرة على اهل الشيعة متفانية في نصرتهم ، وانها تحب أن تخدمه فيما يؤيد دعوته وينصره على أعدائه . فاذا اجتمع بالدهقانة بعدئذ ثم رأى منها مايدل على نصرته حقيقة فلعله يحبها . هذا ما أراه وقد أكون مخطئا » . قال ذلك وهز منكبيه ، فقال الضحاك : « هذا هو الصواب . . فهل تستطيع أن تتوسط في أمر اجتماعهما ؟ على اني اقول هذا من عندي ، وأخاف الا تقبله مولاتي »

قال : « اني في خدمتك بقدر ما أستطيع »

وكانت سحنة الضحاك قد اكتسبت أثناء الحديث طابع الجد ، وكاد المجون ان يذهب عنها . فلما سمع قول ابراهيم عاد الى مجونه ، فالتقط ذيل جبته وأدارها حول ابراهيم فاختفى فيها لقصره ، فاجفل وانسحب من تحتها فوقعت عمامته على الارض فالتقطها وهو يضحك ، فقال له الضحاك : « والله انك رجل لطيف ومتواضع ، فانك خازن الامير وتتحمل مجون خادم مهذار مثلي »

قال : « لا اظنك مهذارا يا اخى ، ولابد لك من شان . والآن الا تأخذ الكيس بما فيه ؟ »

قال : « ليس هو لى ، وانما سقط من القمر وانت التقطتـه . فاحتفظ به لنفسك ، واذا وفيت بوعدك فلك عنـدنا من هـذه الاكياس ما يغنيـك عن استبـدال الدرهم بالدرهم سرا حتى تخاف خادما مهذارا . . هل فهمت ، السلام عليكم » . قال ذلك وتناول نعليه بيديه وهرول مسرعا الى ريحانة ، وقد تغير الطقس وتلبدت الغيوم وهبت الرياح وفيها رائحة الشتاء ، وكانوا فى اوائل الربيع حين يتقلب الطقس على غير انتظار

▭

لبثت جلنار فى غرفتها تنتظر بفارغ الصبر ، وقد تعاظم قلقها واضطرابها لما تتوقعه من فشـل المهمة التى ذهبت فيها ريحانة . فكانت اذا سمعت اى حركة ، خفق قلبها ، وحدثتها نفسها ان تخرج من الغرفة لعلها تلهو بشىء او تسمع من ريحانة اوالضحاك ما يقوىعزمها او يطمئن قلبها . وفجاة سمعت جعجعة جمل فى الجهة الاخرى من القصر فاستأنست بصوته لانه من معسكر حبيبها ، ثم ازدادت الجعجعة . . فهمت بالخروج لترى ما هناك ، ثم وقفت واصغت فلم تعد تسـمع صوتا فعادت الى الفراش ، ولـكنها سمعت وقع خطوات خفيفة فاستغربت ذلك ، ثم سمعت نقرا خفيفا على الباب فنهضت وفتحته وقلبهـا يدق دقا شـديدا ، فاذا بريحانة هى القـادمة فسرى عنها لرؤيتها ، ودخلت ريحانة مسرعة وهى تتعثربسراويلها المنتفخة والبغتة بادية فى وجهها . فابتدرتها جلنار بالسؤال عما جرى ، فضمت انامل يدها اليمنى تستمهلها ، وقالت بصوت منخفض وهى تلهث وتتلفت يمينا وشمالا : « تمهلى ياسيدتى » . ثم اصـاخت بسمعها ، فسكتت جلنـار واصغت فلم تسمع شيئا ، فنظرت الى ريحانة مستفهمة ، فاجابتهـا بصـوت خافت : « لقيت الضحاك وارسلته فىالمهمة المعروفة ، ومكثت فىغرفتى قليلا ثم خرجت اليك وانا احاذر ان يرانى احد . وقبل دخولى فى الرواق سمعت مولاى الدهقان يتنحنح على مقربة منى فذعرت وخفت ان يكون قد رآنى ، فوقفت هنيهـة والضوء ضعيف فلم اسـمع شيئا . . فخلعت نعالى ومشيت حافيـة على اطراف انامل حتى جئت اليك »

فقالت : « اظنك واهمة لان ابى لايسهر الى هـذا الوقت ، وهبى انه رآك فهذا لايوجب قلقا . اخبرينى الآن عن الضحاك ومهمته »

فقصت عليها اهم ما دار بينها وبينه الى ان قالت : « وانا فى انتظار رجوعه

لارى مايخون ، ولا ريب عندى فى ان هذا العربى مع ما يظهر من مجونه وبلهه ذو أريحية وحماسة ، ولا اظن مجونه الا تصنعا »

قالت : « وما الذى يدعوه الى التظاهر بالبله وهو عربى ، والعرب أصحاب هذه الدولة ، فلو لم يكن البله سجية فيه لكان من اكبر رجال الدولة وكان فى غنى عن الخدمة »

فاشارت ريحانة براسها وعينيها أن « صدقت مولاتى » . ثم قالت : « ومهما يكن من شانه ، فانى واثقة بحميته وصدق خدمته ، وسترين . ولكن لابد من الذهاب الى غرفتى لأنتظره فيها كما تواعدنا »

فقالت : « ارى أن أخرج معك لأجتمع به عندك »

ففهمت ريحانة قصدها وأومات ايماء الاستحسان والطاعة ، ولبثت تنتظر امرها . فاذا بها قد نهضت من الفراش ، وكان على اللحاف مطرف من خز أحمر مبطن بالفرو فالتحفت به فغطاها كلها ، ولفت راسها بشال من الكشمير موشى بالحرير ، فلم يبق ظاهرا منها الا مقدم وجهها . فمشت الماشطة امامها وسارتا نحو غرفتها . وما أن خرجتا من الرواق حتى سمعتا هبوب الزوابع وتنسمتا رائحة الشتاء ، فسرى عن جلنار لسبب لا تعلمه ، وارادت أن تكلم ريحانة ، ثم امسكت حتى وصلتا الى الغرفة فدخلتا واغلقت ريحانة الباب وأسرعت لاعداد مقعد لسيدتها ، فقعدت جلنار ووجهها تجاه المسرجة . ولما قعدت نزعت الشال عن راسها فبان وجهها وقد زاده الدفء رونقا وجمالا ، فتاملتها ريحانة معجبة بجمالها ولم تتمالك عن تقبيل راسها . ثم جثت بين يديها وأخذت فى اصلاح ما بعثره الخمار من شعرها وقالت : «سبحان الخالق . كيف لايسحر الخراسانى بهذا الجمال الذى لامثيل له ؟ »

فتنهدت جلنار وسكتت هنيهة ، ثم تذكرت شيئا مر بخاطرها لما سمعت هبوب الرياح وهمت بأن تقوله لما شطتها فقالت : « شعرت يا ريحانة ونحن قادمتان الآن براحة وطمأنينة لسبب لا اعلمه »

فابتسمت الماشطة وقالت : « جعل الله كل ايامك راحة وسعادة » . ثم نهضت وقالت : « وانا أيضا شعرت بمثل ذلك واظن السبب واحدا وهو هبوب الرياح وتوقع المطر ، فانى كثيرا ما أكون منقبضة النفس فاذا أمطرت السماء سررت وذهب عنى الانقباض » . ثم وقفت هنيهة تجاه المرآة لغير غرض مقصود ، وتحولت فجأة الى سيدتها وقالت : « اظن لسرورنا بهذه الرياح سببا آخر هل أذكره ؟ »

قالت : « قولى »

فضحكت وقالت : « لأن الزوابع يعقبها المطر الشديد ، واذا اشتدت الامطار

كثرت الاوحال وسدت الطرق فيتأخر أضيافنا عن السفر يوما أو بضعة أيام»

فتبسمت جلنار ، وهمت بالكلام ولكنها سمعت ضحكة عالية أدركت انها ضحكة الضحاك ، ولم تكن تتوقع أن يجعل لقدومه مثل هذه الضوضاء وهم في حال تدعو الى التكتم . فنظرت الى ريحانة فرأتها في مثل حيرتها ، وقالت هذه : « صدقت يامولاتي انه أبله حقيقة »

ولبثتا بعد تلك الضحكة تتوقعان وصوله ، فسمعتاه يقول بصوت عال : « صدقت يامولاى الدهقان ، ان الطقس قد تغير ولا يلبث المطر أن يهطل لأن مطر الربيع قد يكون جارفا . وأنا لا أستطيع النوم في مثل هذه الليلة » . وضحك . فلما سمعتا ذلك علمتا ان الدهقان لايزال ساهرا ، فخافت ريحانة ان يعلم بهما فتقدمت الى السراج وغطته بحيث لايبدو نوره من شقوق الباب فلما فعلت ذلك سمعتا الضحاك يقول : « ألم أقل لمولاى ان ماظنه نورا خارجا من الغرف ، انما هو من فضلات البرق اذ ليس في هذا القصر ساهر سوى مولاى وأنا . واذا ظل مولاى الدهقان ساهرا فلا عجب اذا كان أهل القصر سهارى . أما أنا فاني ذاهب الى الفراش بعد أن أكون في خدمة مولاى حتى يدخل فراشه لأن سائر الخدم نيام ، واذا أحب أن أونسه بقية هذا الليل فعلت »

فخفق قلب جلنار عند سماعها كلامه لأنها أدركت ان أباها أساء الظن بريحانة ، وسأل عن سبب النور الخارج من غرفتها ، وأعجبها الضحاك وحسن تخلصه . على انهما مكثتا صامتتين لا تتحركان ، فلما مضت مدة لم تسمعا فيها صوتا أيقنتا أن الدهقان ذهب الى فراشه ، ولا يلبث الضحاك أن يعود اليهما . فأخذت جلنار تتأهب لسماع الحكم على عواطفها ، فاما الى النعيم واما الى الجحيم . ولم تكن تتوقع الشعور بمجيء الضحاك أو سماع خطواته قبل وصوله الى الباب ، لتعاظم هبوب الرياح وحفيف الشجر وقصف الرعد



رسالة . . وهدية

وبعد قليل سمعنا قرعا خفيفا على الباب ، فاجفلنا ، واسرعت ريحانة الى فتحه واذا بالضحاك يدخل مسرعا ، وهو فى ذلك القباء المقلوب ، وعمامته مشوهة ونعلاه فى منطقته وشعر لحيته منتفش وهيئته غاية فى الغرابة . فلما وجد جلنار هناك ، اجفل وقام باصلاح شعره وتسوية عمامته وهو يضحك بلا قهقهة ، واخرج النعلين من منطقته فوضعهما بالباب ، ووقف متادبا كانه مارد لطوله . فابتسمت جلنار من منظره وحركاته فقال لها : « اعذريني يامولاتى فانى لم اكن احسبك هنا ، والحق على هذه الملعونة» . واشار باحدى يديه الى ريحانة وباليد الاخرى الى عمامته ، فضحكت جلنار لأسلوبه فى التخلص من غضب ريحانة ، واما ريحانة فغالطته وقالت : « ان الدهقانة مسرورة من همتك ونشاطك »

فقطع كلامها بصوت منخفض وقال : « وأنت؟ الا تسرين الا اذا كان العريس لك ؟ »

فقالت : « دعنا من المجون ، ارو لنا ما فعلت ، والزم الجد بحياة مولاتنا الدهقانة »

فلما سمع قولها وقف بين يدى جلنار متادبا ، فاشارت اليه ان يقعد فقعد ، واخذ فى سرد ما حدث منذ ساعة خروجه من غرفتها الى ان لقى ابراهيم الخازن ، وكيف احتال عليه واخرجه من حجرته وما دار بينهما ، حتى انتهى الى ماتم الاتفاق عليه بينهما ، ولكنه لم يذكر ما قاله الخازن عن كره ابى مسلم للنساء ، لعلمه ان هذا يسيء الى جلنار وقد يوقعها فى اليأس . على انه اخبرها ان احدا من خاصة أبى مسلم لايستطيع أن يكلمه فى امر الزواج تهيبا ، فاذا لقيته هى فلا بأس بأن تخاطبه فى هذا الشأن لأنه يحبها ويتمنى قربها ، ولاسيما اذا اظهرت له غيرتها على الدعوة التى هو قائم بتأييدها

وكانت جلنار تتلهف لسماع الحديث ، فلما فرغ منه انقبضت نفسها لانها كانت ترجو ان تعرف شيئا عن ميل أبى مسلم اليها ، فسكتت وظهر الانقباض فى وجهها ، فأدركت ريحانة سبب انقباضها وأرادت انعاش أملها فقالت : « بورك فيك يا ضحاك ، ما الطف أسلوبك فقد فعلت كل ما فى الامكان »

فقال : « انى لم اعمل شيئا بعد ، ولكننى مهدت السبيل ، فاذا رات مولاتى

أن أبدي لها رأيي فيما ينبغي أن تعمله فعلت »

فقالت جلنار : « قل يا ضحاك »

قال : « أرى أن تهيئي وسيلة لتجتمعي بأبي مسلم ويدور بينكما الحديث»

فاحمر وجه جلنار خجلا اذ تصورت نفسها في خلوة مع أبي مسلم ، وهي قد شبت على الا تخاطب من الرجال غير ابيهـا وخدم قصرها . ثم تذكرت انها لاتستطيع الوصول الى تلك الجلسة الابالتزلف والتذلل والنزول عن انفتها وعزة نفسها . ثم هي فوق ذلك ستخالف مشيئة ابيها وتتعرض لغضبه اذا علم بذلك الاجتماع . فلما تصورت ذلك غلبت عليها عزة النفس ، فتراجعت في مجلسها وهزت رأسها ولسان حالها يقول : « لا أفعل ذلك »

ففهم الضحاك ما يجول في نفسها ، فرفع حاجبيه وقلب شـفته السفلى كأنه يقول لها : « الامرأمرك». ثم قال : « لا أنكر يامولاتي أن ذهابك للاجتماع به لايخلو من التنازل و . . »

فخافت ريحانة أن يذكر لها أصل أبي مسلم ومنشاه ، فاعترضت حديثه قائلة : « لا أرى في ذلك تنـازلا ، لأنها اذا ذهبت اليه أو كلمته فانها تخاطب شابا هو اعظم رجل في خراسان وقائد رجال الشيعة . . تحت امرته شيوخ من قواد الخراسانيين وامرائهم ، ويكفي انالامام اختاره لهذا المنصب العظيم . واذا نظرت الى وجهه علمت أن المستقبل له لا محالة »

فلما سمعت جلنار هذا الاطناب تحركت فيها عوامل الحب ، ولكنها ظلت ساكتة . وفهم الضحاك ان ريحانة لا تريد أن يذكر شيئا عن أصل ابيمسلم امام جلنار فقال : « لا أنكر منزلة هـذا البطل الشاب ، وانما أردت بالتنازل ذهاب مولاتي الدهقانة اليه وهي فتاة ، الا اذا كانت تحب . . . (وبلع ريقه) فتلك مسألة أخرى هي أعلم بها » . قال ذلك وضحك وهو مطرق برأسه وعيناه مرتفعتان نحوها

أما جلنار ، فان الاهتمام ظهر في عينيها وسكتت وتشاغلت بارسال ضفائر من شـعرها الى ظهرها كانت قد استرسلت الى الامام عند انحنائها . ثم اصلحت القرط فيأذنها وهي مطرقة ، وأدركت ريحانة ولحظ الضـحاك انها تتردد في أمر الاجتماع ، وظلوا صامتين هنيهة . وأخيرا بدأت ريحانة الحديث قائلة : « تبصري يامولاتي في الامر على مهل ، فان القوم باقون هنا بضعة أيام بسبب الامطار »

فظلت جلنار صامتة مطرقة ، فأدرك الضحاك انها لا تزال مترددة فقـال لها : « اذا أذنت مولاتي لمملوكها أن يصرح بما في ضميره فعل »

قالت جلنار : « قل »

قال : « يلوح لي انك تكبرين أمر ذلك الاجتماع ، ونحن نعلم انفتك وعزة نفسك ، ولكن أبا مسلم قد حصر قواه وعواطفه في أمر الدعوة التي قام بها ،

وما من سبيل يوصلنا الى قلبه غير هذه الدعوة ، فارى أن تبدأ سيدتى تبادل الرأى بينها وبينه فى شىء يدل على عطفها على قضيته ، فيكون ذلك فاتحة العلاقة . ثم نرى ما يكون »

فسرت جلنار ، وظهر السرور على وجهها فكان جوابا كافيا للضحاك ، ثم قالت له ريحانة : « أصبت يا ضحاك . . بورك فيك ، أوضح لنا ما تعنى »

قال : « أرى أن تبعث مولاتى الى ابى مسلم بما يدل على تأييدها لدعوته ورغبتها فى رضاه . ونرى ما يكون منه »

قالت ريحانة : « اظنك تعنى أن ترسل اليه المال »

قال : « المال وغير المال كما تشاء »

فقطعت جلنار حديثهما قائلة : « فهمت . . ولكن ....» . ونظرت فى وجه ريحانة كأنها تستطلع رأيها فى أمر لاتريد التصريح به أمام الضحاك ، فادركت ريحانة ذلك فنهضت وهى تقول : « اظنك يامولاتى قد تعبت من السهر »

ففهم الضحاك مرادها ، فنهض واحنى رأسه ويداه على صدره يستأذن فى الذهاب . وقال : « انى رهين ما تامرينني به » . قال ذلك وخرج

نهضت جلنار ، ومشت الى غرفتها وهى تسترق الخطى مخافة ان يسمع وقع قدميها . أما ريحانة فانها سارعت الى السير فى أثرها حتى وصلتا الى غرفة جلنار ، فدخلتا وتوسدت جلنار فراشها وتغطت باللحاف والتفت بالمطرف ، دفعا لما احست به من البرد فى أثناء مرورها فى الرواق . وجلست ريحانة بين يديها وقد لفت راسها وعنقها بالشال . فلما استتب بهما المقام ، قالت ريحانة :« هونى عليك يامولاتى فلن نعدم وسيلة الى حل مشكلتك »

فقطعت جلنار كلامها قائلة : « وكيف نستطيع حلها ، وانا كحجر بين مطرقتين او ثلاث . فابى من جهة قدعقد خطبتيعلى ابن الكرمانى وسيزفنى اليه قريبا ، وارى نفسى منجهة أخرى مقيدة القلب ولا ادرياذاكانت المحبة متبادلة . فكيف الخلاص ؟ . وماذا اصنع اذا لم تكن المحبة متبادلة ؟ » . قالت ذلكوشرقت بريقها واحمرت وجنتاها ، ولحظت ريحانة فيعينيها دمعتين تترددان بين الاماقى فتاثرت لحالها وشعرت بحرج موقفها ، فبادرت الى التخفيف عنها فقالت : « أما ابن الكرمانى فليس أمره بذى شأن ، لأنك لو زففت اليه لما استطاع الاحتفاظ بك الا اذا انتصر على أبى مسلم ؛ وفى هذه الحالة لايكون أبو مسلم كفؤا لك ، وأما اذا كانت الغلبة له فانه لايلبث ان يستولى على كل ما هو للكرمانى . فتكونين له ولا تعدمين وسيلة تصونين بها نفسك عند الكرمانى حتى ذلك الحين ».

فادركت جلنار ما عرضت به ريحانة ، وتملكها الخجل ، فتكلفت الابتسام ، وعادت ريحانة اليحديثها فقالت : « بقيعلينا النظر فيالوسيلة الى ابيمسلم، والحق يقال ان رأى العربى المهذار أهل للأخذ به . لان زيارتك لابى مسلم مفاجأة ، وهى بغير سابق تراسل لا تخلو من الابتذال ، وخير منها ان ترسلى

اليه مع الضحاك بعض المال معاونة له على نجاح دعوته . ثم يتلطف الضحاك فيفهمه ان هديتك هذه دليل حبك اياه واخلاصك لدعوته . ونرى ما يكون من جوابه . واذا رايت أن ترسلى اليه هدية خاصة به تؤكد محبتك ، فعلت»

فأشرق وجه جلنار لهذا الرأى ، وكانت متكئة فجلست وقالت : « لقد اعجبنى ياريحانة رأيك هذا ، وان ارسال الهدية الخاصة معين على معرفة رأى ابى مسلم فى . فما عسى أن تكون تلك الهدية ؟ »

قالت : « السيف اجل هدية تهدى للقواد ، فاذا بعثت اليه بسيف مرصع ، وابلغه الرسول انه هدية منك اليه ، ازداد اعتقاداً بسلامة نيتك فى نصرته ، واذا كان فى نفسه شيء ظهر »

فقالت : « ومن أين آتى بهذا السيف ؟ »

قالت : « ذلك يسير على من يبذل المال ، فاعط الضحاك مالا ، فيذهب ويعود اليك بالسيف فى ساعة ! »

ففرحت جلنار بهذا التدبير وقالت : « انى اكل تدبير الامر اليك ، واما النقود فهى عند الخازنة ، خذى منها ما تشائين ، واحذرى أن يعلم ابى فنقع فى مشكلة يصعب حلها »

قالت : « كونى مطمئنة يا مولاتى ، وخففى عنك ونامى وسوف اقوم بتدبير كل شيء »

ثم قبلت رأسها ويدها وعادت الى غرفتها . أما جلنار ، فلم تعرف طعم النوم الا قليلا لعظم اضطرابها وقلقها

□

فلندع هؤلاء فى تدبيرهم ولنرجع الى أبى مسلم ، فقد تركناه فى دار الضيافة ومعه خالد بن برمك ، وهو ساهر يفكر فى مشروعه وفيما عساه أن يحول دونه من العقبات ، فقد كان شديد الحذر متيقظا سيء الظن بالناس . وبعد أن نام هزيعا من الليل افاق على هبوب الرياح وقصف الرعد وتساقط الامطار ، فشق عليه ذلك مخافة أن تحول الاوحال دون سفره . فاطل من نافذة غرفته ونظر الى ما حوله وكان المطر قد انقطع والصبح قد تنفس ، فرأى المياه قد ملأت الطرق وسالت فى أخاديد الارض ، فذهب الى غرفة خالد ولم يكد يدنو منها حتى رآه خارجا منها وقد تزمل بعباءته ، فصاح به قائلا : « خالد ؟ ! »

فقال : « لبيك أيها الامير »

قال : « ما رأيك فى الرسول الذى بعثناه بالامس . هل تظنه تمكن من التجسس ؟ »

قال : « أظنه فعل ، واذا أبطأ فما ذاك الا بسبب الامطار والاوحال »

قال : « اني في انتظاره على مثل الجمر لنعلم حال أعدائنا في مرو، فنتدبر في أمر حربهم »

فقال خالد : « ذلك ما شغل خاطري الليلة وحرمني النوم ، على اني واثق بالرجل واخلاصه ، وهو يخاف غضبك ويكره نصرا بن سيار كرها شديدا »

قال أبو مسلم : « مافي معسكرنا من يحب نصرا ، ولكنني أخشى أن يخدعهم الكرماني لأنه من دهاة الرجال . وقد علمت انه أخرج نصرا من مرو وتملكها »

وفيما هما في ذلك سمعا حركة في داخل الدار ، ثم اذا ببعض الغلمان قد اقبلوا يحملون كانونا فيه نار وضعوه في أحد جوانب الغرفة للاستدفاء ، وذروا فيه شيئا من البخور فانتشرت رائحته في الدار كلها ، فاستأنس ابو مسلم بالدفء والبخور ، وجلس على وسادة فوق البساط والتف بطرف خز اسود ولاك عمامته على راسه واشار الى خالد فقعد الى جانبه ، ثم تذكر انهما لم يؤديا الصلاة بعد ، فنهض ونهض معه خالد وصليا ، ثم قعدا يفكران في امر الرجل الذي ارسلاه لتجسس أحوال مرو قبل وصولهما اليها ، وكانا قد أوعز اليه أن يوافيهما الى هناك

وبعد قليل جاء الخدم بالطعام ، فأكلا ولم يتكلما الا قليلا لأن أبا مسلم كان قليل الكلام . وعند الضحى دخل أحد غلمان ابي مسلم وقال : « ان بالباب رجلا يطلب مقابلة الامير »

قال : « لعله من رجالنا ؟ » . قال : « بل هو من رجال الدهقان» . فقال : « يدخل »

فدخل الضحاك يحمل خريطة أثقلت كاهله ، فوضعها بقرب الكانون واغلق الباب ، ودخل متأدبا في مشيته حتى وقف بين يدي أبي مسلم . فصاح به هذا قائلا : « من أنت وما غرضك ؟ »

قال : « اني من موالي الدهقان ، ولي مع الامير شأن ابديه اذا سمح لي بخلوة »

وكان الضحاك يتكلم محاولا اخفاء أمارات المجون من وجهه ، ولم يتم كلامه حتى نهض خالد وخرج . فأشار ابو مسلم الى الضحاك أن يقعد فأكب على يد أبي مسلم يقبلها وقال : « قد أتيت مولاي الامير في مهمة سرية أرجو أن يكتمها لوجه الله ، وأنا رسول وما على الرسول الا البلاغ »

قال : « لا خوف عليك »

فمد الضحاك يده وأخرج من تحت عباءته سيفا مرصعا دفعه الى أبي مسلم . فاجفل هذا لأول وهلة مخافة ان يكون في الامر دسيسة أو اغتيال ، ونظر في وجه الضحاك والغضب والحذر باد في عينيه . فضحك الضحاك متباله ، وقال : « أيخاف صاحب هذا الجند من مهذار مثلي جاء بهدية .

ومن يجرؤ أن يقـدم على الامير غير خاضع مطيع ؟ انى أرى الموت بين شفتيك والقضاء المبرم فى عينيك ، فبالله الا تبسمت قبل أن أقع قتيلا » .
قال ذلك وهو يتظاهر بالذعر ، أو هو ذعر فعلا ، لأن أبا مسلم كان شديد الهيبة لا يستطيع احد التفرس فى وجهه

فتكلف أبو مسلم الابتسام وهو يتناول السيف بيده ، وليس فى ابتسامه ما يدعو الى الاستئناس او السكينة . ولما تناول السيف تامله وقلبه بين يديه ثم نظر الى الضحاك وكان لا يزال واقفا وقال : « اقعد »

فقعد متادبا وهو يتلفت يمينا وشمالا ، فقال له ابو مسلم : « ما شانك يا رجل ؟ . . الست عربيا ؟ »

فتراجع الضحاك وأظهر الخوف ، وقال : « وهل على بأس من وصية الامام ؟ »

فلم يتمالك أبو مسلم عن الضحك من حركته وهيئته وقال : « ان وصـيته لا تجرى على كل عربى ، بل الامام نفســه عربى . . فاطمئن وقل ما خطبك »

فنظر الضحاك الى الباب نظرة الخائف المحاذر ، وقال : « أطلب الى مولاى أولا أن يكتم ما سيدور بينى وبينه فقد جئته بأمر أرجو أن ينفعه ، واذا شاع اضرنى »

قال : « اننا نكتم أمرك ، فقل ولا تخش شيئا »

قال : « انى رسول مولاتى الدهقانة جلنار . . هل تعرفها ؟ »

فوجم أبو مسلم لحظة ثم قال : « أليست ابنة الدهقان صاحب هـذه المحلة ؟ »

قال : « هى بعينها ، وقد شهدت مجلسك بالامس وسحرت بما شـاهدته من حميتك . وأعجبها الامر الذى انت قائم به ، ثم علمت بما أداه أبوها من معاونة فأحبت ان تخص نفسها بمال تؤديه هى من جيبها الخاص ، فبعثت بجانب منه فى هذه الخريطة (وأومأ الى الخريطة) على شرط الا يعلم بذلك أحد ، وهى لا تلتمس مقابل ذلك الا رضا الامير أعزه الله . ثم انها بعثت اليك بهذا السيف المرصع هدية ، وهو قديم فيه سر عظيم ولم يحمله أحد الا انتصر على عدوه »

فأعاد أبو مسلم النظر الى السيف ، وتناوله واستله من قرابه وتأمل فرنده وهو يلمع كالزجاج وفيه تموج بديع ، ثم قال : « يظهر انه مسموم »

قال : « اظنه كذلك لأن مولاتى قالت انه لم يصب به أحد الا مات لساعته ولو كان جرحه خفيفا »

فقال : « انها هدية ثمينة ، ثم ماذا ؟ »

قال : « عندي كلمة اخرى احب كتمانها حتى عن الدهقانة نفسها . فاذا عاهدني الامير على ذلك بحت له بها »

فاستغرب أبو مسلم كلامه واستانس بخفة روحه ، فقال له : « قل ما تشاء ولا تخف »

قال : « ان مولاتي الدهقانة اجمل أهل زمانها وما من أمير أو دهقان الا تمنى رضاها ، ولكنها تمنع نفسها عن كل طالب ، ولم يمل قلبها الى احد منهم ، وقدخطبها الكرماني ــ امير العرب المحاصرين مرو ــ لابنه ، فقبل ابوها الخطبة ، ولكنها لم تقبلها ، وقد تذهب الى الكرماني طوعا لأمر ابيها ، فاذا سارت اليه فقلبها لا يسير معها .. لأنه عالق برجل أعظم منه واعظم من كل رجل في خراسان »

فادرك ابو مسلم أنه يلمح الى حبها اياه ولم يكن فاته ذلك من قبل ، على أنه أراد أن يتحقق ذلك فقال : « ومن يكون هذا الرجل ؟ »

فقال : « هو في هذه الغرفة ولكنه ليس أنا ! » . قال هذا وضحك ، فلم يتمالك ابو مسلم عن الضحك وقال : « لقد أعجبني اسلوبك يا رجل »

قال : « انا أعلم عن مولاي الامير اكثر مما يظن ، ولذلك فاني لا اقصد برسالتي هذه أن أكلفه مالا يريد . ولكنني تعهدت لصاحبة الهدية برضا أبي مسلم عنها ، ويجوز أن يكون ذلك الرضا ظاهريا فقط . ثم لا أخفي على حامل علم الامام ان نظرة منه تشف عن رضى أو ارتياح تجعل هذه الفتاة المفتونة آلة بيده قد يستخدمها فيما ينفعه ولو كانت في فسطاط الكرماني نفسه أو في قصر نصر بن سيار صاحب مرو »

فأطرق ابو مسلم هنيهة ، وهو يعمل فكرته ويتدبر ما سمعه من الضحاك فرأى قوله لا يخلو من صواب ، ولكنه امسك عن الخوض معه في ذلك ، ثم رفع السيف من بين يديه ووضعه وراء الوسادة ونظر الى الباب ، فادرك الضحاك أنه يريد أن يصرفه ، فوقف وقال : « يأمر مولاي خازنه أن يأخذ هذه الأكياس » . ومشى نحو الخريطة بقرب الكانون

فصفق أبو مسلم فدخل حاجبه ، فقال : « الي بالخازن »

فخرج الحاجب وعاد ومعه ابراهيم الخازن ، فلما دخل ابراهيم ورأى الضحاك في خلوة مع أبي مسلم اوجس خيفة . ولكنه ما عتم أن سمع هذا يقول له : « خذ هذا المال واثبته في دفاترك » . ثم رأى الضحاك يفتح الخريطة ويخرج منها عشرة أكياس مختومة قائلا له : « هذه عشرة أكياس في كل منها الف دينار يوسفية » . وأطال لفظ يوسفية !

فحملها ابراهيم وخرج وهو لا يصدق انه نجا من شر الضحاك . وبعد خروج ابراهيم اقبل الضحاك على أبي مسلم وانحنى يقبل يديه ثم خرج

صاحب الخبر

لبث أبو مسلم هنيهة بعد خروج الضحاك مطرقا يفكر فيما سمعه ، وقد لمح فى الرجل غير ما يظهره من المجون وقال فى نفسه : « لا يخلو هذا العربى من دهاء مستور » . وفكر فى أمر جلنار وتعلقها به وكان قد لحظ ميلها اليه من قبل ولم يعبأ به ، فرأى بعد ما سمعه من نصيحة الضحاك أن يستغل شغفها به فى مقاصده وقضى ساعة فى هذا التفكير ، واذا بخادم دخل حاملا جزابا فيه البخور والند ، وذر منهما شيئا فى الكانون ، فلما رآه أبو مسلم تذكر خالدا فصاح فيه : « أين الامير خالد ؟ »

فقال : « فى الحديقة يكلم رجلا قادما من سفر »

فقال : « ادعهما الى » . وقد غلب على ظنه أن القادم صاحب الخبر الذى ينتظرانه . وما عتم أن دخل خالد مبتسما وقال : « لقد جاء صاحب الخبر هل يدخل ؟ »

قال : « يدخل » . ودعا خالدا للجلوس . وكان ابو مسلم يرى خالدا ذا عقل ودهاء ولا يخفى عليه شيئا . فجلس خالد على وسادة بالقرب منه ، ودخل الرسول وهو لا يزال بلباس السفر ، وعلى عباءته آثار المطر فى الليل الماضى . فلما دخل القى التحية ووقف ، فسأله ابو مسلم : « متى أتيت ؟ »

قال : « منذ ساعة أو ساعتين »

قال : « وما الذى منعك من الدخول علينا ؟ »

قال : « كنت فى انتظار الاذن »

قال : « ليس على صاحب الخبر حرج ، ولا ينبغى أن يؤخر اذنه » . والتفت الى خالد كأنه يستطلع رأيه فى ذلك ، فأشار بالموافقة . ثم أمر حاجبه أن يغلق الباب ويخرج ، وأشار الى الرسول أن يقعد ، فقعد متأدبا ، فقال له ابو مسلم : « ماخبرك وكيف فارقت مرو ؟ »

قال : « فارقتها والحصار شديد عليها والاعداء محدقون بها »

قال : « اظنك تعنى الكرمانى ؟ »

قال : « اياه أعنى ، فهو وشيبان الخارجى ، يقاتلان ابن سيار صاحب مرو معا ، وكل منهما يضمر السوء لصاحبه »

فقال خالد : « وكيف ذلك وعهدى بالكرمانى انه دخل مرو واخرج نصراً منها ؟ » .

قال الجاسوس : « نعم يا مولاى قد كان ذلك ، ولكنه لم يدم .. ولكى يتضح لكم الامر أستأذن الأمير فى سرد الوقائع »

قال أبو مسلم : « قل ولا توجز »

قال : « لا يخفى على مولاى أن امر بنى امية أخذ يضعف منذ بضع سنين ، وانما بقى الحكم فى أيديهم تهيبا من اسم الخلافة واحتراما للدين . فلما افضت الخلافة الى مروان بن محمد اختلف اهله فى بيعته وانتقضوا عليه مرة واحدة ، فقام الخوارج وغيرهم ممن يطمعون فى السلطة — ومنهم الكرمانى — وللكرمانى أيها الامير حديث طويل مع نصر بن سيار أمير مرو .. هل اقصه عليكم ؟ »

قال : « لابد من ذلك لأن التفصيل يهدينا الى مخارج الامور ومداخلها »

قال : « لما مات أسد بن عبد الله عامل بني امية على خراسان منذ عشر سنين ، استشار هشام بن عبد الملك (الخليفة يومئذ) بعض خاصته فيمن يوليه مكانه . فأشار بعضهم بأن يولى الكرمانى وهو من رجال الدولة واهل النجدة والحزم ، فاعرض عنه هشام وسأل : (ما اسمه ؟) فلما قيل له : (جديع بن على) . قال : (لاحاجة لى به لقد تطيرت من اسمه) . فعرض عليه غيره وغيره حتى استقر الامر لنصر بن سيار حاكم خراسان الآن . فأسرها الكرمانى فى نفسه ، فلما مات الوليد بن يزيد بن عبد الملك خلا كرسى الخلافة واختلف عليها بنو مروان ، فقامت الفتنة وانتهز الكرمانى الفرصة واظهر العداء لنصر بن سيار . ولا يخفى على مولاى أن الرجل اذا قام يطلب امرا جعل اتكاله على حزب من الاحزاب ، والكرمانى وأن كان اسمه يدل على أنه فارسى من كرمان الا انه لقب بذلك لأنه ولد فى كرمان ، ولكنه عربى من بنى أزد ، وهم يمانيون ، فاستنصرهم فنصروه على ابن سيار لأن رجال هذا مضريون من عرب الحجاز ، والخلاف بين اليمنيين والمضريين قديم ولا يزال شديدا ، وسيكون من أكبر سقوط العرب . وكان أهل خراسان أنفسهم منقسمين فيما بينهم للسبب نفسه . فلما مات الخليفة نهض من هذين الحزبين من يطلب الخلافة لغير مروان بن محمد . وكان عرب خراسان من هؤلاء فاختلفوا فيما بينهم ، وحاول نصر بن سيار أن يوفق بينهم بالتى هى أحسن ، فأعياه ذلك ومنع عنهم العطاء . فلما كان فى بعض الايام وقد وقف فى المسجد يخطب ، نهض الناس وطلبوا منه اعطياتهم فصاح فيهم : (اياكم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة) ، فوثب أهل السوق الى اسواقهم وثارت الافكار ، فغضب نصر وخطب فيهم خطابا لا يزالون يتناقلونه الى اليوم ، قال فى جملته : (ما لكم عندى عطاء ، كأنى بكم وقد

نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق ، وكاني بكم مطروحين فى الأسواق كالجزر المنحورة ، انه لم تطل ولاية رجل الا ملوها وانتم يا أهل خراسان مسلحة فى نحور العدو ، فاياكم ان يختلف فيكم سيفان ، انكم ترجون امرا تريدون به الفتنة ، ولا ابقى الله عليكم ، لقد نشرتكم وطويتكم فما عندى منكم الا عشرة ، وانى واياكم كما قيل :

(استمسكوا اصحابنا بحذركم فقد عرفنا خيركم وشركم

(فاتقوا الله ، فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين احدكم أن ينخلع من ماله وولده . يا اهل خراسان انكم قد غمطتم الجماعة وركنتم الى الفرقة) . ثم تمثل بقول النابغة الذبياني :

فان يغلب شقاؤكمو عليكم فاني فى صلاحكمو سعيت

« فعلم الكرماني بذلك الخلاف ، وكان نصر قد عزله عن منصب كان فيه من قبل ، فاتفق مع اصحابه على انتزاع الامور من يده ، وكاتبوا من فى مرو من اليمنيين مستنجدين بهم ، وقد اخبرنى رجل من خاصة ابن سيار ان المضريين اشاروا على نصر بأن يقتل الكرماني ، وقالوا له : (ان هذا الرجل يفسد عليك أمرك فارسل اليه فاقتله او احبسه) . فلم يصغ لرايهم وقال : (لا ، ولكن أزوج بني من بناته وبنيه من بناتي) . فلما رفضوا اقتراحه قال : (فابعث اليه بمائة الف درهم ، وهو بخيل لن يعطي اصحابه منها فينصرفون عنه) . قالوا : (لا . . هذه قوة له) . وطال الجدال بينهم حتى قالوا له اخيرا : (ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك الا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود) . فلما رأى نصر الحاحهم عزم على حبسه ، فارسل صاحب حرسه ليأتيه به ، وارادت الازد أن تخلصه من يده فمنعهم الكرماني من ذلك ، وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يضحك . فلما دخل عليه ، قال نصر : (يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك ؟) قال : (بلى) . قال : (ألم اغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته فى أعطيات الناس ؟) . قال : (بلى) . قال : (الم ارفع ابنك عليا على كره من قومك ؟) . قال : (بلى) . قال : (فهل جزاء ذلك اجماعكم على الفتنة ؟) . فقال الكرماني : (لم يقل الاميز شيئا الا وقد كان اكثر منه ، وأنا لذلك شاكر ، وقد كان مني أيام أسد ماقد علمت ، فليتأن الامير فلست احب الفتنة) . ثم أمر نصر بضربه وحبسه فى قلعة مرو ، سنة ١٢٦ هـ ، وسعى الأزد لاطلاق سراحه ، فقال نصر : (اني حلفت ان احبسه ولا يناله سوء ، فان خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه) . فاختاروا رجلا اسمه يزيد النحوي اقام معه . ولكن ذلك الحبس لم يطل ، فان رجلا من اهل (نسف) عاهد أهل الكرماني على اخراجه بحيلة لطيفة . ذلك انه أتى مجري الماء فى القلعة فوسعه ، وادخل الكرماني فى السرب . فخرج بكل جهد

وركب فرسه والقيود فى رجله ، ثم أصبح بعد ذلك من الد اعداء نصر ، وندم هذا على الابقاء عليه حيا ، وتوسط الناس بينهما وطلبوا الى نصر أن يؤمنه ولا يحبسه ، فأمنه ولكن هذا لم يأمنه . فكان يدخل الجامع للصلاة ومعه ١٥٠٠ رجل وأكثر ، فيصلى خارج المقصورة ثم يدخل على نصر فى المقصورة فيسلم عليه ولا يجلس ، ثم تخلف عن نصر وأظهر الخلاف ، فبعث اليه نصر من يستقدمه معتذرا اليه عن حبسه ، فأبى »

□

وكان الرسول يتكلم ، وابو مسلم صامت يحدق بعينيه ويتفرس فيه .. وقد راعه ما سمع عن مطاولة نصر للكرمانى ، فصاح بالرجل قائلا : « لقد لقى نصر جزاء ضعفه وتردده ، لماذا لم يقتله ويكفى نفسه مؤونة الحذر منه ؟ أطال الله بقاء الامام وأيد دعوته ، ان فى وصيته ما يغنينا عن هذه المطاولة». قال ذلك وهو يعبث بشعرات من لحيته ، وخالد يتهيب ما ظهر من حماسته ثم قال ابو مسلم للجاسوس : « ثم ماذا ؟ » . فقال : « وما لبث الكرمانى أن حارب نصرا وأخرجه من مرو قهرا فى العام الماضى أو الذى قبله ، ولكنه أنقذه من الحرث بن سريج »

فقاطعه خالد قائلا : « أنا أعرف الحرث هذا ، فقد كان فى بلاد الترك وأبلى بلاء حسنا ، وكان بينه وبين نصر اختلاف واشتد الجدال بينهما ، فاقترح نصر أن يحكم بعض الوجهاء ولم يتم ذلك » . ثم التفت خالد الى أبى مسلم وقال : « والحرث هذا يزعم أنه صاحب الرايات السود ! »

فنظر أبو مسلم اليه متعجبا ، وواصل الجاسوس كلامه فقال : « ولكن نصرا لم يصدقه فأرسل اليه يقول : (ان كنت تزعم انكم تهدمون سور دمشق وتزيلون ملك أمية ، فخذ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير ، واحمل من الاموال وآلة الحرب ماشئت ، وسر .. فلعمرى لئن كنت صاحب ما ذكرت انى لفى يدك ، وأن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك) . فأجابه الحرث : (قد علمت ان هذا حق ولكنى لايبايعنى عليه من صحبنى) . فقال نصر : (لقد ظهر انهم ليسوا على رأيك ، فاذكر الله فى عشرين الفا من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم) .. »

فقطع أبو مسلم كلام الجاسوس ، وقال : « انهم يخافون أصحاب الرايات السود ويداورونهم لما يرون من صدق بلائهم ومضاء عزيمتهم وانهم يقتلون كل من يشكون فيه »

فعاد الجاسوس الى حديثه فقال : « ولم يكن ذلك ليثنى الحرث عن عزمه ، فرأى نصر أن يضرب به الكرمانى فقال له : (أن كان ما زعمت حقا ، فابدأ

بالكرماني فان قتلته فأنا في طاعتك ! » فلم يفعل . وتطاول الحرث على نصر حتى صاروا يقرأون سيرته في أسواق مرو وفي المساجد يدعون الناس الى بيعته ، حتى قرأوها مرة على باب نصر نفسه ، فهاج الناس والتحم الفريقان، وكانت معركة هائلة . فلم ير نصر الا أن يستنجد الكرماني، ولكن هذا لم ينجده . وبعد ذلك انتهت المعركة بفرار نصر من مرو ، واستيلاء الكرماني عليها . فلما رآه الحرث قدفاز، بعث اليه يطلب أن يكون الامر شورى بينهما ، فلم يقبل ، ثم اقتتلا فقتل الحرث وتفرقت قواته ، وصارت قبائل اليمن كلها مع الكرماني ، وقد انتصروا على المضرية أصحاب نصر فاستبدوا فيهم وانتقموا منهم وهدموا منازلهم . وكان الحرث نفسه مضريا فلما قتل قال فيه نصر :

« يا مدخل الذل على قومه   بعدا وسحقا لك من هالك »

فقال أبو مسلم : « فالكرماني الآن صاحب مرو . . وأين نصر ؟ »

قال : « لم تطل اقامة الكرماني في مرو، لأن المضرية اشتد ساعدهم بعد مقتل الحرث ، وانضم اليهم جماعة كبيرة من رجاله . فعاد نصر الى فتح مرو ، وخرج الكرماني منها وعسكر خارجها »

قال : « فالكرماني الآن يحاصر مرو »

قال : « وليس وحده »

قال : « ومن معه ؟ اظنك تعني شيبان الحروري »

قال : « نعم يامولاي . وليس شيبان بالشيء القليل لانه يرى رأي الخوارج ، فهو مخالف لنصر لأنه من عمال مروان ، والخوارج لايعترفون بخلافة مروان . وقد اتفق مع الكرماني على قتال نصر لأن الكرماني يمني ونصر مضري »

فقطع خالد كلام الرجل ، وخاطب أبا مسلم بالفارسية بما معناه : « لايخفى عليك أيها الامير أن هذين لايكرهان دعوتنا لأننا ندعو الى خلع مروان أيضا »

فأجابه أبو مسلم : « سأذيقهم طعم الحزم والعزم، وسأريهم كيف تؤكل الكتف »

ثم التفت الى الرسول وقال : « اذن مرو يحاصرها الآن جند الكرماني وشيبان ؟ »

قال : « نعم يامولاي وهما على وفاق »

قال : « وهل تعرف عدد رجالهما ؟ »

قال : « لا أعرفه بالضبط ، ولكنهم يزيدون على بضعة آلاف »

فتحرك أبو مسلم في مجلسه كأنه يتحفز للنهوض ، ففهم الرسول انه يريد خروجه فنهض وخرج ، والتفت أبو مسلم الى خالد وقال له : « علينا قتال هؤلاء جميعا : الكرماني ، وشيبان ، ونصر »

فسكت خالد ولم يجب ، فلحظ ابو مسلم ما يجول بخاطره فقال : « كأني بك تسأل : كيف نحارب هؤلاء وليس معنا من الرجال أحد ؟ . ولكن سترى كيف يأتيك الناس مئات والوفا » . قال ذلك ونهض ليتفقد حالة الجو ، فمشي معه خالد الى الباب واطلا على الحديقة فوجدا الشمس مشرقة ، وقد صفا الجو وشاع الدفء واخذت المياه في الجفاف . فقال ابو مسلم : « نسافر الليلة ان شئنا »

فقال خالد : « اذا رأى الامير ان نبيت الليلة هنا ونرحل في الصباح ، كان ذلك أقرب الى الصواب »

قال : « لابأس من ذلك ، وارى أن نبعث الى كبار النقباء نخبرهم بعزمنا ونشاورهم في امرنا وفي الخطة التي يجب أن نعمل بها قبل السير الى مرو . لأننا في حاجة الى الرجال والاموال ، وانا على يقين من نجدة كل دهاقين خراسان فهم متفقون على الانتقام من العرب كافة لما يسومونهم من الخسف والذل »

فقال خالد : « الا ترى أن نكاتب الدهاقين ونستنجدهم ونبث الدعاة قبل سيرنا من هنا ، حتى اذا نهضنا الى مرو لايطول انتظارنا النجدة ، ثم تتوالى علينا بعد ذلك النجدات باذن الله »

قال ابو مسلم : « سنكاتب الدهاقين ونبث الدعاة متى خرجنا من هنا ، وننزل في اقرب القرى الينا ، ثم نرحل الى سفيذنج فننزل فيها على صاحبنا سليمان بن كثير فنكون أمام مرو »

فلما سمع خالد اسم ابن كثير تذكر ما في قلب ابي مسلم من هذا الرجل مع ما يظهره له من احترامه . فابن كثير كان يدعو لأهل البيت قبل ظهور أبي مسلم ، وقد أبلى في ذلك بلاء حسنا ونال مقاما رفيعا . فلما بعث ابراهيم الامام أبا مسلم الى خراسان وعهد اليه في رياسة الدعاة لم يقبله سليمان بن كثير لصغر سنه ، وكبر عليه ان يكون تحت أمره . وكان في جملة الدعاة رجل اسمه أبوداود ، فحسن للدعاة قبول أبي مسلم رئيسا عليهم فقبلوه . وكان قد بلغ أبا مسلم ما قاله ابن كثير فيه ، فحقد عليه وعرف فضل أبي داود ، فلما سمع خالد بن برمك أبا مسلم يذكر ابن كثير تذكر هذه الحادثة ، ولكنه تجاهل وأسرع الى الجواب لئلا ينتبه ابو مسلم لما جال في خاطره فقال : « حسنا رأيت ايها الامير ، فلنتاهب للمسير ، وفي الغد نسافر الى اقرب القرى الينا وهي (فنين) على ما أظن »

قال : « نعم هي بعينها ، فابعث الى النقباء ان يكونوا على اهبة الرحيل في الغد ، ولابد لنا قبل الرحيل من الاجتماع بدهقاننا لنوصيه بالاتصال باصدقائه من دهاقين مرو ليمدونا بالمال أو بالرجال ، والله الموفق »

فوافق خالد على هذا الرأي وخرج

تركنا جلنـــار بعد خروج ريحانة من عندها مضطربة البـــال وقد قضت ليلتها لم تنم ، وكلما تصورت الضـــحاك مع أبي مسـلم يقدم اليه الهدية خفق قلبها ، فأصبحت متوعكة ، وظلت فى فراشـــها متضاربة الافكار ، تخاف أن يبكر ابوها اليها ويكلمها فى شأن ابن الكرمانى ، وهى تريد معرفة ما يكنه قلب أبى مسلم أولا

وقضت فى هذه الحال ساعات ، ثم اذا بريحانة تدخل عليهـــا ، فلما رأتها جلنـــار اعتدلت فى الفراش وتفرست فيها عساها أن تستطلع ما يبـــدو فى وجهها من الانباء ، فلما رأتها تبتسم انشرح صدرها وسـألتها عما فعلته ، فأجابت : « قد ارسلنا الهدية وهى جميلة و . . »

قالت : « هل عاد الضحاك ؟ »

قالت : « لم يعد . . فهل آتيك بالطعام ؟ »

قالت : « لا أشعر بحاجة اليه ، دعينا من الاكل واخبرينى عما تتوقعينه من أمرنا »

قالت : « خيرا ان شاء الله ولكن . . » . وسكتت

فبهتت جلنار ، وقالت : « ولكن ماذا ؟ »

قالت : « جئتك بأمر من أبيك »

فصعد الدم الى وجهها واشتد خفقان قلبها ، وقالت : « ماذا يريد ؟ »

قالت : « لا تخافى ياسيدتى لقد استدعانى مولاى الدهقان فى هذا الصباح واسر الى امرا اوصانى بالا ابوح به اليك ، ولـكننى سـأخالفه واقص عليك الخبر ، وهو انى لما مثلت أمامه أعطانى خاتما كان معه وهو هذا (وأرتها خاتما من الذهب فيه حجر جميل من الفيروز) وقال : (هذا هدية لك) فأخذته وقبلت يده ، ثم حدثنى عن حبه لك ورغبته فى راحتك وسعيه فى سعادتك وانه يعجب لترددك فى أمر ابن الكرمانى ، ثم ذكر ما يعلمه من دالتى عليك وعهد الى فى أن اقنعك بقبول ابن الكرمانى لأنه أمير ابن امير وهو صاحب الامر والنهى و . . »

فقطعت جلنار كلامها قائلة : « وماذا قلت له ؟ »

قالت : « تظاهرت باستحسان رأيه ، فما كنت أستطيـــع غير ذلك ، حتى اذا آنس منى الموافقة ذكرت له انى لا ارى أن يعجل بالامر ، فما لا يقضى اليوم الا بالعنف والضغط قد يقضى غدا بالرضى والاقتناع ، وتعهدت له باقناعك ، وغرضى أن يمهلنا حتى نرى ما يبدو من ضيفنا ، وقد جاريتـــه فى قوله حتى أملك منه سببا يهيىء لى عونك ، والا فانه لو قال لك اذهبى الآن الى الكرمانى لما استطعت الامتناع »

فقالت جلنار : « اذهب ، ولكن مكرهة »

ثم صمتت وظلت مطرقة ، وارادت بعدئذ أن تعود الى السؤال عن الضحاك .

ولكن منعها الحياء من تكرار السؤال ، ولم يفت ذلك ريحانة ، فوقفت تقول : « هلم بنا الى المائدة ، ومتى تناولت الطعام ننظر مايكون »

فنهضت وأخذت ريحانة فى الباسها ثيابها وتطييبها وضفر شعرها ، وجلنار ساهية ، حتى أتتها بالمرآة وقالت : « أنظرى الى هذا المحيا ، وقولى سبحان الخلاق »

فحولت جلنار وجهها عن المرآة كأنها لاتريد أن ترى صورتها ، وقالت : «لا تخدعينى بهذا الاطراء ياريحانة ، لوكان فى وجهى جمال لما كنت فى هذا الشقاء»

فابتدرتها ريحانة قائلة : « لاتيأسى يامولاتى ، وهلم بنا الى الطعام». قالت ذلك وخرجتا معا ، وجلنار تنظر الى الرواق المؤدى الى الحديقة لعلها تجد الضحاك عائدا فسمعت ريحانة تقول لها : « اذا أشار مولاى الدهقان الى الكرمانى أو ابنه فلا تبدى تمنعا »

فأشارت جلنار برأسها بالقبول ، وهى لا تزال تنظر نحو الرواق لاتحول وجهها وفكرها عنه . وجلست الى المائدة وعليها الوان الاطعمة الباردة والحارة والفاكهة ، فتناولت شيئا يسيرا منها وهى لاتتكلم ، وكلما سمعت صوتا يشبه وقع اقدام الضحاك التفتت نحو الباب وريحانة تلاحظ حركاتها وتتألم لقلقها وتحاول الهاءها بالحديث ، ثم تناولت تفاحة وقدمتها اليها وهى تقول : « ما اشبه لون هذه التفاحة بلون خديك » . ودفعتها اليها فأخذت جلنار التفاحة وقضمت قطعة منها ، فسمعت نقرا على الباب فأصاخت بسمعها واللقمة فى فمها وقد أمسكت عن المضغ ووقفت لتفتح الباب . . فسبقتها ريحانة اليه وفتحته ، فسمعت جلنار ضحك الضحاك ولم تر وجهه فاصطبغ وجهها بالاحمرار وكادت تشرق بريقها ، ولكنها تجلدت وأخذت فى مضغ التفاحة تتشاغل بذلك عما كاد يغلب عليها من القلق ، ودخل الضحاك يتأدب فى مشيته ، فابتدرته ريحانة قائلة : « ما وراءك ؟ »

فضحك وتباله ووقف ، فانتهرته ريحانة قائلة : « لاتتباله ، هيا أخبرنا بما فعلته »

قال : « دعينى أضحك ، فانى مسرور »

فأشرق وجه جلنار واستبشرت ونظرت اليه وهى تبتسم ولسان حالها يقول : « اخبرنا بما سرك »

فالتفت الى جلنار وقال : « أبشرك يامولاتى بأن عند صاحبنا الخراسانى اضعاف ماعندك من . . » . وسكت

فلم تتمالك جلنار من الضحك ، ثم انتبهت الى ما فى ذلك من التسرع فأمسكت وقالت : « بارك الله فيك ، لقد أتعبناك ونرجو أن نكافئك . . قص علينا خبرك »

قال وهو يتلفت يمينا وشمالا كأنه يحاذر أن يسمعه أحد : « ذهبت الى

أبى مسلم بالهدية فقبلها ، ولم يشأ أن يكلمنى فى حضرة رفيقه ابن برمك فأشار اليه فخرج . فلما خلوت به سالنى عنك وتلطف فى الاستفهام عن حالك ، فكدت أطير من الفرح »

فلما سمعت جلنار قوله اشتد خفقان قلبها وكاد السرور يخرج بها عن حدود الحشمة لو لم تتذكر انها امام خادم ، فتجلدت ونظرت الى ريحانة كأنها تقول لها استزيديه بيانا ، فقالت له ريحانة : « ماذا قال لك ؟ هل رايت منه ميلا الى مولاتنا ؟ »

قال : « رأيت عنده اضعاف ما عندها ، وقد شهدت له بسلامة الذوق لأنه قدر هذا الجمال حق قدره » . قال ذلك وهو ينظر الى الارض مطرقا من الحياء ، فخجلت جلنار وغفرت له جرأته فى سبيل ما جاءها به من البشرى ، وظلت ساكتة فقالت ريحانة : « دعنا من التلميح وقل بصراحة ما قاله لك ؟ »

قال : « لا أذكر كلامه بالحرف ، ولكنى فهمت منه انه عالق القلب بمولاتى وكان يخشى الا يكون عندها مثل ما عنده ، فكان يظهر الاعراض فى أثناء جلسة الامس. لكنه أوصانى وبالغ فى التحذير من اظهار الامر لمولاى الدهقان ، وذلك لغرض فى نفسه ، هو سر عميق أزهق روحى قبل اطلاعى عليه »

فقالت ريحانة : « وما هو ذلك السر ؟ »

فوجم الضحاك وقطب وجهه كأنه ندم على ما فرط منه وتراجع نحو الباب ، فابتدرته ريحانة قائلة : « ما بالك تتراجع ، هل ندمت على صدق خدمتك ؟ »

فوقف وتشاغل باصلاح عمامته ، وقد حول وجهه الى جلنار وجعل ذراعه بين عينيه ووجه ريحانة وأشار الى جلنار بجفنيه وعض على شفته السفلى ، ففهمت جلنار أنه لا يريد أن يتكلم أمام ريحانة فابتدرتها قائلة : « دعيه . . سأسأله فيما بعد »

فرجعت ريحانة الى مقعدها وسكتت ، وظل الجميع سكوت لحظة ، ثم أدركت ريحانة أن الحالة تدعو الى خروجها فخرجت . فلما خلت جلنار بالضحاك نظرت الى وجهه مستفهمة ، فدنا منها ثم التفت الى الباب الذى خرجت منه ريحانة وقال : « سأبوح لك بسر عاهدنى أبو مسلم أن ألقيه اليك على أن تعاهدينى على كتمانه عن كل انسان ، فهل تعدينني بذلك ؟ »

فقالت : « نعم اعدك ، فقل »

قال : « هو يحبك ياسيدتى كثيرا ، ولكنه عاهد نفسه على الا يقرب النساء ولا يعقد عقدا حتى يفرغ من مهمته ويخرج من حربه فائزا بعد أن يهلك اعداءه . . فهمت ؟ »

فاطرقت وهى تفكر فيما ينطوى عليه هـذا القول من المعانى ، فلم تفهم مزاده تماما فقالت : « افصح يا رجل . . قل كلمة أخرى »

قال : « انت تعلمين أن أبا مسلم قائم بهذه الدعوة ، وأعداؤه كثيرون ، واكبرهم الكرمانى ونصر بن سيار ، وهو لايضمن الفوز الا بقتلهما . وقد أخبرته أن الكرمانى خطبك لابنه فسر وابتهج » . قال ذلك وحك دقنه وضحك

فاطرقت مفكرة فى هذا التناقض ، ثم رفعت بصرها الى الضحاك وفى عينيها دلائل الاستفهام والاضطراب ، فقال : « لم يسره أن تكونى لابن الكرمانى ، بل سره أنك ذاهبة اليه وانت تريدين أبا مسلم وتحبين نصرته على اعدائه »

فادركت جلنار ان ابا مسلم يرجو منها ان تعاونه على قتل الكرمانى وهى عنده ، وقتل ابن سيار ، فاكبرت الطلب فوجمت ولبثت صامتة وقد حارت فى امرها واعظمت أن تصرح للضحاك بما أدركته من خلال كلامه ، وأصبحت بين عاملين قويين أحدهما يدفعها الى ارضاء حبيبها والبذل فى سبيله ، والآخر يمسكها عن الاشتراك فى قتل رجل لاذنب له . وقضت مدة وهى مترددة فاتعبها التردد وأحست بصداع شديد وضاق صدرها فوقفت والضحاك يرأعى حركاتها ويتوقع أن يسمع منها جوابا . فلما رآها وقفت ، علم أنها فى حيرة شديدة فقال لها : « لا تتعجلى فى الحكم ياسيدتى ، بل اعملى الفكرة أولا ، ولكن لا تنسى أن أبا مسلم يحبك ، وانه عاهد نفسه الا يتزوج الا بعد الانتهاء من حربه ، وهو لا يرجو الفوز الا بالتغلب على هذين الرجلين . وقد يمكن التغلب عليهما بغير قتلهما ، وقد لا يكون الا بقتلهما ، فاذا كنت انت عونا له على بلوغ غرضه فانه يزداد تعلقا بك »

فأحست جلنار بعجزها عن الحكم فورا ، ورات تأجيله ريثما ترى ريحانة . . رغم ما وعدت به من كتمانه عنها ــ والانسان اذا أعجزه الحكم فى مسألة احس بميل شديد الى مكاشفة بعض أخصائه بها ، ولاعبرة بتعهده بأن يكتمها ، بل قد يكون الالحاح عليه فى كتمان السر من بواعث ترغيبه فى افشائه ــ والنساء أقل صبرا على حفظ الاسرار من الرجال خصوصا ماكان يتصل بالحب ومشاكله

□

ضاقت جلنار ذرعا بالامر ، فأشارت الى الضحاك فانصرف ، ومضت الى غرفتها وخلت الى نفسها لعلها تتوصل الى حل لهذا الاشكال ، فأغلقت بابها واتكأت على الفراش وغرقت فى هواجسها حتى ضاق صدرها واحست بشوق الى ريحانة ، ثم غلب عليها التعب فأحست بالنعاس وشعرت بالبرد ،

فالتفت باللحاف ونامت واستغرقت فى النوم . وتركت الباب دون أن توصده ، فجاءت ريحانة فرأتها نائمة فتركتها ومضت ، وهى أكثر منها قلقا وشوقا لمعرفة ما أسره اليها الضحاك

وظلت جلنار نائمة حتى الغروب فأفاقت على ضوضاء الخدم ، ففتحت عينيها وهى تحسب أنها فى الصباح فرأت ريحانة جالسة بقربها فمسحت عينيها وقالت : « لقد أبطأت وغلب النعاس على »

قالت : « تخلفت عنك لتستوعبى سرك ثم جئت فرأيتك نائمة »

قالت : « ما هذه الضوضاء التى أسمعها ؟ »

قالت : « ان الاضياف فى القاعة مع مولاى الدهقان » . فلما سمعت ذلك اجفلت وأحست بميل شديد الى مشاهدة ابى مسلم ، وأدركت ريحانة غرضها فقالت : « سألنى مولاى الدهقان عنك ، فاجبته بأنك نائمة .. فهل تريدين الذهاب الى القاعة ؟ »

قالت : « وماذا يفعلون هناك ؟ »

قالت : « انهم جاءوا للوداع ، فانهم على أهبة السفر فى صباح الغد »

فوقفت ودنت من المرآة لتصلح من شانها ، فسارعت ريحانة الى المشط فسرحت لها شعرها وضفرته ، واتتها بقارورة الطيب فتطيبت ، ولبست ثوبا سماوى اللون ، والتفت بشال موشى بالحرير ، وهى تضطرب من التأثر وترتعد رعدة الحب ، وتتظاهر بانها انما ترتعد من البرد ، فجاءتها ريحانة بمطرف من الخز التفت به فغطى معظم أثوابها ، ومشت ريحانة بين يديها حتى دخلت القاعة من بابها السرى ، ثم تنحت ريحانة واشرفت جلنار على المجتمعين بحيث تراهم ولايرونها ، فرأت اباها جالسا على وسادة فى صدر القاعة وبين يديه محجن فيه مسك ، وهو يتشاغل بتفتيت المسك بين انامله وقد فاحت رائحته حتى تضوع المكان بها ، ورات ابا مسلم جالسا وقد بدل ثياب السفر التى راته فيها بالأمس . فجعل على راسه قلنسوة من خز اسود وفوق أثوابه قباء أسود ، فتذكرت ما سمعته عن الشعار الأسود الخاص بأصحاب هذه الدعوة . ورأت خالدا بجانب أبى مسلم بمثل لباسه وقد جلسا على وسادتين مثنيتين ، دلالة على علو منزلتهما عند أبيها . فوقفت هنيهة وهى ترتجف ، فانتبه لها أبوها فناداها وأشار اليها أن تجلس عند بعض الأساطين فجلست لا تتكلم ، وتوجهت بكل جوارحها الى أبى مسلم لترى ما يبدو منه بعد ما سمعته عنه . فلحظت منه التفاتا لم تعهده من قبل ، فانشرح صدرها ، وكانوا قد اخذوا باطراف الحديث قبل وصولها فخاطبهم أبوها بالفارسية قائلا : « أراكم مسرعين فى الرحيل عنا ، لعلكم لم ترتاحوا الى ضيافتنا ؟ »

فقال ابو مسلم : « كلا ياحضرة الدهقان ، بل نحن لاننسى حسن ضيافتكم ونتمنى أن يكون كل الدهاقين مثلكم »

قال : « لا ريب عندى أنكم ستلافون من اخواننا الدهاقين كل رعاية ، وسيكونون عونا لكم فى هذه الدعوة لأنكم انما تدعون الى نصرتهم ، بل أنتم تسعون فى انشاء دولة سيكون لآل خراسان نفوذ عظيم فيها . فننسى تحكم العرب فى شؤوننا واستئثارهم بالاموال دوننا . فقد كنا من قبلهم وفى أوائل دولتهم اهل السطوة واصحاب الحكومة ، فما زالوا ينازعوننا عليها ويتحكمون فينا ولايمر يوم لاياتوننا فيه بضريبة »

فقال ابو مسلم : « واظن أن هذا هو السبب فى بقاء معظم الدهاقين على الزرادشتية أو المجوسية »

قال الدهقان : « نعم هذا هو السبب وأنا اعرف جماعة من هؤلاء ، لولا ظلم هذه الدولة واستبدادها لاعتنقوا الاسلام ، على أن بعضهم هم بالاسلام ثم عدل عنه ، ولا ريب عندى انهم اذا آنسوا من حكامهم رفقا فلن يتخلف احد منهم عن الاسلام ، وأنا أضمن ذلك »

قال خالد : « يكفينا من الدهقان أن يبعث بعض أتباعه الى أصدقائه من الدهاقين لكى يحسنوا الظن بدعوتنا »

وكان أبو مسلم فى أثناء الكلام ينظر الى جلنار من طرف خفى ، وهى تسارقه النظر وقد كاد قلبها يطير سرورا لما رأته يبتسم لها ، وأصبحت لاتبالى بما قد يحول بينها وبينه من المشاق ، بل استغربت ترددها فى امره من قبل . ولا غرابة فى ذلك لأن الانسان اذا هاجت عواطفه ، أصابه ضرب من الجنون فلا يقدر للأمور عواقبها ولا أخطارها . والحب سلطان مستبد اذا لم يعترضه العقل جر صاحبه الى أكبر الكبائر . فكم من عاقل غفل عن حكم عقله فى ساعة تغلبت فيها عواطفه ، فارتكب أمرا جر عليه الخراب أو العار ابد الدهر ، وقد كان فى غنى عن ذلك لو انه تحكم فى عواطفه ساعة أو بعض الساعة . ولو أعملت الفكرة فى أكثر الجرائم التى يرتكبها البشر ويشقون بسببها لرأيتها انها حدثت فى مثل تلك الغفلة . فلا غرو اذا هان على جلنار ركوب ذلك المركب الخشن ارضاء لحبيبها ، ولم يعوزها للتفانى فى ذلك الا ابتسامة خرقت احشاءها واضاعت رشدها . على انها ظلت تتجلد وتتظاهر بخلو الذهن مخافة ان يبدو أمرها لأحد من الحاضرين

اما أبو مسلم فلما سمع كلام خالد قال : « نعم يكفينا أن يحسن الدهاقين ظنهم بدعوتنا ، فاذا رضى هؤلاء هان كل عسير ولم يعد يهمنا جند العرب ولا سيما أن دولتهم آخذة فى الزوال »

فتذكر الدهقان أن هذا التعميم يشمل جند الكرمانى لأنهم عرب أيضا ، فقال : « اظنك تعنى عرب مضر لأن عرب اليمن اعداء لبنى أمية ؟ »

فأدرك ابو مسلم انه يعرض بالكرماني ، وتذكر ما سمعه من الضحاك عن خطبة ابن الكرماني لجلنار فقال : « ان اليمنية ينصروننا ويدعون لابراهيم الامام ، فهم اعواننا ونحن أعوانهم . اما اذا وقفوا في سبيلنا ودعوا لأنفسهم أو لرجل آخر فهم أعداؤنا والسيف بيننا وبينهم »

فاختلج قلب جلنار لهذا التصريح وتذكرت شأنها فيه ، فامتقع لونها وبالغت في الالتفاف بالشال وتنحنحت كأن سعالاً داهمها ، فأدرك أبو مسلم انها تخاطبه فتبسم ووجه خطابه الى الدهقان وقال : « اذا أصبحت مرو هدفا للنزاع بيننا وبين الكرماني ، أو بيننا وبين شيبان ، فهي للفائز منا »

وكان الدهقان يفكر في مصير ابنته اذا تزوجها ابن الكرماني ، فراى أن الكرماني أقوى وأمنع من أبي مسلم لكثرة جنده واستعداده ، فاعتزم أن يمسك الحبل من الطرفين ، فاذا غلب الكرماني كانت ابنته عنده ونال بالمصاهرة غرضه ، واذا غلب ابو مسلم امن على حياته وأمواله بما أبداه من الملاينة . ولم يكن عازما على نصرته حقيقة وانما وعده بالمساعدة خداعا فقال : « نعم أن الكرماني مثلنا قام على بني امية ، ورجاله من القبائل اليمنية، وهم أعداء عرب مضر أنصار بني أمية . ولكن الكرماني عربي الأصل وان كان اسمه يوهم غير ذلك ، فنخاف اذا فاز الا يكون لنا في دولته مقام . وأما أنتم فانكم منا ونحن منكم ودولتكم دولتنا . . نعم ان الدعوة باسم خليفة عربي ، ولكنه سيكون نصيرنا لأننا نصرناه في دعوته . وزد على ذلك انه أوصى بابادة العرب من خراسان على ما سمعناه من وصيته التي بعث بها اليك »

فلما سمعت جلنار كلام أبيها ، استبشرت وخيل اليها انه غير رأيه في الكرماني ، واختلج قلبها فرحا وظهر ذلك على وجهها . ولو شاركتهم في الحديث لما خفي حالها على أبي مسلم ، ولكنها كانت صامتة منزوية لا تجسر على الكلام لئلا يبدو شيء من عواطفها فيفتضح امرها

وأما ابو مسلم فلم ينخدع بأقوال الدهقان كل الانخداع ، لأنه كان أكثر دهاء منه ، وهو يسيء الظن بأقرب الناس اليه ولا يأمن احدا على أمره ولا يعطي سره احدا ، بل كان يضمر السوء لكل انسان اذا لم ينفعه أو ينصره ، ويقيس الناس على ما يعلمه في نفسه ــ والناس مفطورون على حب الذات ، وقلما يعملون عملا لا ينظرون فيه الى فائدتهم وان تظاهروا بغير ذلك . والناس فئتان فئة قائدة ، وفئة مقودة ، والفئة الاولى هم خيرة الأنام وأهل العقول الكبيرة وأصحاب المطامع . فهؤلاء لا يقدمون على عمل الا وهم يرجون منه النفع لأنفسهم ، ولكنهم يختلفون في مطامعهم ففيهم من يريد النفع لنفسه ويأبى الضرر لسواه وهم أهل الخير . وفيهم من لا يهمهم الا الوصول الى اغراضهم ولو خطوا اليها على جثث أقرب الناس اليهم .

وأمثال هؤلاء كثيرون فى تلك العصور ، وأكثرهم يعدون من عظماء الرجال ، ومنهم ابو مسلم ، فقد كان واســع المطامع كبير النفس صلب القلب لا يهمه الا الفوز فى دعوته . وكان لا يحسن الظن بأحد ، فلما سمع مواعيد الدهقان اظهر تصديقه اياها تشجيعا له على الثبات فى قوله ، وهو فى الواقع لايطمئن اليه ولا سيما بعد أن علم بخطبة ابن الكرمانى لجلنار . ولم يكن أبو مسلم يجهل أن ليس عنده من الرجال الا القليل ، فلما تصور ذلك هب من مقعده كأنه تذكر شيئا نسيه . ووقف فوقف الجميع ، فقال للدهقان : « أستودعك الله فاننا نبيت الليلة ، على أن نرحل فى فجر الغد وانتم نيـام ، فلا تنس وعودك فاننا نحارب فى سبيل اخواننا الخراسانيين وجميع رجال فارس »

فقال : « أطمئن . . سأبذل أقصى الجهد فى جمع كلمة الدهاقين على نصرتكم »

فقال خالد : « اذا فعلت ذلك فانك تفعله لخيرك وخير أهلك » . وقبل أن يخرج ابو مسلم من القاعة التفت الى جلنار وكانت تراعي كل حركة من حركاته ، فلما وقع نظرها على نظره توهمت أنه ابتسم لها وأنه وعدها باللقاء القريب ، اعتمادا على رســالته اليها على لسان الضحاك ، فزاد هيـامها به وأحست عند ذهابه كأنه انخلع من قلبها ، ولكنها عللت نفسها بما سمعته من أبيها من تحقير الكرمانى واعظام أمر ابى مسلم ، وحدثتها نفسها بأن اباها قد غير رأيه فى خطيبها

⊏⊐

خرج ابومسلم وخالد، والغلمان بالشموع بين أيديهما ، حتى بلغا مبيتهما ، وظلت جلنار فى مكانها تنتظر الخلوة بأبيها لعله يبدى ما يطمئنها . فلما عاد من توديع الرجلين ، ابتسم لها ودنا منها وجعل يمناه على كتفها وهو يتبع أبا مسلم بنظره ويقول : « طالما قلتم ولم تفعلوا »

فلم يعجبها قوله لأنه دل على انكاره أمر ابى مسلم ، فتجاهلت وقالت : « ومن هؤلاء يا أبتى ؟ »

قال : « هؤلاء أهل بيت النبى ، فانهم ما زالوا منذ اخذ بنو أمية الملك يبثون الدعاة ــ من امثال ابى مسلم هذا ــ فنحسن وفادتهم ونمدهم بالمـال وننصرهم جهـــــدنا ، ثم لا نلبث أن نسمع بذهاب دعوتهم وان الامويين قتلوا صاحب الدعوة أو صلبوه ، فيقوم سواه وهكذا . وكانت الدعوة قبلا لأبناء بنت النبى ، وأما اليوم فانهم يدعون لأبناء عمه . ولا ريب عندى فى فشل هــذه الدعوة لأن نقل الدعوة من آل ابى طالب الى آل العبـاس يهيج غضب الطالبيين كافة ، وهم أصـحاب الدعوة ، وأهل خراســان لايعرفونها

لسواهم . ثم ان هذا الغلام مغرور يريد أن يحارب هذه الدولة بسبعين رجلا أو مائة رجل ! »

وكانت جلنار تصغى الى كلام ابيها باستغراب ، ولو انتبه وهو واضع يده على كتفها لشعر بقشعريرة اعترتها عند سماع قوله . وخافت هي ظهور ذلك منها فتظاهرت باصلاح شعرها وتخلصت من يده وقالت : « سمعتك تطريه وتعده بالمساعدة وتؤمله بالنصر »

قال ضاحكا : « وماذا خسرت ؟ أليس ذلك أفضل من أن اعاديه أو أعترض رأيه وهو شديد الوطأة لا يبالى العواقب ، واذا عادانا لا نكون فى مأمن من أذاه . هذا الى انى لا أقطع بفشل هـذه الدعوة ، اذ لا آمن أن ينقلب الامر الى عكس ما أراه ، فيكون لنا عند أبى مسلم شفاعة لاعتقاده أننا على دعوته ، أما اذا كانت الغلبـة للكرمانى وأنت عنده فلن يصيبنا الا كل خير . أما نصر ابن سيار فانه مغلوب على أمره فى الحالين لأن سلطان بنى أمية ذاهب لا محالة ، وستنقسم مملـكتهم الواسـعة الى دول صغيرة يملـكها أمراء مستقلون كما حدث لمملـكة الفرس بعد الاسكندر اذ حكمها ملوك الطوائف . وفى اعتقادى أن خراسان ستكون أحدى تلك الممالك وسيملكها الكرمانى كما قلت لك غير مرة ، والعاقل من اغتنم الفرص عند سنوحها » . وكأنه تذكر وصية ريحانة بالا يلح على ابنته فى شأن ابن الكرمانى وأن يترك أمره اليها ، فقال : « هلم بنا نتناول العشاء فقد حان وقته » . قال ذلك ومشى يجر مطرفه ويخطر فى مشيته والخدم يقفون له وجلنار تسير فى أثره حتى وصلا الى غرفة المائدة ، وقد أعدت فيها المآكل على خوان فوق البساط عليه الكثير من ألوان الأطعمة والأشربة والفاكهة . وكانت جلنار أثناء الطعام لاتتكلم وانما كانت تتشاغل بالأكل وأفكارها تائهة فى أبى مسلم ، وهى تتصوره خارجا من القاعة وعليه تلك الحلة السوداء بعد أن نظر اليها النظرة الاخيرة . فلما تذكرت أنه ذاهب فى الفجر ولن تراه الا اذا قدر لها لقاؤه وهى تحسب ذلك بعيدا صعبا ، وقفت اللقمة فى زورها ودمعت عيناها رغم ارادتها . فأشارت الى أحد الغلمان الواقفين للخدمة فجاءها بكأس من الفضة فيه ماء فشربت وهى تتظاهر بأن عينيها دمعتا من الغصة وأنها تألمت منها ، ثم التمست الاذن فى الانصراف قبل الفراغ من الطعام وذهبت الى غرفتهـا فوجدت ريحانة فى انتظارها



اظهـــار الدعوة

ما كاد أبو مسلم يخرج من عند الدهقان حتى استقدم كبار النقباء اليه ، وهم اثنا عشر اختارهم محمد بن علي والد ابراهيم الامام في أول الدعوة سنة ١٠٠ هـ . وأكثرهم من عرب اليمانية وكلهم من نخبة القواد ، وفيهم سليمان ابن كثير ٠ وكان يومئذ في (سفيذنج) ، وأبو الحكم عيسى بن أعين وكان في (فنين) التي هم سائرون اليها،وقحطبة بن شبيب الطائي . ولاهز بن قريظ التميمي ، وأبو داود الذى تقدم ذكره ٠ ونصر بن صبيح التميمي ، وشريك ابن غضبي التميمي ، وعبد الرحمن بن سليم ٠ وكان فيهم من الفرس : خالد ابن برمك ، وأبو عون الخراساني ، فتناولوا جميعا العشـــاء مما أعده خدم الدهقان كالعادة ٠ فلما فرغوا من الطعـــام ، قال لهم أبو مسلم : « اننـا ناهضون في صباح الغد الى (فنين) ننزل فيها على أخينا أبي الحكم عيسى بن أعين ، وهنــــاك نفكر في توجيه القواد الى الشيعة في الأطراف ، فتأهبوا للنهوض مبكرين ، ومروا رجالكم باعـــداد الأحمـــال اللازمة حتى نقوم من هنا في الفجر ونصل الى (فنين) في الضحى »

فتحادثوا في ذلك مليا ثم نهضوا الى خيامهم ، وأصبحوا في الفجر وقد تأهبوا للرحيل ٠ وكانت مياه المطر قد جفت واعتدل الطقس ٠ فوصلوا الى فنين في الضحى ، ونزلوا هناك على عيسى بن اعين فنصبوا الخيام للرجال ، ونزل أبو مسلم وخاصـــته الذين ذكرناهم في بيت عيسى ، وكان ذلك في شعبان ســـنة ١٢٩ هـ ٠ وعنـــد وصولهم عقدوا جلســـــة أقروا فيها انفاذ النقباء الى الأطراف لاظهار الدعوة وجمع الرجال للقتال ٠ وكانت الجلسة في قاعة غصت بأصحاب اللحى من المشايخ ، وكلهم ينقادون لرأى أبي مســـلم وهو شاب كأنه أحد أبنائهم،ولم يروا غضاضة في ذلك نزولا على أمر الامام، لأنهم انما قاموا يدعون له ويعتقدون صدقه ويعملون برأيه ٠ فلما اجتمعوا وتشاوروا أخذ أبو مسلم في توجيههم . فوجه أبا داود النقيب ومعه عمر بن أعين ــ أخو عيسى ــ الى (طخارستان) فما دون (بلخ) ٠ ووجه نصرا بن صبيح وشريكا بن غضبي الى (مرو الروذ) ــ وهي غير مرو المحاصرة ــ ووجه عبد الرحمن بن سـليم الى (الطالقان) ٠ ووجه الجهم بن عطية الى (خوارزم) . وأرسل غيرهم أيضا ، وأوصاهم جميعا بأن يظهروا الدعوة في رمضان لخمس

بقين منه الا اذا أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى والمكروه ، فيحل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا أعداء الله ، ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت. وأوصاهم بالصبر والثبات

وظل أبو مسلم فى (فنين) الى أول رمضان ، ثم نهض بمن بقي من رجاله حتى نزل (سفيذنج) فى اليوم الثانى من رمضان وفيها سليمان بن كثير الخزاعى ، فأشرفوا على مرو عن بعد لأنها فى سهل واسع غير محاط بالجبال حتى لا يرى المقيم بها جبلا وليس فى شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال . فرحب سليمان بن كثير بأبي مسلم ورفاقه ، وأنزله وخالدا عنده ونزل الباقون فى الخيام ، ولبثوا ينتظرون يوم ٢٦ رمضان المحدد لاظهار الدعوة

وفى اليوم الثانى من وصوله الى هناك ، وقف هو وسليمان وخالد فى مكان يشرفون منه على مرو وما حولها . فرأوها محاطة بسور من طين وفى وسطها بناء هائل هو قلعتها التى تبدو كمدينة مرتفعة يراها القادم من بعيد . فقال أبو مسلم : « ما أضخم هذه القلعة وأعلى بناءها »

فقال سليمان : « الطريف فيها أنهم جاءوها بالماء من النهر بقناة على قناطر ، وقد دخلتها مرة فرأيتهم غرسوا على سطحها مباطخ ومباقل وما الى ذلك ، فاذا مشيت فيها تخيلت أنك فى بستان على قمة جبل »

ورأى أبو مسلم خياما خارج السور وعليها رايات مختلفة الألوان والأشكال ، فتذكر ما سمعه من جاسوسه عن الكرمانى وشيبان ، فقال لسليمان : « هذان المعسكران للكرمانى وشيبان ؟ »

قال : « نعم ، وهما يحاربان نصرا بن سيار ، ورجالهما كثيرون فى المعسكرين »

فقال أبو مسلم : « كأنك تخاف قلة عددنا ، سترى اننا كثيرون باذن الله . ألا ترى أن نبث دعاتنا فى هذه القرى حول مرو ؟ »

قال : « حسنا تفعل أيها الأمير ، فان أهل هذه القرى ملوا تعدى العرب على أغراسهم ، وهم لا يفرقون بين اليمنية والمضرية وانما يرون أن العرب يظلمونهم وان الفرس خير منهم ، فاذا بثثنا دعاتنا بينهم على هذا الأسلوب استجابوا لهم »

فجمع أبو مسلم الدعاة وبث جماعة منهم فى القرى المجاورة يدعون لابراهيم الامام بقيادة أبى مسلم الخراسانى ، فجاءهم فى ليلة واحدة أهل ستين قرية . وكان أبو مسلم يجتمع بهم سرا ثم يردهم الى قراهم على أن ينتظروا ساعة اظهار الدعوة ، فيدعوهم اليه بنيران يوقدها

وفى ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من سنة ١٢٩ هـ احتفل أبو مسلم

بذلك احتفالا كبيرا ، فجمع كبار الدعاة فى ساحة (سفيذنج) . وعقد اللواء الذى بعث به الامام وسماه (الظل) على رمح طوله أربع عشرة ذراعا وغرسه أمام المنزل الذى يقيم به ، وجاء برمح آخر طوله ١٣ ذراعا عقد عليه الراية التى سماها (السحاب) . فعل ذلك فى مشهد موقر حضره النقباء وهو يتلو « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »

وبعد أن تلا الآية ، التفت الى النقباء وقال : « أتعلمون لماذا سمى مولانا الامام هذه الراية السحاب ؟ » . فقالوا : « لا »

قال : « لقد سماها بذلك اشارة الى أن السحاب يطبق الأرض . وهل تعلمون لماذا سمى هذا اللواء بالظل ؟ »

قالوا : « لا » . فقال : « لأن الأرض لا تخلو من الظل ، وكذلك الأرض لا تخلو من خليفة عباسى أبد الدهر »

ثم جاءوا بالألبسة السوداء ويسمونها « السواد » فلبسوها ، وأولهم فى ذلك أبو مسلم وسليمان بن كثير واخوته ومواليه ومن أجابوا الدعوة من أهل سفيذنج وكل الدعاة ، ثم أوقدوا النيران طبقا للاتفاق مع الشيعة الذين بايعوا فجاءوا اليه . وكان (أهل التقادم) أول القادمين وعلى رأسهم أبو الوضاح فى تسعمائة راجل وأربعة فرسان ، ومن أهل هرمز جماعة كبيرة كذلك مع أبى القاسم الجوبانى فى ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارسا ، وفيهم من الدعاة أبو العباس المروروذى،فجعل أهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ، ويجيبهم أهل هرمز بالتكبير ، حتى دخلوا معسكر أبى مسلم بسفيذنج بعد ظهوره بيومين . وحصن أبو مسلم حصن سفيذنج وسد دروب المحلة

□

ولما كان عيد الفطر،أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة، ونصب له منبرا بالمعسكر وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة . وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة مع الأذان والاقامة ،كما أمره بأن يكبر ست تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع فى السابعة ، ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع فى السادسة ، ويفتتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن . وكان بنو أمية يكبرون فى الركعة الأولى أربع تكبيرات ، وفى الثانية ثلاث تكبيرات ، فلما أتم سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة الى طعام أعد لهم

وكانت المائدة التى أعدها سليمان فى فسطاط كبير بجانب المعسكر فجلسوا حولها مستبشرين ، وأبو مسلم فى صدرها ساكت مفكر كعادته

يتناول اللقمة بعداللقمة على مهل وعيناه تنظران الى ما وراء الباب من السهل الواسع الذى لا يقف البصر فى آخره على غير الأفق. وحوله النقباء والأمراء وكلهم هائبون منظره ، وفيهم من يفكر فيما يهددهم من القتال الشديدالمقبل

فلما طعموا، وكانت الشمس قد مالت عن خط الهاجرة، نهضوا لشؤونهم وكل فى شاغل من أمر نفسه أو أهله ، أما أبو مسلم فلم يكن همه الا تنظيم من اجتمعوا اليه من الناس وهم كثيرون بالقياس الى الفترة التى اجتمعوا فيها، وقليلون اذا قيسوا برجال نصر فى مرو ، ورجال الكرمانى وشيبان خارجها. وكان أبو مسلم لا ينفك يخلو بخالد بن برمك فقد كان موضع ثقته ومستودع أسراره ، فلما خرج القوم من فسطاط المائدة انصرف هو وخالد معا الى جانب من المعسكر على مرتفع يشرفان منه على مرو وضواحيها وعلى معسكرهما

فلما رأى أبو مسلم قلة جنده وكثرة أولئك ، التفت الى خالد وقد أزاح عمامته الى الوراء وابتسم ـ ونادرا ما كان يبتسم ـ فأقبل خالد عليه كأنه يتأهب لتنفيذ أمره ، فقال أبو مسلم : « ألا يخيفك قلة جندنا وكثرة جنود عدونا ؟ »

فابتسم خالد وقال : « لا يخيفني شيء ما دمت أميرنا وقائدنا ، وقد استبشرت اليوم بكثرة من جاءنا من الشيعة على قصر مدة ظهورها »

فأجابه أبو مسلم بقوله : « صدقت ، فالغلبة ليست بالكثرة وانما هى بحسن الادارة وضم الصفوف. نعم ان أعداءنا كثيرون ولكنهم أحزاب متفرقة قد يفني أحدها الآخر قبل خروجنا اليهم ، وربما كان لنا منهم عون عليهم. أليس أهل اليمن مع الكرمانى ؟ وأهل مضر مع ابن سيار ؟ والخوارج على الاثنين ؟. سأريك مصير هؤلاء جميعا .. ثم رفع نظره فرأى سوادا قادما من عرض الأفق وغبارا متصاعدا فاستبشر ، وسمع خالدا يقول : « أظن أن جماعة من شيعتنا قادمون لنصرتنا »

فلم يجبه أبو مسلم وظل يحدق ببصره، ثم قال : « لا أرى أعلاما سوداء، لذلك لا أظن أن القادمين شيعة لنا » . ولبثا هنيهة أخرى فانكشف الغبار عن قبة على فيل أبيض كبير ، وحول القبة بضعة فرسان يسير فى ركابهم جماعة من العبيد ، ووراء الفيل جمال عليها أحمال الآنية والفراش وغيرها . فاستغربا ذلك وزاد استغرابهما لما رأيا الركب متجها نحوهما ، فجعلا ينظران اليه لعلهما يتبينان شيئا من أمره فاذا بتلك القبة مصنوعة من الديباج الأحمر وقد تدلت أستارها حتى لا يظهر شيء مما فى داخلها، وحول عنق الفيل وعلى جبهته وفى مقدم صدره عقود وأوسمة مرصعة بحجارة كريمة مختلفة الألوان ، وقد كسى ظهره وجوانبه بالديباج الأصفر الزاهى. ويقود الفيل رجل طويل القامة عليه عباءة وعمامة ، ما لبث أبو مسلم أن عرف حين اقترب انه الضحاك، فتذكر حكاية جلنار وخطبتها الى ابن الكرمانى وما كان من حديثهما عنها ، فأجفل لأول وهلة اذ ظنها مزفوفة اليه هو ،

ثم رأى الضحاك يعهد بزمام الفيل الى عبد بجانبه ، ثم يسرع نحوه متأدبا حتى اذا وقف بين يديه حياه تحية الأمراء وهم بتقبيل يده ، فمنعه أبو مسلم وابتدره قائلا : «ما شأنك ؟» . فضحك الرجل وقال بصوت ضعيف: «لا تجزع ليست مزفوفة اليك ! » . ثم رفع صوته وقال : « أليس هذا معسكر أبى علي الكرمانى ؟ »

فقال له خالد : « قبحك الله ألا ترى الأعلام السوداء ؟ »

فتباله الضحاك ، وقال : « لقد أخطأنا الطريق ، أظن معسكر الكرمانى هو ذاك » . وأشار بيده اليه ، ثم أخذ يحك قفاه وظل واقفا مطرقا

فقال خالد : « ثم ماذا ؟ »

وأدرك أبو مسلم أنه لم يأت اليه الا لأمر ذى شأن.فمشى وتبعه الضحاك وظل خالد فى مكانه ، فلما انفردا قال الضحاك : «ان هذه المسكينة مزفوفة الى ابن الكرماني مرغمة ، وقد أوصتنى بأن أحتال في الدنو من معسكرك لكي تراك، لأن قلبها . » . وتنحنح ثم قال : «واذا أرسلت نظرك الى القبة رأيتها تنظر اليك من خلال الستور خلسة فانظر » . وضحك

فرفع أبو مسلم نظره الى القبة وكانت قد صارت على نحو خمسين خطوة منه،فرأى وجها مطلا من خلال الستور اذا شبهناه بالقمر ظلمناه،لأن القمر صحيفة لا ماء فيها ولا حياة ، ولو كان لأبى مسلم قلب يهوى ما استخف بعواطف تلك الفتاة المستهامة . ولكنه خلق من عقل ودهاء وطمع وكبرياء وابتعد قلبه عن محبة النساء ، ولم يعرف قلبه من أنواع الحب الا حب المعالى، والانتصار بالرأى والشجاعة

أما جلناز ، فذات قلب كبير ، لم يخفق بالحب لغير أبى مسلم ، والحب كله رجاء ، وقد زادها الضحاك أملا بما نقله اليها من حب أبى مسلم لها ، فاستسلهت كل صعب فى سبيل مرضاته ، فقبلت أمر أبيها ورضيت بالزفاف الى ابن الكرمانى تقربا من معسكر حبيبها وعملا بارادته.وأوصت الضحاك بأن يحتال فى الوقوف هناك ليعلم أبو مسلم أنها جاءت الى الكرمانى بجسمها ، أما قلبها فمعه هو . فلما رأته ينظر الى قبتها اختلج قلبها فى صدرها ، وتوهمت أنها رأت أبا مسلم يبتسم لها ويحييها ، فدمعت عيناها وأرخت الستر وتحولت الى الداخل وريحانة معها لم يخف عليها شىء من أمرها

أما الضحاك فانه حنى رأسه لأبى مسلم وقال : «كن على يقين انى سأقوم بما يرضيك » . ثم عاد من حيث أتى وهو يقول بصوت عال : « نحن اذن قد أخطأنا الطريق الى معسكر أبى علي . هلم بنا يا قوم الى تلك الأعلام اليمنية فان الكرمانى هناك ! »

ولما وصل الى مكان الفيل تناول زمامه وأشار الى أحد العبيد ، فانطلق مسرعا يعدو نحو معسكر الكرمانى ينبئهم بقدوم العروس ، وكان الكرمانى



« وزادت دهشة أبي مسلم وخالد لما رأيا الركب متجها نحوهما »

قد عقد قران ابنه بجلنار في منزل الدهقان بعد أن أدى اليه المهر

أما خالد فانه ترك أبا مسلم مع الضحاك وانصرف الى المعسكر ، فرأى رجلا مسرعا نحوه وهو يقول : « أين الأمير ؟ » • فقال : « وما الخبر ؟ »

فأشار بيده الى مرو ، وقال : «لقد بدأت الحرب بين الكرماني وبين نصر»

فالتفت خالد الى مرو فرأى الفرسان قد خرجوا من المدينة ومعهم اعلام بني أمية ، وخرج اليهم رجال الكرماني بأعلامهم ، وقد تطايرت النبال واشتد القتال • وكان أبو مسلم قد أقبل نحو خالد ورأى مثل ما رأى ، ففرح وقال : « لقد أزفت ساعة العمل »

فقال خالد : « هل نستعد للهجوم أيها الأمير ؟ »

قال : « احذر أن تفعل ، انما شأننا اليوم أن نصبر لنرى عاقبة هذا القتال »

قال : « ألا نغتنم فرصة اشتغال نصر بالحرب ونهجم على المدينة »

قال : «اذا هجمنا لا نأمن أن يتحدالعدوان علينا ، ولكن نصبر الىالغد»•

قال ذلك ومضى الى منزل سليمان بن كثير ، فرأى النقباء قد اجتمعوا هناك وهم يسالون عن أبي مسلم وكلهم يرون رأى خالد في الهجوم • فلما اقبل أبو مسلم عليهم استشاروه ، فأمرهم بالتربص فسكتوا وأطاعوا

فلما غربت الشمس تراجع الجيشان وأمسكا عن القتال ورجع كل منهما الى مكانه ، والنقباء يرون أن أبا مسلم قد أخطأ لتقاعده عن اغتنام تلك الفرصة وهو لا يقول شيئا • فلما أمسى المساء أمر الرقباء أن يبيتوا على حذر ، ثم خلا الى خالد وسليمان وهم بأن يكاشفهما بما في ضميره،فسمعوا طارقا يطرق الباب ففتحوا له واذا بفارس دخل ومعه رجل موثق بعمامته والفارس يقول : « قد قبضنا على هذا الرجل في معسكرنا وليس هو منا »•

فلما رآه أبو مسلم على نور المصباح عرفه ، فصاح به : «الضحاك ؟ »•قال : « نعم يا مولاى »

فأشار الى الفارس فتركه وانصرف ، ودخل الضحاك فأمر بحل وثاقه وسأله عن أمره فقال : « هل أتكلم أم تأذن لي في خلوة ؟ »

فأدرك أنه يريد الخلوة ، فأشار الىخالد وسليمان فذهبا الى غرفة أخرى، وجلس أبو مسلم على وسادة وأمره أن يجلس وقال : « ما وراءك ؟ »

فجلس الضحاك جاثيا متأدبا وقال : « اسمح لي يا مولاى أن أثنى على تريثك الليلة ، وكنت أخشى أن تأمر جندك بالهجوم »

قال : « ثم ماذا ؟ »

قال : « هل تأذن لي في أن أبدى رأيا ؟ »

قال : « قل بارك الله فيك ، ما أسرع ما اطلعت على الخفايا »

قال جادا : «قد رأيت يا مولاى أمرا هالنى وخفت عاقبته على رجالك !»

قال : « وما هو ؟ »

قال : «وصلنا بالعروس الى فسطاط الكرمانى فاذا هو وابنه على،زوجها المبارك ، قد ركبا لمحاربة نصر بن سيار صاحب مرو ، فأنزلنا العروس فى خبائها بين عبيدها وجواريها ، وخرجت لاستطلاع الأحوال فرأيت جند الكرمانى كبيرا ، وكلهم من رجال اليمن الأشداء ، وفيهم العدة والنجدة وربما زادوا على خمسة أضعاف رجالك . ولما خرج رجال نصر لقتاله رأيتهم أيضا كثارا فخفت أن يغرك ذلك فتخرج برجالك للحرب وأنا لا أضمن لك الفوز لعلمى أن الجندين وان تباينت عصبيتهما بين اليمن ومضر ، فانهم جميعا من العرب فاذا رأوا الخراسانيين يحاربونهم اتحدوا عليهم »

قال : « هذا حق فأكمل »

قال : «فرأيت أن خير ما تفعله الآن أن تمكن البغضاء بين هذين الجيشين»

فاعجب أبو مسلم بسداد رأيه لأنه كان قد عزم عليه ، وقال : «ذلك هو الرأى الصواب ، وهو الذى عزمت عليه . ولكن كيف السبيل الى القاء الفتنة الليلة حتى تتم لنا الحيلة فى الغد »

قال : « أتستشيرنى يا مولاى ؟ »

قال : « لا بأس من المشورة فانها آمن عاقبة ، فاذا لم يعجبنى رأيك رجعت الى رأيى »

فاخذ الضحاك يحك جانب رأسه باحدى يديه ويده الأخرى على عمامته يسندها لئلا تقع ، ثم ضحك وقال : « أكرم بك يا ضحاك ، ان الأمير يستشيرك ! » . ثم وقف وقفة الجد ، وقال : «الرأى يا سيدى أن تكتب كتابا الى شيبان الحرورى صاحب الجند الآخر المعسكر وراء الكرمانى ، وتقول فى سياق الحديث ما معناه : (أن قبائل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تركن اليهم ، فانى أرجو أن يمكنك الله منهم ، واذا بقيت لا أدع لأهل اليمن شعرا ولا ظفرا) . أو نحو ذلك مما يدل على أنك تكره اليمنية ولا ترجو خيرا منهم . وترسل هذا الكتاب مع رسول تأمره أن يجعل طريقه الى معسكر شيبان من جهة معسكر المضرية أصحاب نصر بن سيار ، فيقبضون عليه ويأخذون الكتاب منه ويطلعون عليه فيقوم فى نفوسهم أنك معهم قلبا وقالبا ، فيميلون معك وتقوى نفوسهم على اليمنية . واكتب كتابا آخر الى شيبان نفسه واطعن على المضريين ، ثم أرسل هذا الكتاب مع رسول يجعل طريقه فى معسكر الكرمانى وهم يمنيون فيقبضون عليه ويطلعون على الكتاب فيرون أنك معهم على المضريين وتقوى نفوسهم بك ، فاذا اشتد القتال فى الغد وأردت النزول كان الفريقان معك » . وضحك ضحكة طويلة ، فلم يتمالك أبو مسلم عن مجاراته فى الضحك قليلا ، وقد سر بهذا الدهاء وقال : « ان

لك لشأنا يا رجل ، وما أنت ضحاك كما تتظاهر . اني فاعل لساعتي ما أشرت به » . ثم نهض ليامر الكاتب بذلك فامسك الضحاك بذيله وقال : « وأنا ماذا أعمل ؟ »

قال : « تنال عطاء جزيلا جزاء صدق خدمتك »

قال : « اني لا ألتمس على ما أقوم به أجرا . فاني لم أفعل شيئا أستحق عليه الأجر . ولعلي أستطيع ذلك فيما بعد . وأما الآن فأنا ذاهب الى مولاتي الدهقانة وسأبلغها سلامك وثناءك . ليس لأنك تحبها ولكن لأن ذلك يسرها وينفس كربها ويعزيها عن رؤية عريسها الأعور ! »

قال : « ومن تعني ؟ »

قال : «أعني عليا بن الكرماني فانه نصف أعمى . فضلا عن غرابة شكله، وهو مع ذلك زوجها بعقد مكتوب . وسترى كم ينفعنا هذا العقد ! » . ثم وقف فقبل يد أبي مسلم ، وخرج مهرولا

□

عاد خالد وسليمان الى ابي مسلم فامر بالكاتب فجاءه ، ثم اخبرهما بما عزم عليه وأملى على الكاتب كتابين الى شيبان الخارجي دفعهما الى رسولين بارعين ، وامر احدهما ان يمر بمعسكر نصر بن سيار والآخر بمعسكر الكرماني ، ومتى قرىء الكتابان يرجعان بهما اليه ولا يوصلانهما الى شيبان ، فسار الرسولان وفعلا ما أمرهما به

فلما اطلع الكرماني على الكتاب وفيه ما فيه من نقمة ابي مسلم على قبائل مضر ، توهم أن أبا مسلم معه على المضرية . ولما اطلع نصر بن سيار على الكتاب الآخر توهم ان ابا مسلم معه على اليمنية ، فقويت نفس كل منهما على قتال صاحبه . وكان ابو مسلم اثناء اقامته هناك قد كتب الى الكور باظهار الامر فسود (البس السواد) جماعة كبيرة في (نسارابيورد) و (مرو الروذ) وغيرهما ، واقبل الانصار اليه تباعا

وفي صباح الغد عاد الجيشان الى القتال بقلوب قوية وهواهما مع ابي مسلم ، ولكي تتم الحيلة كتب الى كل من نصر بن سيار والكرماني كتابا يقول فيه : « ان الامام ابراهيم صاحب الدعوة ، قد أوصاني بك وبرجالك خيرا ولست أعدو رأيه » . فازداد الفريقان رغبة فيه ورهبة منه ، واشتدت نقمة كل منهما على صاحبه . فلما احتدم القتال ركب ابو مسلم ومن معه من النقباء والاتباع ، واقبلوا على المتحاربين فلم يتعرض لهم احد بسوء ، فنزل بمن معه بين خندق الكرماني وخندق نصر وهابه الفريقان . ورأى بدهائه ان يجرىء الكرماني حتى يعرضه للخطر فبعث اليه : « اني معك » . فسر

الكرمانى واشتد ساعده بانضمام ابى مسلم اليه . فلما راى نصر ذلك أدرك حيلة ابى مسلم فبعث الى الكرمانى يقول : « ويحك لاتغتر ، فوالله انى لخائف عليك وعلى اصحابك منه ، فادخل مرو نكتب كتابا بيننـا بالصلح » . وكان غرض نصر أن يفرق بين الكرمانى وابى مسلم . فسمع الكرمانى كلامه ورجع الى صوابه وخاف أن يكون نصر مصيبا ، فدخل فسطاطه وظل ابو مسلم فى المعسكر

ثم خرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبة بين المعسكرين فى مائة فارس وعليه قباء ذو طاق واحد وارسل الى نصر يقول : « اخرج لنكتب بيننا الكتاب »

فلما رآه ابو مسلم يقول ذلك خاف حبوط مسعاه . وكان ابومسلم واقفا على جواده وعليه درع كاملة تغطى جسمه وجانبا من الجواد لايبالى تساقط النبال عليه . وبينما هو فى تلك الحيرة ابصر رجلا ملثمـا طويل القامة يسرع كالجواد الجموح الى معسكر نصر وهو يتقى السهام بكفيه ، فعرف من حركته وقيافته انه الضـحاك وما لبث ان رآه قد تغلغل فى ذلك المعسكر . ثم راى كوكبة من الفرسان خرجت من معسكر نصر وفى مقدمتها فارس يقول بأعلى صوته : « أنا الرجل الموتور ، أنا ابن الحرث ابن سريج ، جئتك ياكرمانى يا ابن الفاعلة . انت قتلت ابى وسأقتلك به» . قال ذلك وانقض انقضاض الصاعقة ، والتقت الكوكبتان واشتبكتا ، واشتد ازر المضرية . ثم راوا فارسا خرج من مرو يحرض المضرية ويسـوق فرسـه امامهم وقد جلله الشـيب ، ولـكن الشيخوخة لم تغير شيئا من نشاطه وحميته . ولما ساق جواده لعبت الريح بلحيته وهى بيضاء عريضة ملء صدره ، وصاح فى رجاله يستحثهم . فعلم ابو مسلم انه نصر بن سيار ، فقال فى نفسه لو ظهر فى بنى امية مثل هـذا الرجل قبل اختلال امرهم لمـا عجل بسقوطهم ، ولكنه لن يستطيـع امرا . وهجم بعض الفرسـان مع نصر ، فتغلبوا على الكرمانى واصـابوه بطعنة فخر عن فرسه فاجهزوا عليه ، وامر نصر بصلبه فصلبوه

فلما رأى ابو مسلم قتل الكرمانى تظاهر بالاسف وتوقع فشـل اليمنية ، واذا بعلى بن الكرمانى قد هجم يطالب بثار ابيه . فهجم ابو مسلم معه ونادى رجاله فهجموا جميعا على نصر ورجاله ، فارجعوهم عن مواقفهم ، ثم تراجع الجيشان

رجع ابو مسلم من المعركة وقد سره مقتل الكرمانى ، واخذ اثنـاء رجوعه يعمل فكرته فى تدبير الحيلة لقتل ابنه على ، ولكنه رأى أن يستعين به على نصر أولا ثم يقتله ويقتل شيبان الخارجى ، فوصل الى معسكره واجتمع اليه النقباء فنظر اليهم وقال : « الم يكن رأينا صوابا ، قتلنا الكرمانى ولم نسـفك دماء رجالنا . والراى فوق شجاعة الشجعان ؟ ! »

فاعجبوا بدهائه وحسن سياسته ، وازدادوا تفانيا فى طاعته وقالوا : « مر بما تشاء فانك صاحب القول الفصل »

سر الضحاك

تركنا جلنار فى طريقها الى معسكر الكرمانى ، وقبل وصــولها جاءها وفد من رجال الكرمانى استقبلوها وانزلوها فى خباء خاص نصبوه فى مؤخر المعسكر وانزلوا فيه احمال الآنية والفرش ، وادخلوا جلنار غرفة من غرفه ليس فيها من النساء ســواها ومعها بعض الجوارى وريحانة ، وقد أصبحت فى هــذه الغربة الصق بها من ظلها . وكانت ريحانة قد أحست انها هى المسئولة عنها ، وقد علمت ما هى معرضة له من الاخطار فوطنت النفس على بذل كل شىء فى سبيل سلامتها

فلما وصلت جلنار الى الخبــاء ، سبقتها الجوارى الى تهيئــة ما يلزم من اسباب الراحة ، وقام الضحاك بانزال الاحمال ومعه العبيد والخدم . ثم جاءت ريحانة فادخلتها غرفتها واخذت تنزع ماعليها من ثياب السفر وتلبسها ثوب البيت وهى صامتة لاتتكلم ، ثم لاحت منها التفاتة الى جلنار فرأت عينيهــا تدمعان فانقبضت نفسها وابتدرتها قائلة : «ما الذى يبكيك يامولاتى؟» . ولم تكد تنطق بهذه العبارة حتى اختنق صوتها وغصت بريقها ولم تنبس بكلمة ، فتشاغلت بضفر شعر ســيدتها ، ثم تجلدت واعادت السؤال وهى تحاذر ان يختنق صوتها وقالت : « ما بالك يامولاتى لاتجيبين عن سؤالى ؟ »

فالتفتت جلنار الى ريحانة والدمع يتلألأ فى عينيها ، وقالت لها بالفارسية : « اتسالينني عن السبب وانت أعلم به منى؟ أين نحن الآن؟ كيف خرجت من دار ابى وقد كنت فيها فى حصن حصين وجئت دار الحرب والنبال تتساقط على فسطاطى ، ثم انى لا اعرف الى من أنا صائرة ! »

فأحبت ريحانة ان تخفف عنها ، فقالت : « انت صائرة الى الامير على بن الكرمانى ، وكل هذا المعسكر رهن اشارتك »

قالت : « واين هو على هذا ؟ . انى لم أره ولو رأيته ما عرفته . ســامحك الله يا أبتاه . لقد فرطت فى ، بل اللوم على انا فقد سلمت نفسى لرجل لا اعرفه ولم أره ، وقد وصلت الى منزله ولم اجده ! »

فقالت ريحانة : « خففى عنك يامولاتى انه لايلبث أن يأتى فقد اتفق وقت وصولنا مع وقت خروج الامير الكرمانى لملاقاة جند مرو للقتال . ولاشك ان عليا ابنه معه وسترينه عائدا وقد تلطخ جواده بدم الاعداء وفى وجهــه عزة

النصر ، وهذا فخر لك . ان فى ذلك لذة لم تتعوديها ، فاذا ذقتها مرة عرفت قيمتها ، ان لذة النصر عظيمة يامولاتى »

فذعرت جلنار عند سماعها ذكر القتال ، وقالت : « اهو فى ساحة القتال ؟ الم تقولوا لى انه صاحب مرو وله فيها الامر والنهى ؟ »

قالت : « قد كان الامر كذلك ، ولـكنه خرج منها ولا يلبث ان يفتحها كما فتحها من قبل »

فصاحت وقدنسيت موقفها : «لايهمني فتحها أم لم يفتحها ، انى لا أريده ، أخرجونى من هذا المكان اذهبى بى من هنا يا ريحانة ! »

فضحكت ريحانة تخفيفا لثورتها ، وكانت قد انتهت من تمشيطها وتبديل ثيابها فالبستها ثوبا عنابى اللون جعلت عليه منطقة مرصـعة ، ولفت كتفيها بطرف من الخز الموشى مبطن بالفرو الثمين ، وقد احمر وجهها من اثر السفر وتوردت وجنتاها وتكسرت عيناها من البكاء وغشيهما ذبول الاهتمام ، وتجلت فى جبينها وبين عينيها وعلى أســـــاريرها دلائل الهيبة والحذر والجزع . واسترسل شعرها ضفيرة واحدة على ظهرها وقدتلألأ القرطان فى أذنيها وكل منهما جوهرة واحدة تضىء فى الظلام ، غير مافى عنقها من العقود الثمينة وغير ما يحيط بمعصميها من الدمالج والاســـــاور ، فاصبحت فتنة للناظرين . فلما فرغت ريحانة من الباسها ، دعتها الى الجلوس فجلست وسألت : « وأين الضحاك يا ترى ؟ »

قالت : « لايلبث أن يأتينا ، فقد تركته يهتم بالاحمال وما اليها » . وصفقت فدخل خادم ، فقالت له : « أين الضحاك ؟ »

قال : « كان حول الخباء ، ثم ذهب ولا أدرى أين هو الآن »

فأجفلت جلنار ونظرت الى ريحانة كأنها تسـتطلع رأيها ، فقالت ريحانة : « هلم بنا نطل من باب الخباء نتفرج على المعسكر عسى أن نرى الضحاك »

فنهضت ومشت وريحانة وراءها حتى أطلتـا من باب الخبـاء واذا بسهم سقط بالقرب منهما عند الباب، فذعرت جلنار وتراجعت، وأما ريحانة فكثيرا ماشهدت مثل هذه المعارك فلم تحفل به وتجلدت تشجيعا لمولاتها ، ثم ضحكت وقالت : « ما الذى أجفلك يا مولاتى ؟ »

فقالت وهى ترتعد خوفا : « انهم يقتتلون على مقربة منا ، بالله ماهذا ؟ . ما الذى جاء بى الى هذا المكان؟ كيف رضيت بالمجىء . . آه يا أبا مسلم ! » . وكأنها نطقت باسمه سهوا فخجلت ، واخذت تمسح دموعها

وكانت ريحانة أعلم منها بتحرج الموقف ولكنها لم يسعها الا التخفيف عنها ، وشعرت بأنها اساءت اليها اذ لم تمنعها من المجىء فقالت : « الحرب بعيدة عنا ، تعالى انظرى الى المعركة فانها وراء هذا المعسكر فيما بينه وبين المدينة . وأما

السهم فقد أفلت ووقع هنا صدفة » . ثم أمسكتها بيدها وأخرجتها من الخباء ، فأطلت على المعركة عن بعد فرأت الفرسان يتجاولون والسيوف تبرق في أيديهم وبعضهم يحمل الاتراس وبعضهم يشرعون الرماح وأكثر القتال بين الفرسان . ولذلك قلما كانوا يترامون بالنبال ، فالنبالة أكثر مايكونون من المشاة . ولم تستطع جلنار أن تشهد القتال طويلا ، فدخلت ودخلت ريحانة في أثرها وكلتاهما صامتة وقد قلقتا لغياب الضحاك . حتى اذا دنا المغيب ، ازداد انقباض جلنار وتصورت قرب مجيء زوجها الذي لم تره من قبل ولا احبه قلبها لانشغاله بسواه . فأمسكت ريحانة بيدها فأحست برجفة فيها ، فقالت : « مابالك ترتعدين يامولاتي ؟ »

قالت : « اني أرتعد لقرب الساعة التي سالقى فيها ابن الكرماني ، بالله كيف اقابله ؟ أحقا هو بعلي ؟ كلا . . الموت أحب الي من قربه » . ثم قبضت على يد ريحانة بيديها وصاحت : « لا أطلب نجاتي الا على يدك »

قالت : « لابأس عليك ياسيدتي ، على تدبير كل شيء ، وانما أرجو منك أن تتجلدي ولا تظهري نفورك منه ، فقد يكون نعم الزوج . ولا يحق لك أن تبغضيه قبل أن تريه ؟ »

فنظرت اليها جلنار من طرف عينيها ولسان حالها يقول : « الا تعلمين ما يكنه فؤادي من حب أبي مسلم ؟ »

فأدركت ريحانة مرادها ، وقالت باسمة : « ثقي بانك ستنالين بغيتك ، ولكن بالصبر والحزم »

وما لبثتا أن سمعتا صهيل الخيل وضوضاء الناس فأجفلتا معا ، أما ريحانة فتجلدت وقالت : « يظهر ان الفرسان قد رجعوا من المعركة » . ثم خرجت حتى اطلت من باب الخباء وعادت وهي تقول : « ها هو ذا الامير قد اتى على فرسه وهو مخضب بالدماء كما قلت لك ، وسيأتي اليك فلا تجزعي »

فقالت : « والضحاك لم يأت بعد ، أين هو ؟ . قد تركنا في ساعة الحاجة اليه »

قالت : « لا تلومي الغائب حتى يحضر »

ثم جاء الخدم من رجال الكرماني يحملون الشموع مغروسة في أعواد نصبوها في جوانب الخباء ، فأضاء المكان وجلنار لا تستطيع الوقوف من شدة التأثر . فجلست وقد اصطكت ركبتاها ، واذا بالضوضاء تقترب من الخباء ، ثم سمعت رجلا يتكلم قرب الباب بصوت عال ويقول : « أين خباء عروسنا الدهقانة . . ؟ »

فلما سمعت جلنار صوته تحققت انه زوجها فارتعدت فرائصها وازداد اضطرابها ، فتشاغلت بطرفها تلف به منكبيها ويداها ترتعشان وقد بردتا . فخرجت ريحانة لاستقباله لدى الباب ، وقالت : « اهلا بالامير الجليل ، ان

مولاى الدهقان يوصيك بابنته خيرا ، ويقول لك انه قد عهد اليك بفلذة كبده فكن بها رفيقا »

فقال : « لقد أوصى حريصا ، ان الدهقانة تنزل عندنا ارفع منزلة واعز مكانة » . ومشى الى الغرفة وهو يقول : « واين هى ؟ »

فقالت : « هى جالسة فى حجرتها ، وقد أنهكها تعب السفر اثناء النهار »

فأدرك مرادها وقال : « انى انما أريد راحتها ، وقد احببت لقاءها للترحيب بها » . ودخل وقد تنسم رائحة الطيب

وكانت جلنار جالسة وقد سمعت قوله فسكن روعها واطرقت وهى تراعى دخوله بجوارحها . فلما دخل حجرتها واقبل عليها ورأى جمالها اخذت بمجامع قلبه ، ولكنه هابها وقال : « مرحبا بعروسنا لقد أتيت أهلا ونزلت سهلا ، وعسى أن يكون مقامك عندنا مثل مقامك فى بيت ابيك »

فرفعت جلنار بصرها اليه لترى وجهه والحياء يغالبها ، فرأت شابا فى نحو الثلاثين من عمره قصير القامة عريض المنكبين توشح بعباءة من الحرير وتقلد السيف وغرس الخنجر فى منطقته وعلى راسه عمامة حمراء ، وكان مستدير الوجه واللحية دقيق الشاربين وقد ذهبت احدى عينيه . فلما دنا منها قعد على البساط امامها ووضع السيف معارضا على حجره وقال : « لابأس عليك ياجلنار ، ارجو ان يذهب عنك تعب السفر الليلة ، وان يكون قدومك فال خير على هذا المعسكر . فقد اتيت والحرب قائمة بيننا وبين صاحب مرو وعدنا من هذه المعركة ظافرين بحول الله ، فعسى الله ان يأتينا بالفتح على يديك وببركة قدومك »

وكانت جلنار مطرقة حياء لاتدرى بماذا تجيب ، فاجابت ريحانة عنها : « ذلك ما نرجوه أيها الامير البطل ، فقد قدمنا ونحن نتوقع أن يكون مقامنا بمدينة مرو ، فعسى الا يكون نزولنا فى هذا المعسكر طويلا »

فتحمس على وقال : « لو قدمتم مجيئكم قليلا لنزلتم توا فى مرو ، وقد كانت فى قبضتنا فخرجت من أيدينا منذ بضعة أيام . ولكنها ستعود الينا باذن الله »

فأدركت جلنار غرض ريحانة من ذلك التعريض ، فقالت والحياء يغالب منطقها : « لعل قدومنا كان شؤما عليكم ، فكيف تتوقعون ان يكون بركة . . ولو كان كذلك لما كان نزولنا فى غير دار الامارة بمرو ؟ ! »

فقال : « عفوا أيتها الدهقانة ، ان قدومك بركة وفال حسن . وانا على يقين من ذلك ، وسترين صدق قولى »

قالت : « انت صادق ، ولكننا علمنا شؤم قدومنا من النبال التى رأيناها تتساقط حولنا منذ انيخت بنا المطايا فى هذا الخباء ! »

فازداد على حماسا وأريحية واستسهل كل صعب في سبيل رضاها ، فقال : « انك ستبيتين غدا فى دار الامارة باذن الله » . قال ذلك ارضاء لها ، ولم يدر انه قيد نفسه بوعد دون الوصول اليه خرط القتاد . فلم تغفل ريحانة عن انتهاز الفرصة ، فنظرت الى مولاتها وهي تظهر الاعجاب بأريحية علي وقالت : « أن الامير يامولاتي قد وعد ــ ووعده عهد ــ بألا تبيتين غدا الا فى دار الامارة ! »

فقال علي وقد أخذ الهيام منه مأخذا عظيما ، فأثار حماسته وحميته : « نعم لاتبيتين غدا الا فى دار الامارة » . ثم أدرك تسرعه فأراد أن يحتاط لنفسه فقال : « وأعاهدك على انى لا أتمتع بهذا الوجه الجميل الا فى تلك الدار »

فاطرقت جلنار حياء وسكتت . فأجابت ريحانة عنها قائلة : « بورك فيك من شهم حر ، والحر اذا عاهد وفى »

فنهض وهو يقول وقد ثارت النخوة فى نفسه : « أستودعك الله ، وسترين بلائى غدا ، فاذهبى الآن الى فراشك واستريحى » . وخرج يجر سيفه وراءه

فلما توارى ، نظرت ريحانة الى سيدتها وقالت لها بالفارسية : « ما قولك فى هذا العهد ؟ »

قالت : « لاباس به ، ولكنى اخاف ان يتمكن من دخول مرو غدا »

قالت : « لا أظنه يستطيع ذلك ، واذا أستطاع كان جديرا بك ، اذ لا يكون لأبى مسلم حينذاك شأن »

فقطعت كلامها وقالت : « لاتقولي هذا ، وانأبا مسلم مكبلا بالاغلال لأحب الى من سواه على عرش كسرى ! »

فقالت ريحانة : « دعى ذلك الى تقدير العزيز الحكيم ، وان غدا لناظره قريب . ولكن غياب الضحاك قد أقلقنى ، وهوانما جاء معنا ليكون فى خدمتك . قومى الآن الى الطعام ثم نرى مايكون »

▭

جلست جلنار ومعها ريحانة الى المائدة ، ووقف بعض الجوارى فى خدمتهما . ثم اذا بخادم قد دخل مهرولا وهو يقول : « الضحاك بالباب » . فتهللت جلنار وعافت الطعام شوقا الى سماع الضحاك ، ولم تكن ريحانة اقل منها رغبة فى ذلك لتطلعه على ما وفقتا اليه تلك الليلة ، فقالت للخادم : « ادخله الى الحجرة الوسطى ، واحمل اليه الطعام وقل له ان الدهقانة ستوافيه على عجل »

فلما انتهيا من طعامهما ذهبتا اليه فوجدتاه فى انتظارهما ، فقالت له جلنار : « أين كنت يا رجل ؟ »

فتأدب فى موقفه ويداه فى منطقته وعمامته مائلة على رأسه وقد نبش شعر

لحيته وشاربيه حتى تغيرت سحنته فما تمالكت جلنار عن الضحك ، ثم اجابها بضحكة طويلة . فأشارت اليه ان يقعد وقعدت واقعدت ريحانة بجانبها ، فجثا الضحاك على ركبتيه وقال : « لقد اذنبت بخروجي بلا استئذان ، ولكن العفو أقرب للتقوى »

فقالت ريحانة : « كيف تتركنا وحدنا وقد أوصاك الدهقان برعاية مولاتنا وبألا تفارقها ؟ »

قال : « نعم أخطأت بمخالفتي وصية مولاى الدهقان ، ولكنني أصبت بمجاراة مولاتى الدهقانة » . قال ذلك وأطرق اطراق الحياء

فقالت : « دعنا من مجونك ، وقل اين كنت ؟ »

قال : « اذا كنت لم تفهمي كلامي فمولاتي الدهقانة قد فهمته » . ونظر الى جلنار وقال : « اليس كذلك ؟ »

فقالت جلنار : « لعلك ذهبت الى ابى مسلم ؟ »

فقهقه ثم قطع ضحكته بغتة ، وقال لريحانة : « ارايت الفرق بين من يفهم ومن لايفهم ؟ »

فتطاولت جلنار بعنقها نحوه وقالت : « وماذا فعلت ؟ »

قال : « غدا تعلمين ماذا فعلت »

فقالت ريحانة : « قل الآن ، فنقول لك ماذا فعلنا نحن »

قال : « أنا اعرف ماذا فعلتما ، لقد أخذتما العهد على صاحبنا ألا يتزوج الا فى دار الامارة »

فدهشت جلنار لاطلاعه على ذلك والتفتت الى ريحانة لتشاركها فى الاستغراب ، فالتفت الضحاك الى ريحانة وقال : « وهلمن الغريب أن أعرف امرا انا فعلته »

فقالت ريحانة : « وكيف ذلك ؟ ونحن انما حملناه على هذا الوعد خطوة خطوة ؟ »

قال : « انا وضعت الاساس وقد فكرت فى الامر قبل خروجنا من بيت سيدى الدهقان ، فلما وصلنا كان قصارى همى أن الاقى الامير عليا ، فتركتكما وذهبت الى قرب المعركة حتى اذا عاد الامير على منها بشرته بمجىء العروس ثم ألقيت اليه كلاما اعددت به ذهنه لذلك العهد ! »

فاستغربتا تيقظه وذكاءه ، وقالت ريحانة : « ثم الى أين ذهبت ؟ »

قال : « ذهبت الى الامير الآخر » . ورفع بصره الى سقف الخباء وتظاهر بانه ينظر الى ما فيه من الرسوم الملونة ولم يضحك . ثم أرسل بصره الى جدران الحجرة فابتدرته ريحانة قائلة : « وما الذى فعلته هناك ؟ »

قال : « غدا تعرفينه »

فقالت : « بحياة مولاتنا أفصح واترك المجون »

فتظاهر بالجد ، ووجه خطابه الى جلنار قائلا : « بحثت مع أبى مسلم فى الطريق المؤدى الى بقائه وحده فى هذا الميدان »

فقالت جلنار : « وكيف ذلك ؟ قل »

فقص عليها ما دار بينه وبين ابى مسلم بايجاز ، وقال : « والحق يقال ان هذا الخراسانى نبيه عاقل ، ولا سيما لأنه شهد لى بالذكاء » . وضحك

فقالت ريحانة : « ان ذكاءك معلوم عندنا »

قال : « أشكرك على هذا الاطراء ، وآسف لأنى نذرت الا اتزوج ! »

فقطعت جلنار كلامه وقالت : « اكفف عن ريحانة ولا تعبث بها »

قال وهو يحك ذقنه : « كانك تظنينها تكره ذلك ، ولكننى عملا بأمرك قد عفوت عنها ولا سيما لأنها تحبك »

فضحكت جلنار وقد سرى عنها وخف ما بها ، فلما رات ريحانة سرور سيدتها شاركتها فيه وشعرت بفضل الضحاك عليهما ، فقالت فى نفسها : « لاريب ان لهذا الرجل المهذار شأنا ، وان أمره لعجيب »

ثم التفتت ريحانة الىسيدتها وقالت : « الاتذهبين الىالفراش يامولاتى؟»

قالت : « نذهب » . ووقفت ، فوقف الضحاك وقال : « وأنا ذاهب ، وقد لا أنام الليلة ، فاذا طلبتمانى بعد ساعة ولم تجدانى فلا تحسبانى فررت »

قالت جلنار : « افعل مابدالك ، اننا لاننسى لك جميلا تبذله . واذا وفقنا الى ما نريد كان لك ما تطلب ، انصرف اذا شئت »

فخرج ليبيت فى فسطاط الاعوان والحاشية ، وكان الكرمانى وابنه قد استأنسا به عندما اجتمعا به فى غروب ذلك اليوم وآنسا فيه خفة الروح

ولم ينم تلك الليلة حتى علم ان رسول أبى مسلم مر بالمعسكر وقبضوا عليه ، ورأى الكرمانى فى فسطاطه يتلوكتاب أبى مسلم ومعه ابناه على وعثمان وكانا لايفارقان مجلسه وهما عمدته فى حروبه ، وعثمان أصغر من على . فلما تحقق الضحاك نجاح حيلته ذهب لينام

ولما التحم الجيشان فى صباح الغد وقف الضحاك يرصد حركاتهما ، فلما رأى الكرمانى قد قبل مصالحة نصر بن سيار اسرع الى معسكر نصر ملثما وحرض ابن الحرث على أن يثار لأبيه فجاء وقتل الكرمانى

□

تركنا أبا مسلم فى معسكره فرحا بما أوتيه من جواز حيلته على الكرمانى . فلما تفرق عنه النقباء بعد العشاء الى خيامهم ظل هو فى غرفته وحده يعمل

فكرته في اتمام مشروعه للتفريق بين الجيوش المحيطة بمرو . وكان اذا خلا الى نفسه ربض كالاسد وأخذ في تدبير الامور بدهاء ، فاذا مل الجلوس وقف وتمشى ذهابا وايابا كأنه نمر كاسر حبس في قفص من حديد وقد جاع فتحفز للوثوب على فريسة قريبة منه . وكان وهو يفكر ، يرى شبح الضحاك نصب عينيه ويتوقع أن يراه قادما اليه بحيلة يظنها الضحاك فتحا جديدا وهي عند أبي مسلم « قديمة » وانما كان يظهر اعجابه بفطنته تشجيعا له على خدمة أخرى ، والضحاك يتوهم أن حقيقة مساعيه تخفى على أبي مسلم ، وما علم ان هذا الخراساني يقرأ كل ما يجول في خاطره ويدرك ما سيأتي به اليه او يشير به عليه ، وانه انما يظهر له استحسانه واعجابه دهاء ومكرا ، وقد اضمر له السوء . فقد كان الناس في ذلك العصر أعداء بعضهم لبعض، كل منهم يترقب من صاحبه غفلة ليغتاله ، وقد اختلفت العناصر وتباينت المقاصد وصدرت وصية الامام ابراهيم بقتل كل من يشتبه فيه

وفيما كان أبو مسلم سابحا في عالم خياله ، يتمشى وبيده قضيب يلاعبه بين أنامله ، جاءه أحد الحراس يقول : « أن بالباب رجلا يطلب المقابلة » . فأدرك انه الضحاك ، فأذن له فدخل وقد تنكر بقلنسوة من قلانس الفرس فوقها عمامة صغيرة فبدا كأنه من كهنة المجوس . فلما أقبل رحب به وبش له ، ولكن الضحاك قرأ في احمرار عينيه وتغضن جبينه مادله على أهمية الامر الذي يفكر فيه ، فوقف متأدبا فخاطبه ابو مسلم قائلا : « أهلا بصديقنا الضحاك »

فأعظم الضحاك هذا التنازل من أبي مسلم وبالغ في التأدب في موقفه ، وقال : « اني لا استحق هذا الاكرام يا مولاي ، وانما أنا عبدك أرجو رضاك »

قال : « ومتى كان العربي عبدا للفارسي »

فوجم الضحاك لحظة ثم قال : « ان المسلمين اخوة ، وانما يتفاضلون بالتقوى والجهاد ، وقد ذهبت الدولة التي تحسب للعرب مزية على غيرهم ، وكان تعصبها للعرب سببا لذهاب سلطانهم . وكيف لا أكون عبدا لبطل خراسان صاحب دعوة الامام ؟ »

فاستضحك أبو مسلم وقعد ، ثم أشار الى الضحاك فقعد جاثيا على ركبته وقد أطرق وسكت ، فابتدره أبو مسلم قائلا : « ما وراءك يا ضحاك ؟ »

قال : « ما ورائي الا الخير ، وقد جئتك مهنئا بما أوتيته من الفوز الباهر ولعلي انفذ لك أمرا »

قال : « انما نحن مدينون بهذا الفوز لتدبيرك وسعيك ، واذا تم لنا النصر جعلناك في منصب يليق بأمثالك »

قال : « لا التمس الا رضا مولاي الامير ، فمرني بما تشاء »

قال : « قل ما الذي تراه الآن ؟ لقد أعجبني سداد رأيك بالامس »

فأطرق الضحاك هنيهة كأنه يعمل فكرته ، ثم قال : « ألا ترى بعد ان قتل الكرماني أن تتخلص من ابنه فيخلو لك الجو ؟ »

قال : « وشيبان ؟ »

فضحك الضحاك وقال : « شيبان ؟ وما شأن هـذا الخارجي . فهو ليس ممن يحسب لهم حساب ؟ »

قال : « كيف لا وهو صاحب جند وعصبية مثل الكرماني »

قال : « اذا قتلت ابن الكرماني ، فأمر شيبان على »

وكان ابو مسلم ينظر أثناء حديثه الى قلنسوة الضحاك وفى نفسه ان يعلم ما تحتها ، وقد لحظ من وراء حافتها ان رأس الضحاك حليق فأومأ بالقضيب الى القلنسـوة وقال : « ومن أتاك بهذه القلنسـوة ؟ » . وأظهر انه غمـزها بالقضيب سهوا فسقطت فبان رأسه حليقا . فوثب الضحاك وتضـاحك ، وبادر الى القلنسوة فأعادها الى رأسه وقال : « قد انتظمت فى سلك المجوسية من عهد قريب »

فتجاهل أبو مسلم ما أدركه من رؤية الرأس الحليـق ، وتضاحك وقال : « ان الكهانة خليقة بالفرس وليس بالعرب »

فأصلح الضحاك قلنسوته وقد امتقع لونه من تلك المفاجأة ، ولكنه صدق ان أبا مسلم انما فعل ذلك سـهوا فقال : « ان الرجل يغير زيه للوصـول الى غرضه ، ولو لم ألبسها ما استطعت بلوغ خيمتك »

فاظهر ابو مسلم انه صدق قوله ، وقال : « انك لتعجبنى بجدك وهزلك ، فلنعد الى الجد . ما الحيلة اذا أردنا التخلص من ابن الكرماني ؟ »

قال : « ان قتل هذا الرجل سهل وصعب »

قال : « وما معنى ذلك ؟ »

قال : « الا تذكر يامولاى مجلسـنا فى منزل دهقـان مرو ، اذ قلت لك ان اظهارك الميل لهذه الفتاة المفتونة سيكون عونا لك على تنفيذ مآربك ؟ »

ففهم أبو مسـلم تلميحه ولكنه تجاهل وقال : « نعم اذكر ذلك ولـكننى لم افهم مرادك »

قال : « مرادى أن تتخذها نصيرة لك فى خيمة ابن الكرماني وعلى فراشه »

قال : « أتراها تعيننا على قتله ؟ » . قال : « نعم ياسيدى أنا أضمن ذلك على شرط ! »

قال : « وما هو الشرط ؟ » . قال : « ذلك شرط يسير . ترسل الى هذه الفتاة علامة تؤكد لها رضاك عنها وان قتل ابن الـكرماني يرضيك ، وأنا أتم الباقى »

قال : « وما هى العلامة التى تعنيها ؟ »

قال : « علامة تعلم انها منك »

فنظر ابومسلم الى الضحاك نظرة كشف بها أسرار قلبه كما يكشف أصحاب اشعة رنتجن ما وراء الجوامد ، وقال : « لا أظنها تقنع بغير خاتمي »

قال : « تلك خير علامة تقضي بها الارب »

فأطرق ابو مسلم كانه يتردد ، ثم قال : « هل تعلم اهمية هذا الامر ؟ انى اذا دفعت اليك خاتمي فكأنى سلمت اليك أمرى ؟ »

قال : « أعلم ذلك يامولاى ، ولو علمت ان الامر يقضي بدونه لما طلبته »

فنزع ابو مسلم الخاتم من أصبعه ودفعه اليه ، وقال : « هـذا هو ، خذه وامض مسرعا وعد الى به الليلة فانى لا ابيت بدونه »

فوقف الضحاك اجلالا وتناول الخاتم وقبله ووضعه على راسه وقال : « قد لا استطيع مقابلة الدهقانة الليلة فآتيك فى الصباح ومعى الخاتم باذن الله » .

قال : « سر فى حراسة المولى »

ثم استأنف الكلام وقال : « البث هنا ريثما أعود اليك » . وخرج من باب سري فى الغرفة ، وظل الضحاك واقفا وقلبه يطفح سرورا لما استبشر به من نجاح امره ، وأصاخ بسمعه لعله يشعر بحركة أو يسمع صوتا يستدل به على شيء فلم يسمع شيئا . ثم عاد ابو مسلم وقال : « اذهب يا ضحاك واذا وفقت فى خدمتنا كافأناك ، ولـكن متى استوثقت من الفتاة فقل لها الا تعجل بالامر بل تنتظر اشارة أخرى ، فهمت ؟ » . قال : « سمعا وطاعة » . وانصرف

☐

اصبحت جلنار فى ذلك اليوم وقد تهيأ الجيشان للنزال ، وهى تخاف أن ينتصر الكرمانى لأن هـذا يعرقل مساعيها ويخيب آمالهـا ، فوقفت مع ماشطتها بحيث ترى المعركة عن بعد فرأت تضعضع جند الكرمانى ثم رأته عاد الى معسكره وكاد ينتصر فخافت ، واخيرا علمت بما كان من قتله ثم شاهدت تضعضع عسكره وهجوم ابنه على واتحاده مع ابى مسلم فاستغربت ذلك واغلق عليها تفسيره ، فعادت الى خبائها مع ريحانة وقد انقبضت نفسها وقالت لها بالفارسـية : « ما الذى أراه يا ريحانة ، أبو مسلم ينصر صاحبنا ؟ »

قالت : « لا يغرنك ما تشاهدينه فانها حيلة من أبى مسلم ، ومتى جاء الضحاك يفسر لنا كل شيء »

ولما غربت الشمس ولم يكن الضحاك قد جاء بعد ، انقبضت نفس جلنار

ولم تستطع طعاما ولا شرابا ، وريحانة تخفف عنها وتمنيها بالمواعيد . ثم سمعتا قرقعة اللجم وصهيل الأفراس بباب الخباء ، فأجفلنا وعلمتا أن عليا قادم برجاله فمكثتا صامتتين ، واذا بباب الخباء انفتح ودخل علي وثيابه ملطخة بالدماء وقد أخذ الغضب منه مأخذا عظيما . فخافت جلنار من منظره ولم تعلم بماذا تخاطبه وهو على هذه الحال وقد قتل أبوه ، فلبثت صامتة . أما ريحانة فتجلدت واستقبلت عليا ، وقالت : « أحسن الله عزاء الامير ، ان من يقتل فى ساحة الوغى ويخلف مثلك لايموت ، وانك لآخذ بثاره »

فأعجبه قولها فسرى عنه ، والتفت الى جلنار وقال : « لنا ببقاء عروسنا الدهقانة اكبر عزاء وسوف أثار لأبى من أولئك الأنذال ، وما هى الا أن تطلع الشمس ونعود الى القتال فلا تغرب الا ونحن فى دار الامارة باذن الله » . قال ذلك وهو يصلح من شأن خوذته على رأسه وابتسم وأشار الى جلنار أن تجلس فجلست صامتة ــ والقلوب اذا لم تتفاهم عجزت الألسنة عن الكلام . فحمل سكوتها على محمل الحياء فعذرها واكتفى بما سمعه من ريحانة ، ولكن جلنار لم يسعها عند سماع ما قاله الا أن تجيبه قائلة : « ان العزاء ببقاء مولاى الامير ، حفظه المولى وأعانه على الاخذ بالثار »

فلما سمع قولها انشرح صدره ، وقال : « انى سأثار لأبى وسترين وتسرين » . ثم صفق فجاءته قيمة الخباء فأمرها أن تقوم على خدمة الدهقانة أحسن قيام . ثم خرج للاهتمام بأمر الجيش والاستعداد للقتال فى الغد

فلما خرج ظلت الدهقانة صامتة وقد أخذتها شفقة على ذلك الشاب لما تضمره له من الشر ، ثم خافت أن يميل قلبها اليه فاستحضرت صورة أبى مسلم فى ذهنها ، فذهب منه رسم على وهاجت عواطفها . فلما خلت بريحانة قالت : « متى يأتى الضحاك لنسأله عما حدث اليوم ؟ »

قالت ريحانة : « لا يلبث أن يأتى ، وقد أوصانا بالأمس الا نستبطئه اذا غاب »

قالت : « ان لهذا الرجل لشأنا ، فقد جاء ليكون فى خدمتى وأراه يقضى أكثر وقته خارجا »

فقالت ريحانة : « اذا غاب يامولاتى فانما يغيب فى خدمتك أيضا ، هكذا فعل بالأمس فلا تلومى الغائب حتى يحضر »

فأجابت جلنار قائلة : « انى والحق يقال لم ار مثل اخلاص هذا الرجل فى خدمتنا ، والغريب انه عربى لم يستنكف أن يكون من موالينا »

قالت ريحانة : « ان العرب ليسوا الآن كما كانوا من قبل ، فقد انحلت عصبيتهم وانقسموا فيما بينهم ودالت دولتهم . . الا تذهبين لتتناول الطعام ؟ » .

فنهضت جلنار ومشت وهى تقول : « نذهب الى المائدة ريثما يعود ذلك المهذار »

فمشت ريحانة فى اثرها وهى تتمتم قائلة : « لا اظنه مهذارا »

وبعد أن تناولتا الطعام قضتا برهة تتحدثان ، وكلما سمعتا وقع أقدام ظنتا الضحاك قادما حتى طال انتظارهما وغلب عليهما النعاس . فذهبت جلنار الى الفراش ، وظلت ريحانة جالسة بين يديها والنعاس يغالبها والقلق ينبهها . فانقضى هزيع من الليل ونام أهل المعسكر وساد السكوت وسكت القصاصون والقراء ولم يأت الضحاك بعد

وبينا هى فى سهوة من سهوات النعاس سمعت ضحكة الضحاك فذعرت وفتحت عينيها فاذا هو واقف بازاء عمود الخباء وكأنهما عمودان . فهمت بأن تصيح به وخافت أن توقظ سيدتها وترعبها فاقتربت منه وقالت بصوت منخفض : « سامحك الله على هذا الغياب »

فمشى وهو يشير اليها أن تتبعه فتبعته حتى خرجا من الغرفة الى غرفة اخرى ليس فيها نور ، وكانت رجلاها تتثاقلان ، فمد يديه وأمسك بيدها وشدها وهو يقول : « لا تخافى ، لا بأس عليك »

قالت : « دعنى احمل اليك السراج لأرى وجهك وأسمع حديثك »

فضحك وقال : « ما اشد شوقك لرؤية هذا الوجه ! هاتى السراج »

فذهبت تمشى على رؤوس أصابعها حتى حملت السراج من غرفة جلنار وجاءت به ووضعته بجانب العمود وجلست . فجلس الضحاك وكان قد أبدل بالقلنسوة العمامة التى يعرفه بها أهل المعسكر ، فابتدرته قائلة : « لقد أطلت الغياب الليلة ، ومولاتى الدهقانة نامت منقبضة النفس على اثر ما رأته من نصرة أبى مسلم لجند الكرمانى »

فقطع الضحاك كلامها وقال : « الم يقتل الكرمانى ؟ تلك عاقبة انتصاره له !.. واذا طالت نصرته لهذا البيت أجهز على أهله واحدا بعد واحد »

فلم تفهم ريحانة قوله ، فقالت : « بالله لا تكلمنى بالألغاز »

قال : « قبحك الله ما اغلظ فهمك ! . ما تقرب هذا الخراسانى من قوم الا ابادهم فى سبيل مطامعه . فقد تظاهر بنصرة الكرمانى حتى يستعين به على صاحب مرو ، ولم يكن يقصد سرعة قتله ولكن الاقدار عجلت بذلك »

قالت : « ان مولاتنا الدهقانة فى قلق شديد لغيابك بعد علمها بمقتل الكرمانى ، فهل أوقظها لسماع حديثك ؟ »

قال : « سأوقظها بعد قليل وانما اريد ان اسر اليك أمرا ارجو ان تساعدينى فيه خدمة لمولاتنا »

قالت : « وماذا تريد ؟ »

قال : « ان مقتل الكرمانى انما كان بمسعاى أنا توطئة لمقتل ابنه ليرضى عنا ابو مسلم فتنال مولاتنا ما تتمناه ! »

قالت : « أنت سعيت فى قتل الكرمانى ؟ لله ما أقدرك ! والآن تريد ان تقتل ابنه ؟ . كيف تستطيع ذلك ؟ »

فضحك وقال : « لا استطيع ذلك الا بك »

فدهشت وقالت : « لعلى من أهل السيف ولست أدرى ؟ ! »

قال : « ليس الفوز بكثرة الجند يا ريحانة وانما ينال المرء مرامه بالدهاء والصبر . وانا الآن آت من عند ابي مسلم وقد وعدته بقتل ابن الكرمانى ، واصبح يتوقع ذلك منا بعد أن حدثته فى شأن مولاتنا الدهقانة معه ، وانها ستكون عونا له على نجاح مهمته . وليس من شيء يسهل عليه المهمة مثل قتل آل الكرماني ليستأثر بالسلطة من دون بقية العرب »

فأجفلت ريحانة من هول طلبه ، وسكتت ولم تحر جوابا

فلما رآها ساكتة وقف وقال : « دعينى أذهب الى مولاتى جلنار فانها اعلم منك بأهمية هذا الطلب »

فوقفت تقول : « لا أظن الدهقانة ترى قتل رجل يتفانى فى حبها بلا ذنب اقترفه ، ولا هى اعتادت القتل. أمكث هنا ريثما أوقظها ثم أدعوك». وتركته ومضت ثم عادت ونادته ، فتبعها والسراج بيدها حتى دخلت غرفة جلنار ، وكانت قد جلست فى الفراش والتفت بالمطرف ، فدخل ووقف متادبا ، فأمرته بالجلوس فجلس على طنفسة صغيرة عليها رسوم فارسية ملونة ، وجعل ركبتيه تحته .. وهى جلسة التادب عندهم

فلما استتب به المقام ، قالت جلنار : « لقد أزعجنى غيابك وانت تعلم ان أبى انما امر بمجيئك لتكون معى لانى لم ازل أعد نفسى غريبة بين هؤلاء القوم ، ولكنك منذ اتينا هذا المعسكر لا تمكث الا قليلا وتتركنا على احر من الجمر فى انتظارك » . فاطرق الضحاك ولم يجب ، فاستأنفت جلنار الكلام وكأنها استدركت أمرها فقالت : « لا انكر انك لا تغيب الا فى مهمة تهمنى ، وانك من أشد الناس غيرة على وسعيا فى راحتى ، ولكنك اقلقتنى اليوم حتى كادت تزهق روحى »

فابتسم الضحاك معتذرا ، وقال فى هدوء ورزانة واحترام : « يسوءنى يامولاتى أن أسبب لك قلقا ، واقسم براس مولاى الدهقان انى انما غبت فى خدمتك ، ومتى عرفت من أين انا آت الآن عذرتنى ! »

قالت : « من أين ؟ » . فالتفت الى ريحانة كانه يستشهدها وقال : « قصصت بعض حديثى على ريحانة أثناء رقادك ولا باس من الاعادة ، اتيت

الآن من معسكر الخراسانيين بعد حديث مع الامير ابى مسلم »

فلما سمعت اسم الامير ابى مسلم بدا الاحرار فى وجهها وتجلت علامات الحب فى عينيها وغلب عليها الحياء ، فاطرقت ثم قالت : « وماذا جرى ؟ »

قال : « لم يحدث شيء بعد ، واخاف الا يحدث شيء فيذهب سعينا هدرا ! »

قالت وقد أوجست خوفا من هذا التلميح : « ما الذى تخافه ؟ »

قال وهو يخفض صوته : « أخاف ان ينقلب سعينا علينا ، فنحن انما ركبنا هذا المركب الخشن وحملنا دهقانة مرو الى خيمة هذا الرجل ، وحملناها ما حملناها من المشقة وعرضناها للخطر ، كل ذلك لكى نصل الى ما نبتغيه من قائد جند الخراسانيين ، وقد فهمت من كلام ريحانة الآن أن أمرنا صائر الى غير المراد ! »

فالتفتت الى ريحانة وفى عينيها امارات الاستفهام ، فأجابتها هذه بنظرة الاستغراب . فقال الضحاك : « لا تستغربى يا مولاتى فانى افصح لك عن مرادي بعبارة وجيزة . قد رأيت اليوم ما كان من نصرة ابى مسلم لابن الكرمانى ، ولا اظنك تجهلين معنى هذه النصرة ، فابو مسلم لم ينصر عدوه هذا الا احتيالا حتى يتمكن من الفوز عليه فى شيئين مهمين : الاول انت وهو الأهم عنده ، والثانى فتح مرو . وكذلك لا يغرنك ما يبديه ابن الكرمانى من مداهنة أبى مسلم ، فهو انما يسايره لكى يحقق غرضه فيتزوج الدهقانة ويفتح مرو ، وكل من الأميرين لا ينال أربه الا بقتل صاحبه لينفرد بالغنيمتين . فابن الكرمانى يهيىء الوسيلة لقتل ابى مسلم ، وهذا يهيئها لقتل ابن الكرمانى . وترجيح الفوز لأحدهما راجع اليك ! »

فاستغربت جلنار هذا التفصيل ، وادركت بعض مراد الضحاك ، وأشكل عليها البعض الآخر فقالت : « وما علاقتى بذلك ؟ »

فقال وهو يبالغ فى خفض صوته وجلنار تتطاول بعنقها نحوه : « ان ابن الكرمانى يتربص غفلة من أبى مسلم ليغتاله ، ومن يدرى متى يتأتى له ذلك ، وقد أراد أبو مسلم أن يسبقه فيقتله ، ولكن ريحانة تأبى ذلك فأرجو الا يكون رأيك من رأيها »

فقالت : « هل ترضى ريحانة بفوز ابن الكرمانى ؟ لا أظن »

قال : « لم تقل ذلك صريحا ، ولكننى ذكرت لها وسيلة تسهل قتل هذا الرجل وتجمعك بأبى مسلم فعرقلت مساعى »

فقطعت ريحانة كلامه ، ووجهت خطابها الى جلنار قائلة : « ليس الامر كذلك يا مولاتى ، ولكنه جاءنى برأى لا اظنك ترضين به ! »

فابتدرها الضحاك قائلا : « الا ترضى مولاتنا بقتل هذا الرجل واستقلالها بأبى مسلم ؟ »

قالت ريحانة : « ولكنك تريد أن يكون قتله على يدها »

فلما سمعت جلنار قولها بدا الارتباك فى وجهها ، ونظرت الى الضحاك فرأته يصعد كتفيه ويقلب شفتيه ولسان حاله يقول : « ذلك لا يعنينى »

فقالت جلنار : « أحقا انت تعنى ذلك ؟ . أتريدنى أن أقتل هذا الرجل ؟ وكيف أقتله وهو لم يسىء الى ؟ »

قال : « تفعلين ما تشائين ، يبدو انك الفت الاقامة هنا ونسيت وعدك »

قالت : « لم أنس وعدى ولا غيرت عزمى ، وانت تعلم ذلك »

فمد يده الى جيبه وأخرج الخاتم ودفعه اليها ، وقال : « هل تعرفين صاحب هذا الخاتم ؟ »

فتناولته وحدقت فيه على ضوء السراج ، فاذا عليه اسم ابى مسلم .. فاختلج قلبها فى صدرها وهاجت عواطفها وتنسمت منه رائحة حبيبها ، ونظرت الى الضحاك وقالت : « هذا خاتمه ، ما الذى جاء به اليك ؟ »

قال : « لم اسرقه ، ولكن صاحبه دفعه الى دليلا على صدق رسالتى فهل تصدقين ما أقول ؟ »

قالت : « وهل كذبتك فى شىء قبل الآن ؟ » . قال : « كلا »

قالت : « وما الذى بعثك به الى ؟ »

قال : « قصصت عليك غرضه ، وخلاصة ذلك أننا ان لم نقتل صاحب هذه الخيمة فسيقتل هو صاحب هذا الخاتم . فان احدهما سيقتل الآخر لا محالة ، فاذا ترددنا فى مقتل هذا فكأننا سعينا فى قتل ذاك . ولا سبيل الى ذلك الا بك ، فاختارى أحد الأمرين »

فأدركت جلنار غرضه فأعظمت الطلب ، ولكنها اعظمت أن تعرض حبيبها للخطر وهى تعتقد أنه يحبها وفى قتله ذهاب كل آمالها ، فلبثت حائرة ، واستولى السكوت على الجميع . ثم فتحت جلنار فاها وقالت : « قد اوقعتنى فى حيرة لا اعرف كيف انجو منها ، أما القتل فلا طاقة لى به ولكننى ابذل جهدى فى منع الأذى عن ذاك »

فضحك وقال : « تمنعين الأذى ؟ افعلى ما بدا لك فليس على تبعة ما يحدث من عاقبة هذا التردد »

فخافت تهديده وزادت حيرة وعادت الى صمتها فقال الضحاك : « كيف تمنعين الأذى وأنت محبوسة فى هذه الخيمة لا تستطيعين مبارحتها الا بقتل صاحبها ، واذا لم نعجل بقتله سبقنا هو الى قتل صاحبنا .. فنندم حين لا ينفعنا الندم .. على أنك انت صاحبة الشأن ونحن طوع امرك ، والخسارة انما تعود عليك فافعلى ما تشائين »

فقالت : « اقتله بيدى ؟ بالله كيف أستطيع ذلك .. تبصر فى الامر

يا ضحاك ، وقل ماذا كنت تفعل لو كنت فى موضعى ؟ »

قال : « لو كنت فى مكانك لقضيت الامر بشربة من ماء أو لقمة من طعام ! »

فأطرقت هنيهة ثم قالت : « لا ، لا أقدر على ذلك ، ولكننى ابذل جهدى فى منع الاذى عن . . واذا استطعت المساعدة فى . . » . وسكتت ثم قالت : « دعنى أتدبر المسألة »

فنهض الضحاك وقد رجح عنده أنه سيقنع جلنار فى جلسة اخرى ، وقال : « أرجعى لى الخاتم لأرجعه الى صاحبه . . وأنا على يقين انك ستعودين الى رأيى »

فقالت : « وهل ترجعه اليه الليلة ؟ »

قال : « لا بد من ذلك ، فقد أعطانيه على هذا الشرط »

فتثاقلت جلنار فى دفع الخاتم اليه لأنها استأنست به وتنسمت منه ريح حبيبها ، ثم فطنت الى تثاقلها والضحاك واقف فى انتظارها ، فدفعته اليه رغم ارادتها ، فتناوله وخرج . . وترك الدهقانة وماشطتها فى بحور من الهواجس

□

سار الضحاك مسرعا حتى خرج من المعسكر ، وقد انتصف الليل واطل القمر من وراء الجبال . فمضى مسرعا الى مكان نزع فيه جبته وغير قيافته وحل عمامته وتعمم بطريقة خاصة ، ومشط لحيته وشد منطقته الى وسطه واصلح من شانه حتى ذهبت عنه هيئة المجون ، وولى وجهه نحو معسكر شيبان الخارجى

وكان معسكر الخوارج وراء معسكر الكرمانى فى منبسط من الارض ، والخوارج يسعون الى نزع السلطة من كل مسلم ، ويرون أن الحكم لله وحده — يقولون ذلك ويطلبون السلطة لأنفسهم ، فغرضهم غرض جميع طلاب الخلافة فى ذلك العهد وان اختلفت الأسباب . وكان زعيمهم شيبان قد جاء برجاله وحاصروا مرو قبل مجيء ابى مسلم ، ثم جاء الكرمانى فتنازعا على مرو

وكان نصر بن سيار صاحب مرو من أهل الدهاء والحزم ؛ فكان اذا خاف أحد العدوين استعان عليه بالعدو الآخر فلم يستطع أحد منهما أن يتغلب عليه

وأما الضحاك فكان من أمراء الخوارج ، شديد التمسك بمذهبهم . فلما تحقق امتناع مرو على أصحابه وعلم ما كان من سعى الكرمانى فى تزويج ابنه من ابنة دهقان مرو ، رأى أن يحتال فى قتل الكرمانى غيلة ، وخطر له أن يتنكر ويدخل فى خدمة الدهقان ويحبب نفسه الى الدهقانة حتى تستأنس

به ، ويكون فى جلة من يحمل معها من الخدم والعبيد الى بيت زوجها ، فيتقرب من الكرمانى وينتهز فرصة غفلة منه ويقتله ، فيشتد ازر الخوارج وينفردوا بغزو مرو فيتم لهم النصر . فاحتال حتى بيع للدهقان فيمن بيع له من الاسرى ، وبذل جهده للتقرب من الدهقانة بوساطة ريحانة بما كان يبديه من المجون وخفة الظل حتى وثقت به كل الوثوق وصارت تعهد بأسرارها اليه . وكان يحرض ريحانة على تحبيب ابن الكرمانى الى سيدتها

وبينما هو يسعى فى ذلك جاء أبو مسلم الى الدهقان ونزل عنده ، فاطلع الضحاك على مقاصده وعرف قوته فأعمل فكره فى تدبير الحيلة ، ثم عهدت اليه ريحانة فى السعى لدى أبى مسلم لتزويج الدهقانة به ، فرأى أن يستعين بابى مسلم على قتل الكرمانى وابنه على يد جلنار . فحسن له التظاهر بحبها ونقل اليها خبر رضاه بها من تلقاء نفسه. وأراد أن يستخدم الدهقانة لقتل الكرمانى وابنه وغيرهما اذا اقتضت الحال. ثم يتمكن من قتل ابى مسلم اذا ساعدته الاحوال ، والا فيكتفى بقتل ابن الكرمانى ليبقى اليمنية بلا امير فيحضهم على الاتحاد مع شيبان فينفرد أبو مسلم برجاله الخراسانيين وهم قليلون ، فيغلبه الخوارج ويفتحون مرو ويتم لهم ما كانوا يأملونه من اخراج بنى أمية من خراسان والاستقلال بها

فلما جاء أبو مسلم الى مرو ، وعلم الضحاك الا بد له من الاستعانة بالكرمانى على شيبان ونصر ، تظاهر بأنه على رأيه وأشار عليه بالتفريق بين الأميرين وزعم انه استنبط هذا الراى ليكتسب ثقة ابى مسلم ، توصلا الى اغرائه بقتل ابن الكرمانى على يد جلنار ، وكان فى خلال اقامته عند دهقان مرو ، وبعد قدومه الى معسكر الكرمانى ، يتردد سرا على معسكر الخوارج ويطلع شيبان على ما يدبر . ولذلك ظل شيبان بعد قدوم أبى مسلم الى مرو هادئا لايحارب عملا بمشورة الضحاك ، فاما ان يتحارب ابو مسلم والكرمانى فيقضى احدهما على الآخر فيخلو الجو لشيبان ، واما ان يحتال الضحاك فى قتل ابن الكرمانى

وكان الضحاك قد تواطأ مع شيبان فى الليلة الماضية على ان يذهب الى ابى مسلم فيحرضه على قتل ابن الكرمانى على يد جلنار ، فاذا تاتى له ذلك بعث دعاة الخوارج الى اليمنية من رجال الكرمانى يحرضونهم على الاتحاد معهم لانهم عرب مثلهم ، ويطلعونهم على حيلة ابى مسلم فى التفريق بينهم بالكتب التى ارسلها اليهم مع الرسول . وكان شيبان عازما على مهاجمة مرو فى صباح الغد ، حالما يعلم بقتل ابن الكرمانى . فبعث أمزاءه فى المعسكر يستحثون الرجال على التأهب ، وامر القصاصين ان يتلوا على الجيش اقوال عنترة وغيره من اشعار الجاهليين فى الحماسة والفخر ، استنهاضا للهمم وتحريضا للجند ، على عادة العرب فى حروبهم حينذاك

القصاص ورفيقه

جلس شيبان فى خيمته ينتظر قدوم الضحاك ، فلما ابطأ فى قدومه عليه وقد مضى هزيع من الليل ، ضجر وخاف ان يغلب النعاس عليه وعلى امرائه الساهرين معه . فأمر بعض غلمانه أن يأتيه بقصاص يتلو عليه بعض الأشعار أو القصص للتسلية . فذهب الغلام ثم عاد يقول انه سمع قصاصا ينشد اشعارا حماسية بصوت رخيم ويضرب على الطنبور باشجى الأنغام

فقال : « واين هو ؟ »

قال : « بالقرب من فسطاط الامير »

فاصاخ شيبان بسمعه ، فسمع نشيدا مطربا يدوى فى ذلك الليل الهادىء تتخلله انغام الطنبور ، فأمر الغلام أن يأتى به ، فخرج الغلام ثم عاد ووراءه شيخ طاعن فى السن طويل القامة عريض المنكبين ، عليه عمامة صغيرة ، واسع الصدر ، ابيض الشعر وقد غطت لحيته معظم صدره ، وعليه عباءة حمراء قصيرة وبيده طنبور يضرب عليه بخفة ومهارة ، ومعه رجل قصير القامة على راسه عمامة كبيرة لها زائدتان عريضتان احداهما مرسلة الى الوراء والاخرى مدلاة على جبينه فوق عينيه كأنه يشكو رمدا فبدا مغمض العينين ، اذا مشى تعلق برفيقه القصاص يلتمس الطريق فى اثره ، وبيده دف صغير ينقر عليه نقرا جيلا

وكان شيبان فى خيمة كبيرة قائمة على عدة أعمدة ، فى أرضها بساط كبير قد جلس هو فى صدره على وسادة ، وبين يديه بضعة امراء من خاصته . فلما رأى القصاص داخلا أمره بالجلوس والانشاد وأجلس رفيقه ، فبدأ هذا بالنقر على الدف نقرا محكما ، وأخذ القصاص فى الانشاد بما يطرب الجماد . فأنشد بعض اشعار عنترة ، ثم أمره شيبان بان ينشد اشعار غيره من الجاهليين ، فتلا اقوال زهير وطرفة وغيرهما وهو يضرب على الطنبور بما يحرك العواطف الحماسية ، وكلما قال بيتا حماسيا هاج الامراء وتحمسوا واستعادوه . وطلب اليه بعضهم أن يقص عليهم قصص حرب البسوس ، ويوم ذى قار الذى انتصف فيه العرب من العجم ، وغيرهما من أيام الجاهلية المشهورة ، فاجابهم الى كل ما طلبوه سواء أكان قصة أم شعرا أم ضربا على الطنبور ، بينما رفيقه ينقر على الدف نقرا حسنا ، ويساعده بالانشاد وهو مطرق من الم عينيه . فطرب الجميع ونسوا ماكانوا فيه من ملل الانتظار ، وتجمع

رجال الحاشية والخدم فى الخيمة وحولها حتى تكاثروا واختلطوا

وبينما هم فى تلك الضوضاء ، دخل غلام تخطى رقاب النـاس حتى وقف بين يدى شيبان واسر اليه قولا . فأشار شيبان اشارة تحرك لها كل من فى المجلس من الامراء والحاشية ووقفوا وعلت ضـوضـاؤهم وهموا بالخروج . فوقف القصـاص وامسك به رفيقه وارادا الخروج مع الخارجين ، فجاءهما غلام واومأ اليهما أن يذهبـا الى خيمة الحاشـية بجوار الفسطاط . فخرج القصـاص ورفيقه ممسـك بطرف ثوبه ، فرأى فى طريقه رجلا طويلا دخل الفسطاط فتنحى له الناس واستقبله شيبان بالترحاب واجلسه الى جانبه ، وهو يقول : « أهلا بالامير شبيب »

ولم تمض بضع دقائق حتى خرج الناس من الفسطاط الا الامير شـيبان والامير شبيبا وبضعة امراء آخرين . واتجه سـائر الحاشـية والاعوان الى خيمة بالقرب من الفسـطاط . واراد القصـاص أن ينصرف فأمسكه بعض الخدم ، وأمروه أن يدخل الخيمة وينشد لبعض رجال الحاشية هناك ، فدخل مع رفيقه واخذا فى الانشاد والضرب والنقر . فبعث الامير شيبان اليهم ان يسكتوا لئلا يشوشوا عليهم حديثهم ، على أن يستبقوا القصاص الى ما بعد الفراغ من الحديث ، ففعلوا

فلما خلا شيبان بشبيب ومن ظل فى الفسطاط من خاصته ، انطلق لسانه بالترحاب وهش له واستدناه حتى تماست ركبتاهما وشيبان يقول : « بورك فى الامير شبيب ، ارجو أن تكون قد افلحت فآن لنا الظهور »

فقال : « النجاح لاريب فيه باذن الله وببركة الامير شـيبان » . قال ذلك واخرج خاتما دفعه اليه

فدهش شيبان وتناول الخاتم وتفرس فيه ، فلما عرفه تبسم والتفت الى امير بجانبه وقال : « هذا خاتم الشاب الخراسانى ، فما قولكم فيمن تمكن من الحصول عليه ؟ »

فأجاب احد الامراء قائلا : « وماذا ينفعنا خاتمه وهو معسكر امامنا ، وقد اتحد مع هؤلاء اليمنية وقبض على زمام اميرهم ابن الكرمانى بعد أن قتل اباه ، فاذا اتحدا على صاحب مرو غلباه ولا فائدة من مقامنا هنا »

فضحك شبيب ، ووجه خطابه الى الامير شيبان وهو يتربع فى مجلسـه ويده اليمنى على ركبة شيبان واليسرى يحك بها ذقنـه ، وقال : « لم اخط خطوة الا وأنا حاسب لها حسابا واظننى أحسنت التدبير ، وسابدى لكم رأيى ولكم أن تغيروا فيه » . ثم التفت يمينا ويسارا كأنه يستوثق من خلو المكان من الغرباء ، فابتدره شيبان قائلا : « تكلم فاننا فى مأمن من العيون ، وليس حولنا احد نخافه على افشاء سرنا »

فقال شبيب : « لايهمنا أمر هذا الخاتم الا بقدر ما نستطيع ان نقتل به ابن

الكرمانى اليوم أو غدا »

فقال شيبان متعجبا : « اليوم ؟ »

قال : « قد كنت أتوقع قتله الليلة ، ولـكنه فى حال لايبقى بها الى ما بعد الغد »

فقال أحد الامراء : « وكيف نقتله وهو محاط بالحراس والخدم ؟ »

فاعترضه شيبان قائلا : « نقتله بالدهاء والذكاء . واذا كنتم تعرفون دهاء الامير شبيب فلا تستغربوا ذلك منه » . ثم التفت الى شبيب كأنه يلتمس منه اتمام الحديث فقال شبيب : « اذا قتل ابن الكرمانى فان رجاله يكونون معنا على أبى مسلم ، لأنهم عرب يمنيون مثلنا يكرهون عرب خراسان ومضر مرو ، ولا يجمع كلمتهم الآن الا أميرهم ابن الـكرمانى ، فمتى قتل فعلى (وأشار بأصبعه الى صدره) أن أجمع كلمتهم تحت قدم الامير شيبان ، ومتى فعلنا ذلك تكاتفنا على قتل أبى مسلم وتشتيت جمعه ، ولا ريب ان نصرا صاحب مرو يساعدنا فى ذلك أو يلزم الحياد »

فقطع شيبان الحديث وقال : « بل يساعدنا لأنه بعث الى فى صباح هذا اليوم يطلب محالفتى »

فقال شبيب : « ولو لم يطلب هو نصرتنا لطلبنا نصرته ، وانما الغرض الاول ان نتخلص من ابن الكرمانى ، ولاتحسبن التخلص منه هينا ، بل هو يستحيل على سواى ، ولذلك حديث يطول شرحه ، والامير شيبان يعرف معظمه » . فأمن شيبان على كلامه . فقال شبيب موجها خطابه الى شيبان : « لقد كدت أزهق روحها قبل أن أصل الى غرضى ، فقد جعلت هذه الفتاة المفتونة بحب ذلك الخراسانى تعتقد انه مفتون بها وانه لاسبيل لهـا اليه الا بقتل زوجها ابن الكرمانى . ولاشك انه أكثر هياما بحب الفتاة منها بحب أبى مسلم ، وآمل أن يهلكهم الحب جميعا . . وقد بذلت جهدى فى تحريضها على قتل ابن الكرمانى بالسم أو ما الى ذلك ارضاء لحبيبها . وهو فى الواقع لايحبها ، ولـكنه مالأنى على اظهار الحب تنفيذا لغرضه كما خدعته أنا باظهار التفانى فى سبيل دعوته لتنفيذ غرضى ، وهو يحسب انه يخادعنى ويسايرنى ويظننى مخدوعا مغرورا وهو المخدوع المغرور . والخلاصة انى غررت به حتى دفع الى خاتمه علامة منه لتلك الدهقانة على انه يحبها ، ويريد منها ان تفتك بخطيبها . وقد آنست منها اباء ، ولكنى سأعيد الكرة فى الغد بحيث لاينقضى الا وقد نفذت الحيلة »

فظهرت امارات الاعجاب على وجوه السامعين ، وهم يتطاولون بأعناقهم نحوه ويراعون حركات شفتيه وعينيه لاستيعاب أقواله . ثم أطرق وسكت ، كأنه يفكر فى أمر خطر له فسكتوا فجأة يتوقعون منه قولا ، فاذا هو يقطب حاجبيه ويرفعهما كما يفعل الحائر ثم التفت الى شيبان وقال : « بقى أمر لابد من الرجوع فيه اليكم »

فتوجهت أنظارهم اليه ، وقال شيبان : « وما الذى تريده ؟ »

قال : « لابد لنا من تمهيد السبيل لجمع كلمة هؤلاء اليمنية معا ، بحيث اذا قتل اميرهم انحازوا الينا وتم الامر لنا »

فقال شيبان : « وهل نفعل ذلك قبل مقتل الرجل أو بعده ؟ »

قال : « يجب ان نمهد السبيل خوفا من الفشل ، وارى ان يكون ذلك بمخاطبة كبار الامراء سرا . ولولا اشتغالى بما هو اهم من ذلك لما كلفنى تبغيض أبى مسلم الى اليمنية اكثر من اطلاعهم على حيلته فى القاء الفتنة بينهم وبين المضرية ، وهو الراى الذى كنت عرضته عليه يوم وصوله كما تعلمون . فاذا اطلعوا على هذا السر مع ما فى قلوبهم من الكره الطبيعى للفرس اتحدوا معنا لامحالة ، فما قولكم ؟ »

فصاحوا بصوت واحد : « هذا هو الراى الاعلى »

فوقف شبيب وهو يتوكأ على كتف الامير شيبان ، وقال : « دعونى اذهب الآن »

فقال شيبان : « الى أين ؟ » . قال : « الى ابى مسلم »

قال : « الى أبى مسلم ؟ ولماذا ؟ »

قال : « لأعيد اليه خاتمه فقد فارقته على ذلك ، فيجب ان اصدقه الوعد لتتم الحيلة ، ولكى استمهله ريثما اقتل ذلك المغرور » . قال ذلك ووقف ، فوقف بقية الامراء ، ثم خرج مسرعا لايلوى على شىء ، وتركهم وكلهم معجب بتدبيره ودهائه ، ولبثوا هنيهة يتشاورون وقد انشرحت صدورهم واطمأنت قلوبهم وايقنوا بالنجاح . وبدا لهم ان يعودوا الى سماع القصاص وموسيقاه ، فصفق الامير شيبان فدخل احد الغلمان فقال له : « الى بالقصاص » . فخرج الغلام ثم عاد يقول : « لم اجد القصاص ورفيقه يامولاى . . واظنهما ذهبا الى الرقاد لانى رأيتهما وقد استولى عليهما نعاس شديد حتى ناما والناس جلوس فى خيمة الخاصة ، فتركوهما نائمين وخرجوا ، فذهبت اليهما الآن فلم أجدهما »

قال : « لا أظنهما ينصرفان قبل أن يأخذا مكافأة ، ابحث عنهما جيدا حول هذه الفساطيط فقد اطربانا وحق علينا اكرامهما »

فخرج الغلام وعاد ولم يعثر عليهما ، فأسف الامير لذهابهما واوصى الغلام بأن يتحرى شأنهما فى الغد لئلا يتهماه بالبخل . وانفض المجلس وذهب الامراء الى مضاجعهم ، وظل الامير شيبان وحده يدبر وسائل الاتصال بالامراء اليمنية فى الغد

اما شبيب فانه لما بعد عن معسكر الخوارج ، اختلى لتبديل ثيابه ، فعاد الى ماكان فيه من مظهر المجون ، ثم سار توا الى معسكر ابى مسلم . فوصل الى

المعسكر وقد انقضى معظم الليل ، واقبل على المنزل الذى ترك ابا مسلم فيه ولم يستغرب أن يجده مستيقظا الى تلك الساعة لعلمه بما هوعليه من السهر على شؤونه واليقظة لتنفيذها . فلما وقف بالباب دخل به الحارس على أبى مسلم ، فاذا به لايزال بلباس النهار، فاحتفل به وبش له وناداه قائلا : « اهلا بالضحاك ، عسى أن تكون قد وفيت بالعهد »

فمد الضحاك يده وتقدم الى أبىمسلم باحترام والخاتم بينابهامه والسبابة وقال : « هذا هو الخاتم يامولاى أدى مهمته ، شكرا له ولصاحبه »

فمد أبو مسلم يده وتناول الخاتم ، وقال : « بل الشكر لك ايها الهمام ، هل ارسلت الرجل الى خوارزم ؟ » . وكانت عادته اذا اراد قتل رجل أن يقول : « ارسلوه الى خوارزم »

قال : « لم استطع ارساله الليلة ، لأنى وجدت الدهقانة مترددة فى تنفيذ الحكم لأنها لم تتعود مثل هذه الامور » . وضحك

فجاراه أبو مسلم فى الضحك ، وقال : « لابأس من الانتظار ، ولكن هل استوثقت من قيامها بالامر غدا أو بعد غد ؟ »

قال : « نعم ، فانها لما رأت الخاتم هان عليها كل صعب فى سبيل مرضاة صاحبه »

فاظهر أبو مسلم الاستحسان والاعجاب ، واشار الى الضحاك ان يجلس وقال : « اذا وفقت الى ما تقول وفتحنا مرو ، كان لكعندنا مقام رفيع ورتبة عالية »

فشكر الضحاك هذا التلطف ولم يجلس ، وقال : « ان أسمى ما تتوق اليه نفسى ان أكونحائزا على رضا مولاى. واذا أذنت لى فى الانصراف الآن ذهبت لاتمام أمرك »

قال : « لا تعجل فى الامر لئلا يفسد علينا تدبيرنا ، ولا اظن الدهقانة توفق الى التنفيذ قبل جلسة أخرى تقنعها فيها بلباقة ومهارة ، وهى الآن لاشك نائمة ، فالاحسن أن تبيت الليلة عندى فاذا طلع النهار قمت بمهمتك »

فاظهر الطاعة وهو يفضلالذهاب لاتمام ما أبرمه مع شيبان، ووقف لايحير جوابا ، وسكت ابو مسلم واخذ يخطر فى الغرفة ذهابا وايابا ، فعلم الضحاك انه يعمل فكرته فى أمر مهم ، فظل ساكتا مؤملا ان يرجع عن استبقائه عنده . وبعد هنيهة وقف أبو مسلم بجانب الضحاك فجأة والقى يده على كتفه متلطفا ، فاستأنس الضحاك بهذا التحبب واصاخ بسمعه لما سيقوله ابو مسلم فاذا به يتفرس فى عينيه تفرس مستطلع ، ثم قال بعبارة ناعمة : « اشاعر انت حقا بمنزلتك عندى وعظم ثقتى بك ؟ »

وكان الضحاك قد أوجس خيفة من تحديق أبى مسلم وصدق فراسته

ـ ويكاد المريب يقول خذوني ـ فلما سمع منه هذا التلطف سرى عنه وقال : « كيف لا اشعر بذلك وقد أعطيتني خاتمك وعهدت الى بأسرارك »

قال : « لايزال عندى سر آخر .. هل اكاشفك به ؟ »

قال : « لك الامر ، اما انا فطوع مشيئتك »

قال : « اجلس اذن واصغ » . قال ذلك وأجلسه ويده على كتفه . فجلس الضحاك وهو يتطاول بعنقه ليسمع ذلك السر الجديد لعله يساعده فى غرضه

□

فلما جلسا قال أبو مسلم بصوت منخفض : « انك ولا شك تعلم عدد من معى من رجال خراســان ، وكلهم طوع بنانى ، ولكننى لا اثق الا ببعضهم ولا اسلم سرى الى أحد منهم ، وقد خطر لى فى هــذه الســاعة خاطر أردت أن استشيرك فيه لما آنسته من اخلاصك وصدق خدمتك ودهائك ، وان كنت تتظاهر بالبله والمجون فانت أهل للمراتب العالية . وقد حفظت أمر تواطئنا على قتل ابن الكرمانى فلم يعلم به حتى خالد بن برمك وسليمان بن كثير ، مخافة أن يطرأ مايفسد علينا تدبيرنا ، وقد خطر لى الآن امر زادنى خوفا من الفشل »

قال : « وما هو يامولاى ؟ »

قال : « اذا نحن قتلنا ابن الكرمانى ، فمن يضمن لنا انصــياع رجاله الينا وهم عرب ونحن فرس . ألا تظنهم ينحازون الى غيرنا ؟ »

فتجاهل الضحاك وقال : « والى من يامولاى ؟ أما انحيازهم الى نصر فأمر بعيد لأنه قتل أميرهم الكبير »

فقطع أبو مسلم كلامه قائلا : « انا أعلم انهم لايحبون نصرا ، ولــكنهم قد ينحازون الى الخوارج المعسكرين هنا . أصدقنى لأنك عربى وتعرف اغراض العرب . ألا تظن أمراء اليمنية يؤثرون العرب علينا ؟ »

فاطرق الضحاك وقد وقع فى حيرة لايدرى بماذا يجيب واستغرب السؤال ، ولكنه تجلد وتظاهر بالسذاجة وقال : « اظنهم يفضلون العرب »

قال : « خطر لى خاطر أستنصحك فيه ، فاما أن توافقنى عليه او ندفنه هنا لايعلم به أحد »

قال : « انى طوع أمرك يامولاى ».

قال : « علمت من أصــحاب الخبر الذين بثثتهم فى معسكر الخوارج منــذ قدومى الى هذا المكان انهم ينوون محالفة نصر بن ســيار صــاحب مرو على حربنا وحرب ابن الكرمانى ، فبدا لى الآن أن أحالف هؤلاء الخوارج على نصر وابن الــكرمانى ، فاذا قتلنا هذا جعلنــا قيادة العرب اليمنية كافة الى الامير

شيبان ، على أن يكون حليفنـــا على نصر ، لأن الهدف الذى نرمى اليه بدعوة الامام انما هو اخراج الخلافة من بنى‌أمية ، وليس الغرض أن نفتح مرو اوغيرها من مدن خراسان . وهذا سر عميق لو علمت ان طائرا تنســم ريحه قتلتك وأنت تعلم انى اقتل على التهمة بأمر الامام »

فتوسم الضحاك من وراء هذا السر خيرا كبيرا يعود عليه ، فاقبل على أبى مسلم وقال : « اذا كنت ترتاب فى صدق نيتى فاقتلنى حالا »

فابتسم أبو مسـلم وقال : « علمت مكنونات قلبك ، ولكن ليطمئن قلبى ، فاعلم اننا نرمى من وراء فتحنا مرو الى اخراجها من ســلطان بنى اميــة ، ولا يهمنا من يتولاها بعدهم ، وانى اخشى من الخوارج أن ينضموا الى رجال ابن الكرمانى بعد قتله فيتعبوننا ، ولاسيما اذا حالفوا نصراً صــاحب مرو . فهل‌من‌سبيل‌الى‌أميرهم شيبان، هل‌تعرفه أوتعرف‌احدا يتوسط بيننا وبينه لنبرم اتفاقا يقينا شر ما نخافه ؟ »

فلما سمع الضحاك قوله ، استبشر بالفوز وايقن بنجاح مسعاه من اهون سبيل فقال : « أما الامير شــيبان فانى أعرفه ، وهب أنى لا أعرفه فلا أعدم وسيلة اليه . واذا جازلمثلى‌أن يبدى رأيا بين يدى‌صاحب دعوة الامام ابراهيم، فهو أن اهنئك بهذا الرأى السديد ، ولاسيما بعد أن علمت الغرض الاساسى من القيام بهذه الدعوة ، لأن هؤلاء الخوارج لايطمعون فى أكثر من الاســتيلاء على مرو . فاذا كان استيلاؤهم عليها برضاك كانوا عونا كبيرا لك فى ســائر الفتوح ، ولا يخفى عليك انهم يكرهون المضرية أكثر من كرههم الفرس ، فاذا حالفتهم نصروك وخدموك »

فاظهر أبو مسلم الارتيــاح الى نصيحة الضحاك ، وقال : « علينا اذن أن نتصل بالامير شيبان . ولكنى لا أثق بأحدسواك، فهل‌أعهد بهذا الامر اليك ؟ »

قال : « اذا كنت واثقا منى فأنا أطوع لك من بنانك »

قال : « لا أثق بأحد ســــــواك فامكث عندنا الليلة ، وفى الغد ابعث معك برسالة تذهب بها الى الامير شيبان »

فقال : « سمعا وطاعة »

قال : « فاذهب الآن الى فراشــك فى هذه الغرفة . (وأشـــار الى غرفة بالقرب من المكان) ، وفى صباح الغد أهيىء لك الكتاب »

فأشار مطيعا وذهب الى فراشه . واستيقظ فى الصباح فاذا بخادم يدعوه الى ابى مسلم ، فهرول حتى وقف بين يديه ، فدفع اليه كتابا مختوما وقال : « لا أريد ان يطلع عليه أحد من رجالى ، فاذهب به من هذا الطريق (وأشار الى طريق غير الذى اعتاد المجىء منه) . . » .

فتح مرو

تناول الضحاك الكتاب وخبأه ، ثم ودع ابا مسلم وخرج فى لباس المجون من الجبة والعمامة المنحرفة والنعل فى يديه ، ومشى من وراء الخيام حتى توارى عن ابى مسلم ، ثم عرج ليدور من وراء المعسكر وهو يسرع فى خطواته ، فراى بضعة فرسان عرف من لباسهم انهم من رجال ابى مسلم ، فتجنبهم مخافة أن يسألوه ، ولكنهم ظلوا يركضون افراسهم نحوه ، فما لبثوا قليلا حتى أحدقوا به . واشار أحدهم الى رفاقه فانقضوا عليه ، فوقف وسألهم عما يريدون ؟ فابتدره رجل منهم ملثم وسأله : « من الرجل ؟ »

فتحير ولم يدر بماذا يجيب ، فقال : « انى عابر سبيل »

فقال له : « ليس هذا سبيل للعبور ، قل من أنت وما شأنك ؟ »

قال : « لاشأن لكم بى فانى سائر فى مهمة » . ولم يجسر أن يخبرهم عن مهمته

فهم به بعضهم فشدوا وثاقه ، وقالوا له : « اما أن تخبرنا عن شأنك ، واما فانك أسير عندنا »

قال : « سيروا بى الى الامام ابى مسلم لتعلموا من أنا »

قالوا : « لانسير بك اليه ما لم تخبرنا »

فصاح فيهم : « اذا لم تسرعوا بى اليه فانكم نادمون »

فقالوا : « اذا كنت رسولا فأين الكتاب الذى أنت ذاهب به ، والا فانت عدونا »

فطال الجدال بينه وبينهم وهو لايجسر أن يذكر الكتاب الذى يحمله ، فاطاعهم خوفا على حياته وهو يهددهم بما سيلاقونه من غضب أبى مسلم اذا لم يطلقوا سراحه ، فاجابه الفارس الملثم قائلا : « سأرسل فارسا يطلع الامير على امرك ، فاذا امر باطلاقك أطلقناك »

فرضى الضحاك بذلك وأذعن لهم فساقوه الى خيمة على اكمة تشرف على معسكر أبى مسلم ، فوقفوا به هناك حينا وهو يتوقع رجوع الرسول حالا فشاعت عيناه وهو ينظر الى المعسكر وقد توارى الرسول عن بصره وراء التلال والخيام ، ثم اذا به يرى حركة فى معسكر الخراسانيين ، وسمع بعدها قرع الطبول ونفخ الابواق ، وتطلع فراى الخراسانيين على خيولهم وقدشرعوا

الاسنة وساروا والاعلام السود تتقدمهم يعلوها لواء الامام ورايته ، وقد رفعا بضع اذرع فوق سائر الاعلام . فايقن ان الخراسانيين يهاجمون مرو، ثم رآهم وقفوا تجاه المدينة فاستغرب وقوفهم . وأجال بصره فى مرو ، فراى اعلام ابن الكرمانى تخفق على الفرسان اليمنية ، وقد ركب رجال ابن الكرمانى وقرعوا طبولهم وشرعوا اسنتهم واقبلوا على مرو من جانب آخر . فظن أن رجال الكرمانى قادمون لصد الخراسانيين ، ثم ما لبث أن رآهم يسيرون نحو المدينة بعزم ثابت والسهام تتطاير فوق رؤوسهم . ولم تمض ساعة حتى دخلوها من احد جوانبها ، ثم اذا بأبى مسلم ورجاله قد دخلوها من الجانب الآخر فاستغرب الضحاك ذلك وزاد استغرابه حين رأى اللواء والراية قد غرسا بباب قصر الامارة فى وسط مرو ، فعلم ان ابا مسلم قد دخلها . ثم رأى حامية المدينة يخرجون منها فارين ، وعرف من اعلامهم البيض انهم جند بنى أمية . ورأى فى جملة الهاربين جماعة من الفرسان عرف من قيافتهم انهم من كبار القوم ، واذا بأحد الفرسان الواقفين بجانبه يهتف قائلا : « هذا نصر بن سيار قد خرج هاربا »

فرأى الضحاك شيخا جليلا معمما بعمامة بيضاء كبيرة وقد انبسطت لحيته البيضاء على صدره وهو يهمز جواده طلبا للفرار وحوله بضعة من فرسانه ، فتحقق انه نصر بن سيار ومعه اهله ، وأدرك انه لم يفر الا وهو لايرى حيلة فى استبقاء المدينة — فلما راى الضحاك ذلك كله ، دهش ونسى أسره واعمل فكرته فيما كان يتوقعه من اتحاد اليمنية والخوارج على أبى مسلم ، واستغرب عجلة أبى مسلم فى الفتح على حين انهما كانا على موعد من قتل ابن الكرمانى قبل الفتح . وظل الضحاك واقفا مشرفا على مرو كانها بين يديه ويراعى حركات الجند ، فما لبث أن راى رجال الكرمانى يخرجون من مرو الى معسكرهم ومعهم ابن الكرمانى نفسه ، وقد عرفه من رايته ، فاستغرب رجوعه الى معسكره بعد الفتح ، وتذكر جلنار فى الحال وعلم انها فى خوف ليس على حياتها ولكن على أن يفى ابن الكرمانى بوعده أن يتزوجها بعد فتح مرو . ثم تذكر ما تواطأ هو وأبو مسلم عليه من قتل ابن الكرمانى وضم رجاله الى رجال شيبان ، وتبادر الى ذهنه سوء الظن بأبى مسلم وخاف أن يكون قد خدعه ، على انه لم ير مسوغا لسوء الظن

وفيما هو كذلك راى فارسا جاء من أقصى مرو يسعى ، فعرف انه الرسول الذى كان قد ذهب الى أبى مسلم فى شأنه عندما قبضوا عليه . ثم تقدم الرسول اليه مهرولا يقول : « لقد اسأنا اليك والى الامير » . واخذ فى فك وثاقه ، وقال لرفاقه الفرسان : « ان الامير لما علم بالقبض على هذا العربى غضب غضبا شديدا لأنه كان قد أنفذه فى مهمة ذات بال ، وهو يقول لكم اكرموه وسيروا به اليه الآن فى قصر الامارة »

فاطمأن الضحاك لما علم انهم قبضوا عليه خطأ ، وركب جوادا جاءوه به

وسار معهم حتى دخلوا « مرو » . فشاهدوا الناس فى هرج واكثرهم فرحون بالفتح لأن جمهورهم من الفرس وكانوا يقاسون العذاب فى ظل سلطة العرب المضرية ، وكان نصر قد اراد اصلاح ما أفسده أسلافه فلم يستطع وذهب سعيه عبثا حتى خرجت مرو من يده . كان الخراسانيون قد ملوا حكومة العرب منذ تولاها بنو امية واخذوا يسومونهم سوء العذاب ، ويولون عليهم العمال ليأخذوا الخراج بأى وسيلة. وكان أهل مرو قبل الاسلام مجوسا ضربت عليهم الجزية ، فرغبوا فى الاسلام غير مرة واسلم كثيرون منهم ، ولكن بعض العمال كانوا يعدون اسلامهم حيلة للتخلص من الجزية فلا يرفعونها عنهم ويطالبونهم بها وهم مسلمون ، فارتد كثير منهم لذلك مرارا . الى أن تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان مسلما حقا فبعث الى عماله الا يتقاضوا الجزية ممن أسلم . ومن اقواله فى كتاب له الى الجراح عامله على خراسان وقد شكوه : « أنظر من صلى قبلك ، فاعفه من الجزية » . فتسابق الناس الى الاسلام ، وقلت الجزية ، فكتب الجراح الى عمر بذلك فأجابه : « ان الله بعث نبيه محمدا داعيا ولم يرسله جابيا »

على أن هذه النعمة لم تدم على اهل خراسان لقصر خلافة عمر . فلما قتلوه وولوا من خلفه ، عادت الامور الى ما كانت عليه

▭

وصل الضحاك الى قصر الامارة والناس يتدافعون عند بابه ، وفيهم الدهاقين والتجار والمشايخ والعلماء والصناع ، وقد اشتد الزحام وعلت الضوضاء . فلما راوا فرسان ابى مسلم عرفوهم من قيافتهم ووسعوا لهم ، فترجلوا ، ودخل اثنان ومعهما الضحاك حتى قطعوا صحن الدار الى الباب الداخلى الكبير ، فراوا الناس يتسابقون اليه والحراس يوقفونهم ، وبالباب حارس من رجال أبى مسلم فحالما رأى الرجلين وسع لهما ومعهما الضحاك

فلما وقف الضحاك بالباب ، رأى قاعة واسعة جلس فى صدرها أبو مسلم وفوق رأسه راية سوداء وعليه عمامة سوداء وثياب سود ، والى جانبه خالد بن برمك فى مثل لباسه ، وبين يديه اثنا عشر أميرا باللباس الاسود عرف منهم : سليمان بن كثير ، وطلحة بن زرريق. وعلم انهم النقباء الاثنا عشر الذين اختارهم الامام من السبعين نقيبا الذين قاموا بالدعوة العباسية فى أوائلها ، فلما دخل الضحاك وقع نظر أبى مسلم عليه فابتسم له وأشار اليه أن يدخل ويجلس على كرسى فى بعض جوانب القاعة ، فدخل وحده وانصرف الحارسان ، فشاهد فى بعض جوانب القاعة ركاما من البرابط والعيدان وآنية الخمر والمزامير تركها الأمويون فى القصر عند فرارهم ، فقال الضحاك فى نفسه : « تلك آثار الترف الذى يدمر أهله تدميرا »

وكان ابو مسلم فى شوراه مع نقبائه ، وما لبث ان اشار اليهم فتنحوا جانبا الا طلحة بن زريق ، فظل واقفا بين يدى ابى مسلم واشار الى الحاجب أن يدخل الناس لأخذ البيعة ازواجا ، فدخل الفقهاء والعلماء ثم القواد والكتاب والاعيان والدهاقين وهكذا ، فرآهم الضحاك يدخل احدهم حتى يقف بين يدى أبى مسلم فيسلم عليه بالامارة قائلا : « السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته » . ثم ينادى بأعلى صوته ويقول وطلحة يتلو معه نص البيعة « ابايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والطاعة لأهل بيت الرسول رضى الله عنهم ، وعلينا بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله الحرام ، والا نسألكم رزقا ولا طعما حتى يبتدىء به ولاتكم » . فاذا فرغ رجع وتقدم سواه . وكانوا يتسابقون الى ذلك وامارات البشر ظاهرة على وجوههم ، فتعجب الضحاك من ذلك ، واستاء فى سره لما رآه من ترحاب اهل مرو بالخراسانيين ، وايقن ان صاحبه شيبان لايستطيع دخولها الآن الا اذا حالف أبا مسلم ، وهذا لايكون الا اذا قتل ابن الكرمانى

مضى معظم النهار فى اخذ البيعة ثم وقف ابو مسلم وأشار الى طلحة ان يأخذ البيعة عنه بين يدى خالد بن برمك ، وتنحى الى بعض الغرف وأومأ الى الضحاك فتبعه . فلما خلوا قال ابو مسلم : « لقد ساءنى ما أصابك من جهل أحد رجالى ، وقد كنت عازما على الانتقام منه امامك لو لم يتفق لنا ما سرنا فى هذا النهار . ولعلك تستغرب فتح المدينة بمثل هذه السرعة على حين اننى كنت عازما على التأجيل بضعة أيام ريثما نتم اتفاقنا مع الامير شيبان . ولكن سنحت لى فى هذا الصباح فرصة خفت ضياعها ، ونجحت »

وكان الضحاك جالسا على ركبتيه احتراما لأبى مسلم ، ومع ما آنسه من انعطافه واقباله عليه اثناء الحديث بقى متهيبا اياه ، يظهر اصغاءه واهتمامه بمراعاة حركة فمه ، لأنه لم يكن يستطيع التفرس فى عينيه لحدتهما ولما ينبعث من نورهما الباهر وقوتهما الغالبة على الأبصار والعقول . فلما انتهى ابو مسلم من كلامه ، اظهر الضحاك رغبته فى سماع تتمة الحديث فقال ابو مسلم : « اما سبب هذه العجلة فان ابن الكرمانى بعث الى فى صباح اليوم بعد ذهابك رسولا يقول : (لقد آن فتح مرو فادخل أنت ورجالك من ناحية ، وأدخل انا ورجالى من ناحية اخرى ، فنتسلم المدينة على أهون سبيل) . فظننته يخادعنى فبعثت اليه : (لست آمنَ من ان تجتمع يدك ويد نصر بن سيار على محاربتى ، ولكن ادخل انت فابدأ الحرب مع أصحاب نصر . ثم ادخل أنا) . وقلت فى نفسى : (اذا كان قد فعل ذلك حيلة فلايطيعنى والا فليحمل الخطر وحده) . فنهض برجاله وأنشب الحرب ، فأرسلت أنا بعض رجالى ودخلوا المدينة من ناحية أخرى ففتح علينا ،

فدخلت القصر وأمرت ابن الكرمانى ورجاله بالخروج منها الى معسكرهم لكى نتمكن من مشروعنا الذى تعلمه »

فذهل الضحاك لبأس ذلك الرجل ودهائه ، ونسى ما كان يتكلفه من الضحك فى تماجنه ، ولكنه خشى أن يخاله أبا مسلم شك فى أمره ، فتضاحك وقال : « انه لمشروع عظيم القدر ، فهل انت مصر عليه ؟ »

قال : « اين كتابى الى شيبان ؟ »

فمد يده وأخرجه ودفعه اليه ، فقال أبو مسلم : « انى لا أزال مصرا وربما زدت اصرارا بعد فتح مرو على يد ابن الكرمانى ، فانه قد ارتفع فى عينى نفسه فيظن له فضلا علينا فتحدثه نفسه أن يتحدانا . ولذلك فانى لا آمنه ولا بد من قتله لئلا يكون حجر عثرة ، وقتله سهل عليك بوساطة تلك الفتاة المفتونة . فاذا قتلته خلسة سعينا فى ضم رجاله الى رجال الامير شيبان ثم أسلم اليه قيادة هذه المدينة وامضى فى عملى ، الا اذا كنت لا تثق بهذا الحرورى وتخاف أن يخوننا اذا سلمنا الامر اليه »

قال : « لاخوف منه فانه اذا عاهد وفى ، ولاسيما بعد ان ملكت ناصية الامر وبايعك الناس »

فقطع ابو مسلم كلامه ، وقال : « ألم تلحظ أن البيعة كانت لأهل بيت النبى عامة لا لبنى العباس ، لأن الناس لم يعرفوا لبنى العباس الحق فى الخلافة بعد ، وانما هم يعرفونه لآل أبى طالب ، ولذلك جعلنا البيعة مشتركة فمن فاز من الرهطين أستأثر بالخلافة . فهل يؤخر هذا الامير شيبان عن محالفتنا » . قال : « كلا يا مولاى . . »

فقال : « فابدأ اذن بقتل ذلك الأعور كما وعدتنى ، ولا تظن احدا ينال من المقام عندنا ما ستناله ، وسأطلع الامام على فضلك »

قال : « انى لم أقم الا ببعض ما يجب ، ولا أتوقع جزاء غير رضاك »

قال : « هل تقتله الليلة ؟ » . قال : « سأبذل جهدى »

قال : « أريد أن يكون قتله سرا بحيث يظن رجاله انه مات موتا طبيعيا »

قال : « اطمئن يا مولاى » . ونهض الضحاك وحيى ، ثم هم بالخروج ، فوقف أبو مسلم لوداعه وقال له : « عرج بابراهيم الخازن لعله ينفعك فى هذه المهمة » . فلما سمع اسمه تذكر الليلة التى لقيه فيها فى بيت الدهقان وهو يعلم مكره وضعف ذمامه فقال : « أين هو ؟ » . فأشار أبو مسلم الى غرفة أخرى ، فسار الضحاك اليها

□

تركنا جلنار بعد ذهاب الضحاك جالسة فى فراشها ملتفة بالمطرف غارقة

فى لجج الهواجس ، تفكر فيما سمعته منه ، وكلما تصورت اقدامها على قتل زوجها ارتعدت فرائصها واقشعر بدنها . وكانت ريحانة تلاحظ اضطرابها ولا تلومها لعلمها بهول الموقف على فتاة مثلها. ثم غلب عليها النعاس فنامت ، ولم تستيقظ فى الصباح الا على قرع الطبول ونفخ الأبواق ، فذعرت ونادت ريحانة لتستفهم عما حدث فقالت لها : « ان الجنـــد يتاهبون للهجوم على مرو » . فخفق قلبها وتوكأت على ريحانة حتى أطلت من الخباء ، فشاهدت مثل ما شاهدته فى المرة الماضية ، وكانت قد ألفت المنظر فلم يكن خوفها مثله فى تلك المرة . ثم ما لبثت أن رأت ابن الكرمانى قادما نحوها وهو مدجج بالسلاح وسيفه مجرد بيده ، فلما رأته مقبلا توارت حياء فناداها وصاح قائلا والسيف بيمينه : « أبشرى أيتها الدهقانة اننا فاتحون مرو اليوم وسنبيت الليلة فى قصر الامارة ان شاء الله »

فخجلت وساءتها البشرى ، فتراجعت واستترت وراء ريحانة ، فأجابت ريحانة قائلة : « نصرك الله على أعدائك وبلغك مرادك »

فاكتفى بذلك وهجم ورجاله فى أثره ، فلما بعدوا قالت ريحانة لسيدتها بالفارسية : « انى أرى الخراسانيين أيضا هاجين » . فاطربها ذكر الخراسانيين لأن أبا مسلم فيهم ، وتقدمت بحيث ترى ذلك الجند فاذا هم يزحفون على مرو من الجهة الاخرى . فقالت : « اذا فتحوا مرو فانما يفتحونها ببسالة أبى مسلم ، أين هو يا ترى ؟ »

فتطاولت ريحانة وجعلت تحدق بنظرها فى الجند حتى وقع بصرها على الراية واللواء وهما يناطحان السحاب علوا فقالت : « ينبغى أن يكون ابومسلم هناك » . فحدقت جلنار ببصرها فرأت أبا مسلم وعرفته من طوله ولون فرسه ولباسه الأسود فتهلل وجهها فرحا ، ولكنها ما لبثت أن أوجست خيفة عليه من النبال المتساقطة

ثم رأت عليا دخل مرو من ناحية ودخل أبو مسلم من ناحية اخرى ، فتحققت فوزهما ، ولم تدر أتفرح بذلك الفتح أم تحزن ، لأنها تذكرت وعد ابن الكرمانى انه لايتزوج بها الا اذا فتح المدينة ، وتذكرت قول ريحانة انه لا يستطيع فتحها ، فالتفتت اليها وقالت : « كم قلت لى انه لا يقوى على فتح هذه المدينة ، وها قد فتحها ! ويلاه ! لقد دنا أوان الخطر » . قالت ذلك ورجعت الى غرفتها وجلست على الفراش وانفجرت باكية ، وتبعتها ريحانة وأخذت تخفف عنها ، فقالت جلنار : « أين هو الضحاك يا ترى ؟ لعله يستطيع تخفيف ما بنا ؟ »

فقالت ريحانة : « لا يلبث أن يأتى وعنده الدواء الناجع لهذه الكارثة ! »

فأدركت جلنار أنها تعرض بقتل ابن الكرمانى ، فقالت : « ولكنه دواء أمر من العلقم ولا يمكننى شربه . كيف أقتل رجلا يحبنى وان كنت لا احبه »

وآن وقت الغداء فتناولتاه وهما تتوقعان أن يبعث على اليهما بالانتقال الى قصر الامارة ، واذا هما تسمعان دبدبة وصهيلا وضوضاء ، ثم علمتا ان جند الكرماني رجع عن مرو بعد فتحها فبقيت لأبى مسلم وحده . ولم تفهما السر فى ذلك ، فمكثتا تنتظران ما يكون ، وجلنار وجلة قلقة . فلما رات ريحانة قلقها ، قالت : « لا أدرى لماذا تكرهين ابن الكرمانى وهو يتفانى فى هواك ويجل مقامك ، وقد أوتى النصر بفتح هــذه المدينة وانتقم لأبيه ؟ ! »

فاسرعت جلنــار ووضعت يدها على فم ريحانة كأنها تمنعهــا من الـكلام اشمئزازا واكتفت بذلك جوابا . فادركت ريحانة أنها لا تود الخوض فى هذا الموضوع ، فسكتت وقد أخذتها الحيرة لا تدرى كيف تنقذ سيدتها من هذه المشكلة . فتركتها فى الغرفة وخرجت لتستطلع أحوال المعسكر بعــد فتح مرو ، فوجدت الخيام لا تزال فى أماكنها وقد اعيدت الخيول الى مرابطها وغرست الأعلام فى مغارسها ، وتطلعت الى فسطاط الامير على فاذا هو لايزال كما كان والراية منصوبة ببــابه وأمامه وفود المهنئين والمنشــدين . وسرها عود ابن الكرمانى الى مضربه لأنها كانت تظنه سيبقى مع أبى مسلم فى قصر الامارة فاطمأن بالها . وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب ، فالتفتت الى ناحية مرو فرات جماعة من الباعة خرجوا منها وفيهم من يحمل فاكهة أو طعاما أو ألعابا ليتكسبوا ببيعها فى ذلك المعسكر ، بعد أن زال الحصار عن المدينة ، وشاهدت بين الخارجين رجلا طويلا قادما نحو الخباء ، فما لبثت أن عرفت أنه الضحاك فاستبشرت بقدومه ، وارادت ان تسرع الى سيدتها فاشار اليها أن تقف فوقفت . . حتى اذا دنا منها أومأ اليها فدخلت معه الخباء دون أن يراهما أحد ، فقالت : « ما وراءك ؟ »

قال : « هل من حيلة لنا فى النجاة من ابن الكرمانى غير قتله ، لقد فتح مرو ، وحق له الدخول بعروسه ، الا اذا كانت مولاتنا تؤثر الاقتران به ، وهذا يرجع الى رأيها »

قالت : « انها لاتستطيع ذكر الاقتران به ، ولكنها فى الوقت نفسه لاتتصور الاقدام على قتله ! »

قال : « وأنت أيضا جبانة مثلها ؟ »

قالت : « أتريد أن أقدم على قتله ، وكيف أقتله ؟ »

فضحك وتماجن وقال : « وهل القتل صــياغة أو تطريز . ؟ ليس اسهل منه على الانســان ، ولا تظنى ان المراد قتــله بالمبــارزة أو المطاعنــة وانما هى حسوة أو لقمة وقضى الامر »

فسكتت ريحانة ولم تدر بماذا تجيبه ، ولكنها صعدت كتفيها كأنها تقول : « هذا لا يعنينى »

فقال الضحاك والاهتمام باد فى وجهــه : « لا ينبغى ان نطاوع مولاتنا

الدهقانة فى ضعفها ، فانها لا تعلم شيئا من أمور هذه الدنيا . وهى مع ذلك تريد الوصول الى أبى مسلم ، والوصول اليــه لا يكون الا بالنجاة من ابن الكرمانى . وقد أتيتها بخاتمه تدليــلا على رغبتــه ، فهى الآن احوج من ابى مسلم الى قتله لأنه زوجهــا وقد قيدناه بعهده الا يقربها الا بعد فتــح مرو ، وها قد فتحها وتوافدعليه الشعراء والمهنئون وبلغ قمة مجده ، فهل من سبيل الى دفعه الا بالموت؟ وهل يتم ذلك الا بقتله سرا » . ثم سكت وحك ذقنه بسبابته ، ثم حك ماوراء اذنه وقال : « انا لااكلفك ولااكلف الدهقانة ان تتولى الامر مباشرة . . فانا أدبر الحيلة ، ولــكن ينبغى ان يكون ذلك فى حضرتكما وانا أسقيه الكاس باسلوب لطيف . والأجدر أن تطلعى الدهقانة على هذا العزم . انما أطلب اليك أن تسهلى لى الوصول اليه بحيث لا يعلم احد بقصدى ؟ »

فظلت ساكتة لا تعلم بماذا تجيبه ، ولكنها كانت اصبر على هذا الامر من جلنار ، وقد خبرت الدنيا طويلا . . على انها ما زالت مرتبكة لا تدرى هل توافق الضحاك بغير استئذان سيدتها . فلما رآها الضحاك ساكتة ولاحظ ترددها ، قال لها : « قد فهمت ما يجول فى خاطرك ، لا تخافى . سيجرى كل شىء ولا يشعر به أحد ، فاكتمى هذا الامر عن الدهقانة وسترين كيف أقوم بمهمتى بلباقة وخفة » . قال ذلك ومشى وهو يقول : « ساعود قريبا ، واحذرى من أن تبوحى بذلك الى احد »

فعادت ريحانة الى سيدتها وهى تفكر فيما عسى أن تكون حيلة الضحاك واسلوبه ، ولما دخلت على سيدتها سألتها عما كانت تعمله فاخبرتهــا بما شاهدته من بقاء معسكر ابن الكرمانى على حاله بمرابطه وفساطيطه وسائر احواله ، وان عليــا فى فســطاطه . وحدثتها نفســها بأن تبوح لها بمــا قاله الضحاك ، ثم امسكت وسكتت لترى ما يكون

□

عاد ابن الكرمانى بعد فتح مرو الى معسكره عملا بمشورة ابى مسلم ، وعاد معه الأمراء اليمنية وقد سرهم الفتح بعد أن ابلوا فيه بلاء حسنا . ثم ذهب الى فســطاطه ليبدل ثيــابه ويستقبل المهنئين ، وجال فى خاطره ان يذهب لساعته الى جلنار ليريها نفسه عائدا من الفتح ويخبرها بانه انتقم لأبيه ووفى بالوعد . ولكنه أجل ذهابه الى ما بعد استقبال المهنئين والمنشدين فى فسطاطه لئلا يتبعوه الى هناك ، فجلس فى صدر الخيمة وجلس امراؤه بين يديه وهم يعجبون ببسالته ، وكل منهم يذكر ما لقيه اثنــاء المعركة من الوقائع الغريبة . ثم أذن للشعراء فدخلوا وانشد كل منهم ما جادت به قريحته . فاذا فرغ أحدهم من الانشــاد أشار الامير الى كاتبه أن يعطيــه

منحة ، على العادة الجارية ، وفيهم من ينشد قصـيدته على الانغام الموقعة على الطنبور أو العود أو الدف . وقضوا فى ذلك بقية يومهم الى ما قبـل الغروب ، وقد طربوا جميعا الا عليا فقد نغصه غياب جلنار وود لو انها هناك لتسمع ما قيل فيه من المديح

وفيما هو فى ذلك سمع ضجيجا يتخلله دف ينقرون عليه نقرا خاصا بالرقص. ثم دخل غلام يستأذن الامير فى دخول راقص مضحك معه دب غريب الشكل ، وكان الغلام يستأذن الأمير ولا يتمالك عن الضحك كان الاعجاب اخرجه عن حد الاحتشام فى حضرة الأمراء . فقال الأمير : « يدخل »

فدخل رجل طويل القامة عرف الأمراء كلهم انه الضحاك خادم الدهقانة ، وكانوا يستخفون دمه ويضحكون لرؤيته . فلما دخل ألقى التحية وتماجن ، فلم يتمالك الأمير عن الضحك وصاح فيه : « ويلك ، متى صرت رقاصا »

قال : « عندما فتح مولاى الأمير مرو عاصمة خراسان ، فقد نذرت منذ صرت من أتباعه أن أرقص يوم الفتح وقد جئت لأفى بنذرى »

فضحك الامير وقد سره أن يسمع المديح من رجل ينتمى الى الدهقانة . وكم من بطل خاض المعامع واستقبل النبـال وعرض نفسه لأشـد الاهوال التماسا لابتسامة حبيب يحبه ، تلك هى لذة النصر فى أعلى درجاتها . وأراد على أن يسـأل عن الدهقـانة ثم احتشم لوجود الامراء ، ولـكنه استـأنس بالضحاك كثيرا وقال : « هل أنت الرقاص حقا ؟ »

قال : « كلا يا مولاى ، ولكن معى دبا يرقص رقصا غريبا »

قال : « أين هو ؟ »

قال : « بالباب » . وصاح : « أدخل يا مبارك »

فتوجهت أنظار الجميع الى الباب ، فسمعوا خشخشة الجلاجل والأجراس. ثم دخل الغلام يقود رجلا بحبل فى عنقه وعلى الرجل جلد دب يكسو صدره وساقيه الى القدمين ويغطي ساعديه الى الـكتفين ، وقد ستر وجهه بوجه دب حتى لا يشك الناظر اليـه فى أنه دب حقيقى ، وشد برجليـه ويديه أجراسا ، وجعل حول عنقه جلاجل

فلمـا دخل الغلام سلم المقود الى الضحاك ، فتناوله وجر الدب بعنف ، فدخل وأخذ فى الرقص وهو يزمجر ويثب كما يفعل الدب تماما . فلم يبق أحد من الجلوس الا أغرب فى الضحك ، والضحاك يتفنن فى أساليب المجون . فلما تمكن الطرب من الامير احتـــال الضحاك للاقتراب منه ، وقال بحيث لايسمعه سواه : « لاينقص هذا المجلس الا الدهقانة »

فلم يتمالك الأمير عند سماعه ذلك أن صاح : « يا ضحاك خذ هذا الدب وارقصه فى الخباء ، وأنا قادم اليكم » . قال ذلك ووقف وقد استخفه السرور وهاجت عواطفه وأسكره النصر ، فوقف الأمراء احتراما . فمشى حتى خرج



« وكان الضحاك يتفنن فى أساليب المجون، فلم يبق أحد من الجلوس إلا أغرب فى الضحك »

من الفسطاط والضحاك يسير بالدب أمامه وقد خيم الظلام ، ولم يجسر أحد من رجال ابن الكرماني أن يتبعه الى الخباء ، فمشى وحده وقد التف بعباءة من حرير وعلى راسه عمامة صغيرة مزركشة زركشة جميلة ، وسار مختـــالا فى مشيته ، حتى اذا أقبل على الخبـــــاء تنحى الضحاك ودبه كى يمر الأمير فدخل وهو يقول : « أين عروسنا الدهقانة ؟ »

فتقدمت ريحانة وجلنار الى جانبها وعليها مطرفها ، وقد غطت راسها بخمار من نسيج كشمير وردى اللون ، وعيناها تتلألآن من خلال الخمار ، والحياء يغالبها ويزيدها فتنة وجمالا . فلما وقع بصره عليها ، حياها وقال : « لقد جئتك ضاحكا لانى انتقمت لأبى وغلبت صاحب مرو على مدينته ، ففر فرار الأنذال وسوف أقتله باذن الله »

فأجابته ريحانة وهى تبتسم : « لقد كنا على يقين من فوز الأمير على عدوه لما نعلمه من بسالته وشدة بطشه ، فنحمد الله على ذلك »

ثم أشار الأمير الى الدهقانة بالجلوس وهو يقول : « وغدا ندخل قصر الامارة »

فجلست جلنار مطرقة لاتتكلم ، فكان سكوتها أفصح من الـكلام ، وظلت ريحانة واقفة ، فجلس الامير واشار اليها أن تجلس ، فتنحت وارادت الجلوس فى بعض جوانب الغرفة ، فأمرها أن تجلس بالقرب من سـيدتها ، ثم صفق ونادى الضحاك فدخل وهو يقود الدب وراءه . فلما رأت ريحانة الدب لم تتمالك عن الضحك لغرابة منظره ، فوقف الضحاك والدب بجانبه ، ثم أمره على أن يرقصه ، فجره بالمقود فلم ينتقل من مكانه فصاح فيه : « ارقص ولا تخجلنا بين يدى الأمير » . فلم يتحرك

فضحك الضحاك حتى كاد يستلقى ، والتفت الى الدب وقال له : « كأنك تستحيى أن ترقص أمام النساء »

فلم يبق أحد هناك لم يغرب فى الضحك ولا سيما ابن الكرمانى فانه قهقه قهقهة عالية ، فتظاهر الضحاك بالغضب من الدب وشده ثانية فظل واقفا كأنه صخر ، فتقدم نحوه ووضع أذنه على فمه كأنه يتلقى أوامره سرا ، وصبر هنيهة ثم تراجع وهو يضحك ويقول : « لم أكن أعلم أن الدب يشرب الخمر قبل الآن »

فالتفت ابن الكرمانى الى الضحاك وقال : « قد يكون اعتاد المسكر من صحبة رجال بنى أمية فى مرو ، فقد رأينا فى قصورهم مئات من آنية الخمر على أنواعها . وأما نحن فلا نشرب غير النبيذ فاسأله هل يريد نبيذا ؟ »

فعاد الضحاك الى مسارة الدب ، ثم تحول عنه وقال : « لقد رضى بالنبيذ ليس ذلك غريبا ؟ وأغرب منه أنه لم يطلب النبيذ الا فى الخباء » . وضحك

فقال ابن الكرمانى : « يظهر أن دبك الطف ذوقا منك ، وليس النبيذ محرما ولاسيما فى مثل هذا المجلس ، هات النبيذ ياغلام »

ولم تمض هنيهة حتى جاء الغلمان وهم يحملون مائدة عليها أصناف من نبيذ التمر والتفاح وغيرهما فى أباريق الرصاص وحولها الأقداح من الزجاج الصافى الملون ، وأوعز ابن الكرمانى الى الساقى أن يدير الأقداح على الحضور . فجاء غلام ممنطق بمئزر من حرير وتناول قدحا صب فيه نبيذا وقدمه الى الأمير ، فتناوله وقدمه الى الدهقانة فاعتذرت عن شربه فألح عليها فشربت بعضه وأعادته اليه فشربه ، وأمر الساقى أن يصب ويسقى الضحاك ودبه ففعل . ولما تقدم الى الدب أعرض هذا عنه ، فتقدم الضحاك يقول : « لقد بالغ دبنا فى الدلال الليلة ، هات القدح » .. وأخذه من الساقى وقدمه الى الدب ، فتناوله بكفه الغليظة وشربه وأعاد القدح الى المائدة وهو يخطو خطوات الدب المعروفة والجميع يضحكون . ثم عاد الى مكانه واخذ فى الرقص من تلقاء نفسه وأجاد وأبدع ، والضحاك يطاوعه فى تنقله كأنه يرقص معه . ثم وقف الدب فجاة ، فقال الضحاك : « لا ينبغى لنا أن نغفل طلب صاحبنا ، وأسرع الى قدح ملأه نبيذا وقدمه اليه . فتراجع ولم يمد يده فصاح فيه : « ما الذى تريده لقد أتعبتنا دلالا »

فتقدم الدب نحو المائدة ومد يده الى الابريق فقبض عليه وجعل يصب فى الأقداح حتى ملأها ، والناس ينظرون اليه وقلوبهم تخفق خوفا على المائدة وما فوقها من « لباقة » الدب ، فاذاهو قد ملأ الأقداح ولم يخطىء فى واحد منها . ثم أخذها قدحا قدحا وقدمها الى الحضور فشربوا وهم مسرورون وشرب هو أيضا ، واستحسنوا لباقة هذا الساقى . فصاروا يطلبون منه أن يسقيهم فسقاهم مرارا ، وجلنار لا تشرب الا قليلا . ثم أمسكت عن الشراب ، فظل الشرب مقصورا على الأمير والضحاك والدب حتى انقضى هزيع من الليل وهم فى ذلك ، وقد اخذ الطرب من الأمير مأخذا عظيما . وعند ذلك تظاهر الدب بالسكر وأفلت من يد الضحاك وخرج من الخباء والقدح بيده ، فتبعه الضحاك وتظاهر بمراودته وارجعه الى الخباء والقدح لايزال فى يده ، فتقدم نحو الامير فدفعه اليه واخذ فى الرقص . فتناول الامير القدح وشربه كالعادة ، ثم صب الدب قدحا وقدمه الى الضحاك فتناوله وشربه ثم صاح فيه : « ويلك لقد أكثرت من الشرب وأصبحت خائفا على نفسى منك . وأخاف ألا يكون الأمير متعودا الشرب الكثير فيضره ، فانى مع تعودى النبيذ أعواما أرانى أشعر بدوار شديد » . قال ذلك وتظاهر بالسقوط على الارض وبأن الدوار غلب عليه واحس بالميل الى القىء ، فتنحى وخرج من الخباء وتقايأ ثم تقيأ كل ما فى جوفه غصبا والامير يضحك منه ويقول : « انى لا أشعر بالدوار مطلقا »

وكان الضحاك قد ترك الزمام عند خروجه ، فأفلت الدب وخرج من الخباء وأركن الى الفرار . فأغرق الامير فى ضحكه ، ودخل الضحاك دخول المدهوش وصاح : « أين الدب الملعون ، يظهر انه فر ، فوالله لأدركنه وأذيقه

العذاب » . قال ذلك وأشار الى ريحانة اشارة خفية وخرج

فأدركت ريحانة ان الضحاك قد أنفذ حيلته وسقى الامير سما ، فنهضت متظاهرة بالدوار وقالت للأمير : « أرى مولاتي الدهقانة قد تاذت من الشراب ايضا » . وامسكتها بيدها وقالت : « أرى أن تذهب الى فراشها ، هل يأمر مولاى بالانصراف ؟ »

فنهض وقد شعر بالدوار أيضا ، ولكنه تجلد وتظاهر بالقوة ووقف وهو يقول : « فلننصرف جميعا »

وصفق فجاءه الغلمان وأسندوه وخرجوا به من الخباء الى فسطاطه ، وذهبت ريحانة بالدهقانة الى غرفة الرقاد . واشتغل الخدم فى نقل آنية النبيذ من الخباء ، فلم تمض ساعة حتى خلا الخباء من الأمير وغلمانه

فلما خلت ريحانة بسيدتها ظهر عليها الاضطراب ، فاستغربت جلنار ذلك منها فقالت وهي تتوسد الفراش : « ما لي أراك مضطربة يا ريحانة ؟ »

فاجابتها بالفارسية وهى ترتعد من التأثر وتحاول خفض صوتها : « أظنهم سموه يا مولاتى »

فأجفلت جلنار وجلست تقول : « سموه ؟.. قتلوه ؟ »

قالت : « نعم ، الم تنظرى الى الدب كيف تظاهر بالسكر وخرج من الخباء ثم عاد والقدح فى يده ؟ » . قالت : « بلى »

قالت : « أظنه خرج ليضع السم فى ذلك القدح .. وفى صباح الغد يظهر فعله ونسمع بموت ابن الكرمانى »

فاقشعر بدن جلنار وصارت ترتجف من الخوف ، فابتدرتها ريحانة قائلة : « لا تستسلمي الى الضعف .. فان هذا أوان التعقل والدهاء وقد قضى الأمر الذى كنا نخافه »

فارتبكت جلنار واعظمت الجريمة ، على أنها كانت وهى فى أسوأ حال من الاضطراب تشعر بفرح داخلى عميق لنجاتها من ابن الكرمانى وتقربها من حبيبها

فأخذت ريحانة تخفف عنها وتمنيها بقرب الاجتماع بحبيبها حتى سكن روعها وتظاهرت بالرقاد ولكنها لم تستطع نوما

□

أما أبو مسلم فكان ساهرا فى قصر الامارة ينتظر عاقبة ما بيته لابن الكرمانى وللضحاك معا بوساطة ابراهيم الخازن . فقد رأينا انه اوعز الى الضحاك ان يستعين بابراهيم الخازن على قتل ابن الكرمانى ، فسار اليه

واتفقا على أن يلبس ابراهيم جلد دب ليتمكن من دس السم لعلى فى القدح . ولكن أبا مسلم أوصي ابراهيم بأن يقتل الضحاك أيضا . وكان قد كلفه كشف حقيقة الضحاك ليلة ذهابه الى شيبان ، فرافق القصاص وحمل الطنبور وتظاهر بالرمد وأسدل طرف العمامة على عينيه لئلا يفطن اليه أحد . ولما كان شيبان وشبيب يتساران ، كان ابراهيم وراء خيمة شيبان يتظاهر بالنعاس ، وقد سمع كل ما دار بينهما ونقله الى أبى مسلم فى تلك الليلة . فلما عاد الضحاك ليلتئذ خادعه ابو مسلم برغبته فى محالفة شيبان ، ريثما يتمكن من قتل ابن الكرماني على يده ثم يقتله . ولما أوصاه باصطحاب ابراهيم ، أمر هذا بقتله فوضع له السم فى قدحه كما فعل بابن الكرمانى . ولكن طول أجله ساقه الى تفريغ ما فى معدته ، وهو انما فعل ذلك لتنطلى حيلته على ابن الكرمانى ويدفع التهمة عنه ، فنفعه ذلك اذ اخرج السم من جوفه قبل أن يؤثر فى معدته . أما ابراهيم فظن أنه قام بمهمته ، فطرح عنه جلد الدب وهرول مسرعا الى ابى مسلم ليزف اليـه النبأ ، فوجده ساهرا فى انتظاره فلما أخبره بما كان سر ابو مسلم وأثنى عليـه ووعده بالجوائز الحسنى

واما الضحاك فقد كان متفقا مع ابراهيم على دس السم فى قدح ابن الكرمانى ، وأن يخرجا ليلتقيا فى طرف المعسكر ويذهبـا معا الى أبى مسلم ، فلما رأى ان ابراهيم افلت ، ظن انه فعل ذلك عمدا على أن ينتظره فى المـكان المتفق عليه فاسرع فى اثره . ولكنه شعر فى أثناء الطريق بطعم غريب فى فيه ، واحس بانحطاط فى قواه ، فنسب ذلك الى تاثير الشرب ، وخطر له انه ربمـا اصـــابه شيء من السم خطـــأ منه ، فعزم على ســـؤال ابراهيم . ولمـــا وصـــل الى طرف المعسكر لم يجده ، فســـاء ظنه به ووقف يفكر فيما حدث فى هذين اليومين ، فادرك ان ابا مسلم خدعه وسايره حتى نال مراده بقتل ابن الكرمانى ثم اراد قتله هو ليتخلص منه . لكنه لم ير سببا يدعوه الى ذلك لظنه أن أبا مسلم لا يعلم أنه من أمراء الخوارج . فرأى ان يذهب الى ابى مسلم ويلقاه على حذر ، فسار الى قصر الامارة حتى اذا اقبل على باب القاعة سأل الحارس عن الأمير فقيل له انه فى غرفته ، فهم أن يستاذن فى الدخول عليه ، ثم وقف يفكر ، وكان الحارس قد عرفه بالأمس ورأى ما كان من احتفاء ابى مسلم به ، فجلس الضحاك اليه واخذ يمازحه ويحدثه حتى اطمأن اليه . فسأله عن الأمير ومن عنده ، فقال : « عنده خازنه اليهودى »

قال : « الا يزال يهوديا حتى الآن ؟ »

قال : « يتظاهر بالاسلام والاسلام برىء منه ، فان هؤلاء اليهود فرحوا بالاسلام لأنه نجاهم من ظلم الاكاسرة والقياصرة واكسبهم الأموال من العرب لأنهم يعدونهم أبناء عمومتهم »

قال : « وهل ابراهيم مع أبى مسلم الآن ام خرج من عنده ؟ »
قال : « اظنه لا يزال عنده اذ لم يمض على دخوله زمن طويل »
قال : « فهو مشغول الآن »
قال : « وهل تريد أن تلقاه ؟ »
قال : « لا ، ولكننى كنت قد جئت أثناء النهار لأكلمه فى امر ، فبعد ان جلست فى هذه القاعة دخل بى الى غرفة اخرى من باب آخر . وقد تركت هناك كتابا كان معى ، وضعته قرب مجلسى ونسيته حينما نهضت ، فهل تظننى اجده فى مكانه »
قال : « ينبغى أن يكون هناك ، هل ابحث لك عنه ؟ »
قال : « لا يصح وأنت حارس أن تترك الباب ، اما اذا اذنت لى فانى أدخل للبحث عنه ثم أعود لأنى أعلم بمكانه منك »
قال : « ادخل واحذر ان تحدث صوتا يشعر به الأمير »
قال : « اطمئن » . وخلع نعليه فتابطهما ودخل القاعة ، فمشى نحو الغرفة التي علم أن ابا مسلم فيها مع ابراهيم . فلما دنا من بابها سمع أبا مسلم يقول : « هل أرسلتهما حقا الى خوارزم ؟ »
قال ابراهيم : « قد ارسلتهما الى خوارزم تنفيذا لأمرك ، واظنهما الآن فى عالم الأموات ! »
قال : « أخشى أن تكون اخطات ونسيت الحرورى الذى كان يحسب انه نجح فى خداعنا عليه لعنة الله ، بقى أن أعهد اليك بأمر يهمنى ولك منه نفع كبير وأجر كثير »
وكان الضحاك واقفا بالباب يتسمع ممسكا انفاسه لئلا يسمع لها صوت ، ويوشك لعظم اضطرابه أن يسمع دقات قلبه ، واحس بارتعاش قدميه ، فقعد القرفصاء وأصاخ بسمعه فاذا ابراهيم يقول : « بماذا يأمر مولاى ؟ »
قال ابو مسلم : « بقى على ان اتخلص من شيبان أمير الخوارج ، فاذا قتلناه تبعثر جند العرب وخلصت الدولة لنا »
قال : « هـذا هو الصواب ، هل تريد أن أرسله الى خوارزم كما ارسلت ابن الكرمانى وشبيبا الملعون ؟ »
قال : « اخاف الا تنطلى عليه الحيلة ، فليس لنا فى داره فتاة مثل الذهقانة تيسر علينا العمل . فارى أن نستقدم شيبان الينا بحجة التشاور فى امر المحالفة ونقتله فيخلو لنا الجو »
قال : « ذلك امر يسير اذا شئت فعلته »
وساد السكوت ، فخاف الضحاك أن يهم ابو مسلم بالخروج ، فأصاخ بسمعه فلم يسمع حركة ، فعلم أنه يفكر ثم سمعه يقول : « اذهب الآن ،

وسأنبئك بماذا ينبغي أن تفعل »

فادرك الضحاك أنهما خارجان فرجع القهقرى وودع الحارس وشكره ، ثم سار مسرعا حتى خرج من مرو ، ومشى الى معسكر الخوارج وهو يلعن ذلك اليهودي الذي كان سببا فى فشله. فمر فى طريقه بمعسكر ابن الكرمانى ، فخطر له خاطر انشرح له صدره لما توهمه فيه من السداد . قال فى نفسه : « لأذهبن الى أمراء اليمنية أصحاب الكرماني ، واطلعهم على مكيدة أبى مسلم وكيف اغتال أميرهم وأحرضهم على مخالفتنا » . ثم بدل ثيابه وأسرع الى فسطاط امير من اليمنية كان يعرفه ، فلما وصل اليه اعترضه احد الحراس فسأله عن الامير ، فقال : « انه ذهب الى مرو منذ ساعة »

قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لأن أبا مسلم دعا أمراء اليمنية جميعهم اليه »

قال : « وهل ذهبوا جميعا ؟ » . قال : «نعم »

فبهت الضحاك لذلك الدهاء ، وتحقق أن أبا مسلم بعث اليهم ليكونوا فى قبضته حتى اذا أصبح الصباح وعلموا بموت ابن الكرمانى كان هو فى مأمن من عصيانهم . ووقف برهة يفكر فيما ينبغي أن يفعل ، فلم ير حيلة غير الفرار بالخوارج الى أن يتسنى له سبيل للانتقام . فأسرع الى معسكرهم وهو يخاف أن يكون أبو مسلم قد دبر حيلة لايقاعهم وقد صار يرى ان هذا الرجل قادر على كل شيء ، فقصد الى شيبان حتى اذا أقبل على فسطاطه دخل وقص عليه ما وقع له وقال له : « لم يبق لنا ارب فى البقاء هنا ، فانصرف برجالك الى مكان تلبث فيه عسى الله ان يحدث أمرا »

فتردد شيبان فى أول الامر ، ثم اقتنع فأمر بالرحيل ، وطلب من الضحاك أن يصحبه فقال : « دعنى أتدبر الأمر ، فانى لن أرجع عن هذا الخراسانى حتى انتقم منه شر انتقام » . قال ذلك وخرج

□

تركنا جلنار وقد استلقت فى حجرتها تحاول الرقاد ولا تستطيعه لهول ما شاهدته تلك الليلة من الأمر العظيم ، وريحانة الى جانبها تخفف عنها وتفكر فى الورطة التى وقعتا فيها ، وتبحث عن حيلة تنجوان بها من ذلك المعسكر قبل أن يصبح الأمراء ويعلموا بموت ابن الكرمانى . فتذكرت الضحاك فقالت : « الآن وقت الضحاك ، انه لايغيب الا عند الحاجة اليه »

فقالت جلنار : « وأين هو ؟ لا اظنه يتركنا الليلة وهو يعلم ما نحن فيه ، فلا بد من مجيئه عاجلا »

فقالت ريحانة : « واذا لم يات ؟ »

قالت : « الا ترين أن نحتال فى الذهاب الى أبى مسلم فى مرو ؟ »

فاطرقت ريحانة هنيهة ثم قالت : « وما قولك فى الرجوع الى بيت سيدى الدهقان ، فنقص عليه ما حدث فانه اذا علم بفوز أبى مسلم وموت ابن الكرمانى . . فلا شك انه يرضى بأبى مسلم بعلاً لك فتزفين اليه مكرمة معززة »

فشق على جلنار ان تعود الى بيت ابيها وتبعد عن مقر حبيبها ، فقالت : « ولماذا ذلك ؟ ألسنا على مقربة من مرو ؟ . وقد كان ابو مسلم يؤجل أمرنا حتى يقتل ابن الكرمانى ويفتح مرو ، وقد تم له ما أراد ، ولم يعد هناك ما يدعو الى التاخير ؟ »

قالت : « لا أعلم يا سيدتى . فلو كان هذا قصده وقد علم بموت ابن الكرمانى لوجب أن يرسل اليك من يحملك اليه الآن »

قالت ذلك واطرقت ، فرفعت جلنار نظرها وتفرست فى وجهها لعلها تفهم شيئا مستترا وراء تلك العبارة ، فراتها مطرقة وفى وجهها ملامح الارتياب فقالت لها : « وماذا تعنين ؟

قالت : « لا أعنى شيئا ، ولكننى أقول مايجول بخاطرى ، وأنت تعلمين انى اشد الناس رغبة فى حفظ كرامتك . وان زفاف الفتاة من بيت ابيها لأحفظ لكرامتها ، غير انى لا اشك فى مقاصد أبى مسلم ولكننى احسبه مشتغلا الآن بتدبير شؤون ما بعد الفتح . فذهابك الى بيت ابيك والانتظار حتى يفرغ أبو مسلم من مهام الدولة لا يقلل شيئا من حبه لك أو رغبته فيك »

وفيما هما فى ذلك سمعتا سعال الضحاك وسط الخباء فأجفلتا ، ثم هرولت ريحانة نحو مصدر الصوت وهى تتعثر بأذيالها من المفاجاة والفرح ، وظلت جلنار فى فراشها وقلبها يكاد يطير من شدة الخفقان ، ثم رات ريحانة عائدة يتبعها رجل غير الضحاك ، عليه قلنسوة طويلة بدون عمامة ، وجبة سوداء طويلة مثل زى أهل خراسان ، وقد أحفى شاربيه وقص أطراف حاجبيه وقطبهما وقص لحيته . ولكنها ما لبثت ان عرفت انه الضحاك متنكراً ، فهشت له كما تهش لأقرب الناس اليها وابتسمت وهى تقول : « لقد صدق ظنى ، انك لا تتركنا على ما نحن عليه . ما الذى أصاب ذلك الرجل ؟ أتظنه يموت ؟ »

قال : « بل اظنه مات لانى رايت أهل فسطاطه فى هرج واضطراب »

قالت : « فما العمل الآن ؟ »

قال : « ارى ان ترجعى الى بيت سيدى الدهقان »

فلما سمعت ريحانة قوله التفتت الى سيدتها ولسان حالها يقول : « الم اقل لك ذلك ؟ »

فقالت جلنار : « وكيف نذهب ؟ »

قال : « نذهب بأخف ما عندنا ، وأنا أدبر ذلك على أن تكتمى امرى عن كل انسان »

فاستغربت وقالت : « ماذا تعنى ؟ »

قال : « أعنى انى رهن اشارتك ولا أزال عبدك المطيـــع ، ولكننى لا احب أن يعلم أحد فى الدنيا أنى على قيد الحياة ، ولا تسالينى السبب الآن . اما اسمى الجديد فهو صالح ؟ »

فقالت : « سأفعل ذلك ، فما العمل يا صالح ؟ »

قال : « سأعد كل شيء حتى نتمكن من الرحيل فى الصباح والناس فى شاغل عنا »

قالت : « الاترى أن نصبر الى الغد لعل أبا مسلم يبعث بمن يحملنا اليه ؟ »

قال : « اذا شئت بقينا ، ولكننى لا أرى أبا مسلم باعثا اليك غدا ولا بعد غد ! »

فلم تستغرب قوله لأنها سمعت مثله من ريحانة ، لكنه لم يعجبها فقالت : « وكيف لا يبعث الى وأنت قلت لى انه انما أخر اجتماعنا حتى يفرغ من الحرب ويقتل هذا المسكين على يدنا ، وقد حدث هذا ، فهل من سبب آخر للتأجيل ؟ »

فقال : « لا ، ولكن أبا مسلم اليوم فى شاغل عظيم بأمر هؤلاء اليمنية بعد مقتـــل اميرهم ، فاذا لم يتلاف امرهم خاف عصيـــانهم أو انحيازهم الى الخوارج . ومهما يكن الامر فان الذهاب الى بيت أبيك احفظ لكرامتك ، وليس ثمة ما يمنع أبا مسلم أن يطلبك من مولاى الدهقان فتزفين اليه معززة مكرمة »

فأذعنت واشارت اليه أن يفعل ما يشاء

فقال : « مرى الخدم بأن يطيعونى ، ولا تقولى لهم انى الضحاك »

فأشارت الى ريحانة أن تفعل ما قاله . فخرجت ريحانة وقالت لقيمة الخباء : « لقد بعث مولانا الدهقان الليلة هذا الرجل ليرجع بنا اليه فى الصباح فاعملوا باشارته » . فأخذ الضحاك فى الاستعداد للرحيل



فى مجلس أبى مسلم

كان الدهقان قد زوج ابنته بابن الكرمانى طمعا فى الكسب على يده ، لاعتقاده بقوة الكرمانى وكثرة رجاله ، ولاستخفافه بأبى مسلم لقلة رجاله وصغر سنه ، وأضمر فى قلبه انه اذا انقلبت الآية ورجحت كفة أبى مسلم تقرب اليه بالأموال والرجال . فكان لا يغفل عن استطلاع أحوال الجنود المعسكرة حول مرو ، وكانت الأخبار تأتيه تباعا كلها تدل على نجاح الخراسانيين وتغلبهم . حتى اذا جاءه الخبر بدخول أبى مسلم مرو حليفا لابن الكرمانى مع بقاء هذا فى معسكره تحقق فوز الخراسانيين ولبث يتوقع فرصة يتقرب بها من أبى مسلم وهو يظنه غير عالم بزفاف جلنار الى ابن الكرمانى ، فلما بلغه أن أبا مسلم دخل مرو ، بعث اليه بالهدايا والأموال، وكتب اليه يهنئه بالنصر،وأنه بذل جهده فى جمع كلمة الدهاقين على نصرته. كل ذلك وهو لا يعلم بموت ابن الكرمانى ، فلما جاءه الخبر بقدوم ابنته خرج لاستقبالها وقبلها ورحب بها مستغربا مجيئها ، ولما سألها فى ذلك لم تتمالك عن البكاء ، فأجابته ريحانة أنها ستطلعه على السبب فى خلوة . فأخرج من فى حضرته من الناس ، فقالت ريحانة : « ان مولاتى الدهقانة تبكى حرقة على سوء حظها »

قال : « ولم ؟ ماذا جرى ؟ »

قالت : « ان خطيبها توفى فى هذا الصباح فجأة »

قال : « على بن الكرمانى مات ؟ » . قالت : « نعم يا سيدى »

فأطرق يحك ذقنه ويعمل فكرته وقد ثبت عنده انتصار الخراسانيين وفشل العرب فذهبت بقية آماله فيهم ، ونظر الى جلنار فاذا هى مطرقة تبكى ، فظنها تبكى زوجها وهى انما تبكى شوقا لحبيبها وضياع آمالها ، لأنها كانت تتوقع أن ترى منه اهتماما بأمرها.فلما رآها الدهقان تبكى ، رق لها وقال : « لا تبكى يا جلنار ولا بأس عليك » . ثم وجه خطابه الى ريحانة وقال : « سمعتك تسمين ابن الكرمانى خطيبا وأنت تعلمين أننا عقدنا له عليها وزففناها اليه »

قالت : « نعم ولكنه لم يدخل على سيدتى بعد ». وحكت له ما كان من اشتراطه على نفسه فتح مرو قبل ذلك ، وأنه مات غداة الفتح

فلما علم بذلك انقشعت غياهب الفشل عن قلبه ورأى فى عودة جلنار اليه بابا جـــديدا للتقرب من أبى مسلم لاعتقاده أن أبا مســلم يرغب فى مصاهرته • فنظر الى جلنار وهو يبتسم تخفيفا لاضطرابها وقال : «لا بأس عليك ، انى سأعوضك من ابن الكرمانى من هو خير منه وأقرب الينا وطنا ولغة وعادة »

فأدركت جلنار أنه يشير الى أبى مسلم ، فسرى عنها ، وانتعشت آمالها لأن أباها صار عونا لها فى الوصول الى حبيبها ، فأمنت ما كانت تخشاه من زواجها بأبى مســلم بغير علمه أو رضاه • فلما سمعت كلامه قالت : « بارك الله لى فيك من أب رحيم »

فأشار اليها أن تذهب الى غرفتها لترتاح من وعثاء الســفر ، فنهضت وريحانة معها فسأل أبوها : « وأين الضحاك انى لا أراه معكما ؟• »

قالت ريحانة : « لا ندرى ما أصابه ، فقد ذهب بالأمس ونحن بعد فى معسكر ابن الكرمانى ثم لم نره بعد ذلك »

قال : « وكأنى رأيت معكما رجلا عليه القلنسوة والجبة ، فمن هذا ؟ »

قالت : «هو رجل من أهل مرو اسمه صالح ، جاءنا به ابن الكرمانى يوم الفتح وأضافه الى الخدم بدلا من الضحاك ولا بأس به »

ومشى الدهقان والدهقانة ، وعاد كل منهما الى حجرته وفى نفســه أنه خدع صاحبه • وأخذ الدهقان يفكر فى السبيل المؤدى الى نيل الحظوة فى عينى أبى مسلم بعد أن أصبح له الأمر فى خراسان ، فاعتزم بعـــد طول التفكير أن يزوجه ابنته ، على أن ينتظر جوابه على تهنئته التى كتب بها اليه يوم الفتح • ولبث فى الانتظار يومين ، وفى اليوم الثالث جاءه رسول أبى مسلم ومعه كتـــاب يثنى به عليه ويستقدمه اليــه ليقيم عنده • فلما تلا الكتاب أسرع الى جلنار وأطلعها عليه،فكان سرورها أعظم من سروره ولكنها أحبت أن تستوثق من أمر مسيرها معه فقالت : « وهل عزمت على السفر الى مرو ؟ »

قال : « وهل أستطيع غير ذلك ؟ »

قالت : « ومتى تذهب ؟ » • قال : « ربما ذهبت غدا »

قالت : « ألا تحمل اليه الهدايا والأموال ؟ » • قال : « لابد من ذلك ، لأن الرجل أصبح ملك خراسان ، وأرى دعوته ناجحة لا ريب فيها،فيجب أن نبذل جهدنا فى التقرب منه • وأرجو أن تساعدينى على ذلك »

قالت : « أنا فتاتك ورهن اشارتك »

قال : « اذا أطعتنى لم يبق شك فى فوزنا ، لأن النصر حالفه ، وقــد أخبرنى رسوله حامل الكتاب بأن الخوارج رحلوا عن مرو ، وان الذين بقوا أحياء من رجال الكرمانى انضموا الى جند أبى مسلم ، فهو الآن زعيم القوم

وأمير مرو ، ولا يلبث أن تذعن له بلاد خراسان وما وراءها · فالتقرب منه غنم لا شك فيه »

فأدركت أنه يشير الى أمر زواجها منه ، فقالت وقد أشرق وجهها سرورا رغم ما تكلفته من السذاجة : « انني لم أخالفك في أمر علي بن الكرماني وهو بعيد عنا جنسا ولغة،فكيف أخالفك في أمر خراساني هوكما وصفته»

قال : « بورك فيك من ابنة مطيعة حكيمة » · وضمها الى صدره وقبلها ثم قال : « سأذهب في الغد وأغتنم أول فرصة لأكلمه في شأنك ، ثم أبعث اليك فتأتي بموكب يليق بمقامنا »

فعلمت أنه لا ينوى اصطحابها ، فرضيت بما أراده وانتعشت آمالها فأظهرت الارتياح ولكنها كانت تفضل الذهاب معه فقالت : « وما ضرك لو ذهبت معك فأدخل مرو وأتفرج ريثما يتم لك ما تريد »

فأطرق لحظة ثم قال : « لا بأس من ذهابك معي ، فأنزلك عند صديق لي من دهاقين مرو أعهده يقيم بقصره بجوار دار الامارة »

ففرحت جلنار وظهر الفرح في وجهها ، فأمر الدهقان خازنه بأن يعد الأموال ليحملها معه الى مرو ، وأن يعدوا الهدايا من الرقيق والثياب والأشياء الثمينة

وفي صباح اليوم التالي ركب في كوكبة من الفرسان ، وجعل الهدايا في حملة تسير في أثره ومعها هودج جلنار وريحانة ، ومشي صالح مع الخدم · وفي الضحى وصل الموكب الى مرو يتقدمه رسول أبي مسلم · فدخلوا المدينة وساروا حتى أقبلوا على دار الامارة ، فأمر الدهقان أن ينزلوا جلنار في قصر صديقه بقرب الدار فأنزلوها ، وترجل هو ورجال حاشيته يمشون بين يديه وعليهم الألبسة الفاخرة وبمناطقهم السيوف المحلاة بالذهب ، حتى أقبلوا على باب القصر وعليه الحراس ، فاستأذنوا للدهقان في الدخول فأذن له أن يدخل وحده ، وأن يتحول رجال حاشيته الى دار الأضياف فدخل الدهقان وعليه قلنسوة حولها عمامة موشاة بالذهب وقد ارتدى جبة من الخز فوقها مطرف من الحرير المزركش يساوى مالا كثيرا · ونزع سيفه ودفعه الى بعض الخدم السائرين بين يديه

دخل القصر ومشى في الصحن الداخلي حتى وصل الى القاعة التي ينعقد فيها مجلس أبي مسلم ومعه نقباؤه وقواده · وهناك وجد في صدرها أبا مسلم على كرسي ، والى جانبه خالد بن برمك وسليمان بن كثير وجماعة من النقباء، فرحب به أبو مسلم وأمر له بالجلوس بين يديه،فجلس وأعاد التحية ، فقال له أبو مسلم بالفارسية : « نشكرك على هداياك أيها الدهقان »

قال : « لم أهد شيئا وانما قدمت ما يجب »

قال أبو مسلم : « بل أنت تفضلت ، ولا ننسى ضيافتك يوم نزلنا عندك»

فانشرح صدر الدهقان لذلك الاطراء وقال : « كل ذلك واجب قمت به

لأن نصرة دعوتكم فرض على كل خراساني أو فارسي »

فنظر أبو مسلم الى خالد فرآه ينظر اليه ، ثم حولا نظرهما الى الدهقان فاذا به يزداد تصدرا ويده في لحيته يمشطها بأنامله ، فقال له أبو مسلم : « هل كنت عالما بذلك قبل الآن ؟ »

فاستغرب الدهقان السؤال وأوجس خيفة منه لعلمه أن أبا مسلم قليل الكلام كثير المعانى ، فقال : « كيف لم أكن أعرفه ؟ ألا تذكر مجلسنا تلك الليلة يوم تليت علينا وصية الامام وتعاقدنا على نصرة هذه الدعوة لأنها أمانة فى عنق كل فارسى ؟ »

قال : « أتذكر نص الوصية ؟ »

قال : « أذكر فحواها »

قال : « وما فحواها ؟ »

فأجفل الدهقان من تدقيقه وازداد خوفا مما وراء ذلك ، ولكنه أسرها فى نفسه وقال : « أذكر أنه يوصيك بألا تبقى فى خراسان لسانا عربيا ، وان تقتل من شككت فيه »

ونظر أبو مسلم الى الدهقان متفرسا ، فلم يطق الدهقان صبرا على تلك النظرة خوفا من عواقبها وأطرق ، فقال له أبو مسلم : « وهل عملت بهذه الوصية ؟ وهل سعيت معنا على العرب أعدائنا ؟ » قال ذلك بلهجة المرتاب وتجاهل العارف

فتجلد الدهقان وقال : « كيف لا وأنا لم أدخر وسعا فى بذل الأموال واستنهاض الدهاقين لنصرة هذه الدعوة » . وكان الدهقان يظن أبا مسلم غير عالم بزفاف جلنار الى ابن الكرمانى . فقال أبو مسلم : « أمن نصرة العجم على العرب أن تزف ابنتك الى ابن الكرمانى ومعها الهدايا من الرقيق والمال ؟ »

فوقع الرعب فى قلب الدهقان ولم يدر كيف يجيب ، ورقصت لحيته وارتعشت أنامله وبدت الحيرة فى وجهه ، ولكنه تجلد وقال : « ان زفاف ابنتى الى ذلك العربى انما كان قبل مجلسنا الذى أشرت اليه

فقال : « ألا تذكر أن الفتاة كانت فى بيتك ليلة ذلك الاجتماع وقد جالستنا ؟ »

فارتبك الدهقان فى أمره وأخذ يتشاغل باصلاح قلنسوته ومطرفه ويبلع ريقه ويتنحنح وقد امتقع لونه ، ثم قال : « انى رأيت من الفتاة ميلا الى ابن الكرمانى فسايرتها فيما ترضاه لأنها وحيدتى »

قال : « أصحيح ما تقول ؟ »

قال : « هذا هو الصحيح ورأس الأمير »

فقال : « واذا كنت كاذبا ؟ »

فلما سمع الدهقان ذلك ازداد رعدة وصار ينتفض،والتفت الى من حوله من القواد والنقباء لعله يجد بينهم من ينصره ، فرآهم مطرقين لا يستطيع أحد منهم أن يفوه بكلمة،فلم ير بدا من الجواب لأن السكوت اقرار بالكذب. ولم يكن يخطر له أن أبا مسلم مطلع على سر ابنته فقال : «حاشا لى أن أكذب بين يدى الأمير »

فقال أبو مسلم : « ان العقد لم يتم الا بعد زيارتنا ، وابنتك لم تكن راضية بذلك العربي وانما أنت رضيته لها استخفافا منك بدعوتنا وتزلفا الى العرب . وقد جادلتك هى فى شأنه فى الليلة التى كنا فيها عندك فكنت تصر على تزويجها به »

فلم يبق أحد من الحضور حتى خالد بن برمك الا وقد دهش من اطلاع أبى مسلم على هذه التفاصيل على انشغاله بمهام القيادة وتدبير شؤون الدعوة ، وجعلوا يتلفتون بعضهم الى بعض والدهقان يكاد يموت خوفا وقد جمد الدم فى عروقه وود لو خسفت به الأرض وابتلعته ، ولم يحر جوابا . واستولى السكوت على الجلوس ، وهم مطرقون لا يتحركون كأن على رؤوسهم الطير ، الى أن وجه أبو مسلم خطابه الى النقباء وسألهم : « ما قولكم فى هذا الخراسانى الذى سمع وصية الامام بابادة العرب فنصرهم وصاهرهم ثم يقول انه ينصرنا ؟ »

فلم يجب أحد منهم بكلمة لعلمهم أنه لا يستشيرهم وانما هو يهدد الدهقان ، ثم قال له : « انك لم تحفظ وصية الامام ، فبدلا من أن تنصر الخراسانيين نصرت العرب وقد نصرتهم وهم أعداؤنا . أما أنا فالوصية منقوشة على صدرى أعمل بها »

فأدرك الجميع مراد أبى مسلم حتى الدهقان نفسه ، وفهموا أنه يشير الى قول الامام : « من شككت فيه فاقتله » . فنظر الدهقان الى أبى مسلم نظرة المستغيث . فقال أبو مسلم : « ان طاعة الامام أولى من طاعة كل انسان ، وقد أوصانى أن أقتل كل من أشك فيه،وقد شككت فيك فلا مفر من قتلك». ثم نظر الى الباب فدخل أربعة على كل منهم دراعة من الجلد الى أسفل الركبة عليها رشاش من الدم ، وعلى رأسه قلنسوة طويلة ذات شعبتين عليها شىء من آثار الدماء ، وحول الدراعة منطقة من جلد علق فيها سيف

فلما دخلوا علم الدهقان أنهم الجلادون وسمع أبا مسلم يقول لهم : «خذوا هذا الخائن الى خوارزم »

فعلم الدهقان أنه يأمر بقتله ، فنهض وترامى على قدمى أبى مسلم وجعل يتضرع ويتوسل وهو يبكى ويقول : « اصفح يا مولاى عن ذنبى أعطك كل ما أملك »

فأجابه أبو مسلم وهو ينظر الى سقف القاعة : « ان مالك لنا قتلت أو بقيت حيا » . فلما لم ير الدهقان اصغاء من أبي مسلم ، تحول الى خالد بن برمك وترامى على قدميه واستشفعه ، فرق خالد له ولم يكن أحد يجرؤ على مخاطبة أبي مسلم في شيء غيره ، فهمس في أذنه كلاما ، فقال أبو مسلم : « قد أجلنا قتله الآن ، خذوه الى السجن وسننظر في أمره »

فتقدم الأربعة وساقوا الدهقان حتى خرجوا من باب سري يؤدي الى غرفة مظلمة وضعوه فيها

نزلت جلنار في قصر الدهقان صديق أبيها بجوار دار الامارة ، وقد استأنست بقرب الحبيب. فأنزلها صاحب القصر بين نسائه ، فلقيت عندهن كل اكرام واحتفاء ، ولاسيما من الدهقانة صاحبة المنزل، لأنها كانت تعرفها وتعرف أمها قبلها ، ولكن جلنار لم تكن تستأنس بأحد لاشتغال ذهنها بأبي مسلم وما عسى أن يدور بينه وبين أبيها في شأنها ، وكانت تختلس الفرص لتخلو بريحانة وتحادثها فيما يهمها في انتظار عودة أبيها من تلك الزيارة. وعند الظهر كان أهل البيت ينتظرون مجيء الدهقان ليأكلوا معا ، فلما أبطأ ظنوه أكل على مائدة الأمير فتغدوا وجلنار أكثرهم قلقا على غيابه، لا خوفا على حياته لأن ذلك لم يخطر لها ببال، بل حبا في معرفة ما دار من الحديث عنها

وقضت بقية ذلك النهار وهي على مثل الجمر ، وريحانة تعدها وتمنيها حتى أمسى المساء . فلاحظت في أهل القصر تغيرا ورأتهم يجتمعون ويتسارون ، واذا لقوها تظاهروا بالمجاملة والمحاسنة فقلقت وأنبأت ريحانة بما لاحظته ، فقالت لها : « وأنا أيضا لاحظت ذلك فيهم »

فقالت جلنار : « لابد من أمر حدث لأبي »

وما أتمت كلامها حتى جاء خادم يقول لجلنار : « ان أحد خدمكم بالباب »

فنهضت ريحانة وتبعتها جلنار حتى أقبلتا على الباب ، فاذا هناك صالح (أو الضحاك) وفي وجهه اضطراب فقالت ريحانة : « ما وراءك ؟ »

قال : « ادخلاني الى مكان لا يسمعني فيه أحد سواكما »

فدخلتا به الى غرفة وأقفلتا الباب فجلس وجلنار يتزايد قلقها وخفقان قلبها حتى بدأ صالح بالكلام فقال لها : «هل سمعت ما حدث اليوم في مجلس أبي مسلم ؟ » . قالت : « لا »

فقص عليها ما دار بين أبي مسلم وأبيها كأنه كان حاضرا حتى بلغ الى حيث أمر أبو مسلم بقتله ، فاقشعر بدنها وامتقع لونها، ثم أخبرها بتوسط خالد بالعفو عنه وأنهم أجلوا قتله وحبسوه . فطار صوابها ، وقالت :

« أيحكم على أبى بالقتل ؟٠٠ ولماذا ؟ »

قال : « لأنه زفك الى ابن الكرمانى ورغب فى مصاهرته وهو عربى ، وكان مولاى الدهقان يدعى التحزب للفرس »

فأطرقت ثم التفتت الى ريحانة كأنها تستطلع رأيها ، فرأتها أشد حيرة منها فنظرت الى صالح وقالت : «هذا أوان المروءة وصدق الخدمة»٠وترقرق الدمع فى عينيها

فوقف صالح وقال : « انى رهين أمرك يا مولاتى والذى أراه ٠ » ٠ وسكت ٠ فازدادت جلنار قلقا لتردده فقالت : « قل ، ما الذى تراه ؟ »

قال : « لا أرى أحدا يستطيع التوسط فى ذلك سواك »

فصادف قوله هوى فى نفسها ، فقد طالما تمنت لقاء هذا الذى وهبته قلبها وظنت أنه بادلها حبا بحب ، ولم يتسن لهما أن يجتمعا ٠ فرأت فى ذهابها اليه للشفاعة فى أبيها ما قد يمهد السبيل الى ما تطمع فيه من عتاب المحبين ، فنهضت وقالت : « سأذهب اليه الآن »

فقال صالح : « حسنا تفعلين ، وأنا أستأذن لك عليه من الحاجب فقد عرفته وهو الذى قص على الحديث اليوم ٠ انهضى غير مأمورة ، وتخمرى ريثما أعود اليك بالاذن » ٠ وخرج

فدخلت جلنار حجرة هناك ، وأصلحت من شأنها قليلا والتفت بالمطرف المزركش ولفت رأسها بشال موشى ٠ فقالت ريحانة : « هل أذهب معك يا مولاتى ؟ »

قالت : « ربما لا يأذن لنا بالدخول معا وأنا أحب أن أخاطبه على انفراد »

ثم جاء صالح يقول : « هلم يا مولاتى ، قد أذن الأمير »

فنهضت وقد تسارع خفقان قلبها وتصاعد الدم الى وجهها فخرجت من باب القصر والليل قد سدل نقابه ٠ ولم تمش خطوات قليلة حتى أطلت على باب القاعة وصالح يمشى بجانبها ٠ فقال لها : « لا يخلو دخولك على هذا الأمير من باعث على الحذر ، فكونى على يقين انى آتيك كما تأتى المردة اذا شعرت بضيق ، ولكن احذرى أن تناديني باسمى القديم »

فأوجست من هذا التحذير خوفا ، ولكنها شغلت بما هاجه فيها لقاء أبى مسلم لأول مرة على انفراد ، وفى قلبها من لواعج الحب وعوامل الاعجاب ما فيه ، فأوصلها صالح الى الباب وأشار الى الحاجب فوقف لها وأدخلها القاعة وقد وسع لها ستر الباب بيده ، فرأت قاعة كبيرة فى بعض أركانها شموع منيرة ٠ وفى صدر القاعة رجل متكىء على وسادة وعليه ثياب الامارة كأنه فى مجلس الحكم ، فسبقها الحاجب حتى وقف بين يدى الرجل وقال : « قد أتت الفتاة التى استأذنت فى الدخول على الأمير »

فقال أبو مسلم : « أين هى ؟ »٠وأشار بيده الى الحاجب فخرج، ومشت

جلنار وهى تخطو الهوينا ورجلاها لا تساعدانها على السرعة لما ساورها من رعب لدخولها وحدها على أبى مسلم • واذا كان الرجال الأشداء يرتعدون فى حضرته ، فكيف بفتاة مفتونة قاست الصعاب للحصول على رضاه ؟

فلما أقبلت جلنار،اعتدل أبو مسلم فى مجلسه وكان يلبس العمامة السوداء والجبة السوداء ، وقال بالعربية : « أهلا بالدهقانة »

فأجابته بالفارسية : « لست دهقانة وانما أنا أمتك »

فأشار اليها أن تقعد فقعدت على وسادة بين يديه ، وقد أرهبتها الخلوة مع رجل تحبه وتعتقد أنه يحبها فغلب عليها الحياء تمازجه رعشة الحب • ثم تذكرت أباها وأنها أتت من أجله ، فلبثت تنتظر ما يقوله أبو مسلم • فقال لها بالفارسية : « أراكم لا تحبون من الفرس الا لغتهم ، وأما فيما خلا ذلك فأنتم عرب »

فادركت أنه يعرض بالسبب الذى حكم على أبيها من أجله ، فرفعت بصرها اليه فلم تستطع التفرس فى وجهه ، وأحست كأن سهاما تتطاير من عينيه الى عينيها ، وكأن نورا باهرا يسطع من حدقتيه فيبهر الناظر اليهما• فقالت وهى مطرقة : « وكيف نكون عربا وقد بذلنا النفس والنفيس فى سبيل الفرس؟•على أننا لو أردنا أن نكون عربا ما استطعنا الى ذلك سبيلا»

قال : « وأنت أيضا تتعمدين خداعى ؟ »

فلما سمعت ما فى كلامه من الجفاء رأت غير ما غرسه الضحاك فى ذهنها من حبه لها ، على أنها حملت ذلك منه على محمل غضبه من أبيها فقالت : « حاش لله أن أخادعك،وما أنت ممن يخدعون لأنك تخترق القلوب بعينيك وتكشف غوامض الأسرار بذكائك ، فانى لفتاة مثلى أن تجرؤ على خداعك ولكننى أقول لك الحق »

فقطع أبو مسلم كلامها وقال : « الحق أن أباك خدعنا ، فقد تقرب منا وأظهر الميل الى نصرتنا ، على حين كان يخابر ابن الكرمانى ليصاهره وقد زفك اليه • هل تنكرين ذلك ؟ »

فافحمها ، ورأت أن تطرق باب الاستعطاف بالحب فقالت : « لا ريب أن أبى ارتكب خطأ كبيرا بتزويجى من ذلك العربى ، ولو علم ما فى قلبى لما رضى به • ومع ذلك فان ذلك العربى المسكين لم ينل من آماله غير الفشل »

فقال : « لقد خدعنا أبوك وأثار الشك عندنا فى تصرفه ، فحل لنا قتله عملا بوصية الامام صاحب الدعوة »

فصاحت : « العفو يا مولاى ، اعف عن أبى وان كان ذنبه كبيرا • ان المصاهرة التى تتهمونه بالاقدام عليها خداعاكانت سببا فى أن عجلت بقتل عدوك • وهب أن أبى فعل ذلك رغبة عن أبى مسلم ، فان فى هذا القلب (وأشارت الى صدرها) من الحب له،ما لو تفرق فى عشيرة لكان كل منهم

عاشقا » . وشعرت عندما نطقت بهذه العبارة ، بأنها تسرعت في اظهار شعورها .. ولكنها لم تستطع صبرا ، وقد أرادت أن تستطلع ما في قلبه

أما هو فلما سمع تصريحها بحبه استغربه وعده تهورا، فأغضى عنه وقال: « اني أشكرك على حبك أيتها الدهقانة ، ولا أنكر أنك خدمت الخراسانيين ، غير أن ذلك لا يبرىء أباك »

فاستغربت جوابه « البارد » على خطابها الحار ، وقالت : «ألا تزال تذكر ذنب أبي بجانب اخلاصي في حبك ؟ »

قال : « لا تقولي حبي ، بل قولي حب دعوتي ومنفعة خراسان »

فانكرت تنصله من الحب وشعرت بأنها في واد وهو في واد ، فقالت : « بل في حبك أيها الأمير »

قال : « وما الباعث على ذلك والحب ينتهي الى الزواج ، وأنا لا مأرب لي في النساء وأعد الزواج جنونا ، فقد تزوجت ويكفي للانسان أن يجن في حياته مرة واحدة . واعلمي يا جلنار اني لو كنت ممن يهيمون بالنساء لما استطعت القيام بالدعوة التي أنا قائم بها » . وكانت جلنار تسمع كلامه وقلبها ينفطر غيظا لخيبة أملها ، لكنها تجلدت وقالت وصوتها يرتجف : « ألم تحبني من قبل ؟ »

قال : « لم أحبك ولم أحب سواك من النساء ، ولا أريد أن أحب امرأة »

قالت : « ألم تقل لرسولي أنك أحببتني عندما رأيتني ، وأنك تؤجل أمر الزواج الى أن تضع الحرب أوزارها ؟ »

قال : « أظنك تعنين ذلك المهذار المنافق ، لقد قتلته جزاء خيانته ، فلا تصدقي قوله ؟ »

فتذكرت جلنار ما قاله لها الضحاك من أنه لا يريد أن يعلم أحد ببقائه حيا ، فسكتت وهي مقتنعة بصدقه لاختبارها اياه من قبل ، ولأنها رأت غيرته عليها وتفانيه في خدمتها ، فترجح عندها غدر أبي مسلم ، وأنه استخدمها واستخدم الضحاك في تنفيذ مآربه لقتل ابن الكرماني ثم قتل الضحاك ، فخافت اذا هي جادلته أن يغضب ويأمر بقتلها ، وليس أسهل عليه من القتل . فاستجمعت رشدها وعمدت الى الملاينة لانقاذ أبيها فقالت : « لا تغضب أيها الأمير فاني لم أحبك طمعا في الزواج منك ، ولكنني أحببت مناقبك وسجاياك »

فأدرك أبو مسلم أنها تمكر خوفا من غضبه ، فمكر وقال لها : « وأنا أحببت مناقبك وشكرت غيرتك ونصرتك »

فلما سمعت هذه المجاملة وتحققت أنه لا يحبها شعرت بذهاب حبها ، ولكنها لم تر بدا من استعطافه لتنقذ أباها ، فقالت : « هل لي أن أطمع في أن تهب لي ذنب أبي فتعفو عنه ؟ »

قال : « ذنب أبيك لا يغفر لأنه خان »

فقالت : « هب أنه خان ، فاجعل خيانته مقابل خيانتي ابن الكرماني »

قال : « انك لم تقتليه في سبيل دعوتي ، بل طمعا في الزواج مني »

قالت : « وهل تعد ذلك ذنبا ؟ على كل حال ، لقد ساعدتكم في قتل رجل كان زوجي ، أفلا تكافئني على قتله بالعفو عن أبي ؟ »

قال : « أتعدين ذلك فضيلة وهي خيانة ، ثم تتوقعين أن أتزوجك ٠ ومن يضمن لي انك لا تقتلينني ؟ ٠ أما أبوك فلا تتعبي نفسك في شأنه، فلو أردت العفو عنه ما استطعت ، وقد سبق السيف العذل »

فنهضت ثم جثت بين يديه وهمت بتقبيل ركبتيه ، وذرفت الدمع وهي تقول : « أستحلفك بالامام ابراهيم صاحب الدعوة أن تعفو عن أبي ، لأني أصبحت بعد جفائك وليس لي سواه » ٠ قالت ذلك بصوت متهدج وهي تشرق بدموعها

فدفعها وأدار وجهه عنها ، وقال : « لا سبيل الى حياة أبيك »

فأجفلت وتراجعت وقالت : « ماذا تعني ؟ ٠ هل قتلته » ٠ قال : « نعم »

فصاحت : « قتلته ! لا ، لم تقتله ٠ بل أجلت النظر في أمره الى الغد ٠ بالله الا صدقتني ، الا أشفقت على شبابي وأبقيت لي أبي ٠٠ أنا مسكينة وحيدة » ٠ وأغرقت في البكاء حتى كاد يغمى عليها

ولم يكن ذلك ليؤثر في قلب أبي مسلم ، فأجابها بقوله : « قلت لك انه قتل ٠ واذا كنت لا تصدقين ، فسترين أباك رأى العين » ٠ ثم صفق فدخل غلام فقال : « ائتني بالدهقان »

فلما سمعته انتعشت آمالها وتوهمت أنه لا يزال حيا ، فتابعت الغلام بنظرها فرأته يدخل دهليزا في جانب القاعة ، ثم عاد وفي يده طبق كبير فوقه غطاء وتقدم به حتى وضعه بين يديها،وكشف الغطاء فرأت رأس أبيها في قاع الطبق وقد تجمد الدم حوله وتلطخت لحيته وشارباه ، واشتبك شعر رأسه ، وتلوث بالدم،وعيناه مفتوحتان كأنهما تنظران اليها٠فلما وقع نظرها عليه ، صاحت : « واأبتاه ! » ٠ والتفتت الى أبي مسلم وقد غاب رشدها ولم تعد تفقه ما تقول ، ولطمت خديها وصاحت : « قتلته يا ظالم ! ويلاه ! » وأخذت في البكاء حتى دوت القاعة بصوت نواحها

فقال لها أبو مسلم : « اسكتي أو أرسلك الى خوارزم »

فأدركت أنه يهددها بالقتل ، ولكنها لم تكن تبالي الموت لفرط حزنها فقالت : « ارسلني الى حيث شئت ، لم يبق للحياة عندي قيمة بعد خيانة حبيبي وقتل أبي » ٠ وعادت الى البكاء بصوت عال

فصاح أبو مسلم بالحاجب فجاءه فقال : «خذ هذه الفتاة الى سجن النساء، ولولا خوفي أن يقال قتل امرأة لقتلتها »

الفرار

مشت جلنار مع الحاجب وهي تبكي وتصيح : « واأبتاه » . حتى اذا دنت من باب القاعة سمعت الحاجب يكلمها همسا ويقول : «لا تخافى يا سيدتي، لا بأس عليك »

فعرفت صوت صالح،فنظرت الى ثيابه فاذا هي ثياب الحاجب.فاستغربت قيامه بتلك الحيلة ، ولكنها كانت في شاغل من الحزن . ورأس أبيها الملطخ بالدم ما يزال ماثلا أمام عينيها.فلما خرج بها من الباب ، رأت في الدهليز شبحا نائما وبقربه ثياب . فالتقط صالح الثياب بخفة ، ودفعها الى جلنار وهو يقول : «البسي» ، فاذا هي جبته وقلنسوته.فلبستهما مسرعة ، وعبرا الدهليز حتى بلغا الباب الخارجي فخرجا ، ولم يعترضهما الحراس لاعتقادهم أنهما الحاجب وأحد الخدم . فلما خرجا من دار الامارة ، مشى بها صالح الى حجرة في خان وقد قطعا الطريق ساكتين لا ينطقان

وأخذ صالح فى تخفيف الأمر على جلنار ، فقال لها : « ألم ألمح لك غير مرة أنه خائن غادر ..؟ قد سمعته ينكر ما قاله لى عن حبه لك وافتتانه بجمالك ، ولكن أنى لى أن أكذبه وهو صاحب السيف ولا شفقة عنده ولا عهد له . ولم أكن أعلم أنه فعل ذلك خداعا حتى يستخدمنا في قتل ذلك الرجل المسكين ، وقد أراد قتلى معه فأوصى الرجل الذى أرسله معى لقتل ابن الكرماني بأن يدس السم في قدحى أيضا،ولولا القدر والقيء لكنت الآن في عالم الأموات ، وهو يظنني ميتا وقد قال لك ذلك الليلة . على أنى لم أكن أتوقع أن ينكر حبك ، وأنه يبغى أذاك أو أذى مولاى الدهقان ، والا لمنعتك من الذهاب اليه.وقد احتطت وهيأت ما يلزم للفرار بك عند الحاجة، فأغريت الحاجب حتى أسكرته . ولبست ثيابه وتزييت بزيه لأتمكن من انقاذك ، وقد وفقت الى ذلك بحول الله »

وكانت جلنار تسمع كلامه وكأنها في حلم ، لما مر بها تلك الليلة من الأهوال وذهاب آمالها أدراج الرياح ، فاستغرقت في التأمل وصالح جالس بين يديها ، ثم قال لها : « أتأذنين لى فى أن أذهب لاستقدام ريحانة ؟ »

فانتبهت وقالت : « لابد من ذلك ، اذهب حفظك الله »

فقال لها : « أعطيني جبتى وقلنسوتى »

فلما خلعتهما ، لبسهما وهو يقول : «امكثى فى هذه الحجرة ، ولا تخرجى منها حتى أعود » • وخرج وأغلق الباب وراءه

فجلست وقد خلت بنفسها فى تلك الحجرة الحقيرة ، فتلفتت فلم تجد حولها الا جدرانا عارية عليها رفوف من الخشب قد سمرت فيها • وعلى الأرض حصير بال فوقه فراش قذر ، والمكان موحش مظلم • وذكرت قصر أبيها وما كانت فيه من النعيم وما بنته من قصور الآمال ، وكيف تهدمت تلك القصور فى ساعة ، فقتل والدها وخانها حبيبها وخرجت هاربة تائهة لا تعرف مقرها ،وفكرت فى أسباب هذا الشقاء فلم تجد ملوما غير أبى مسلم ، وتصورت ما كان له من الحب فى قلبها وكيف قابلها بالجفاء وهددها بالقتل بعد أن فتك بأبيها•فانقلب حبها بغضا شديدا وأصبحت لا تستطيع تصوره • وهذه سنة الطبيعة فى البشر ، فان المحب اذا رأى من حبيبه غدرا أو خيانة انقلب حبه بغضا شديدا،وما نبرىء أبا مسلم من الشدة والقسوة، ولعل عذره أنه كان يكره النساء ويعد الزواج جنونا،بل هو لا يعرف عواطف المحبين لأنه لم يكن يحب ولا يشعر بالحب • وذلك نادر فى الناس لأن الحب يدمث الاخلاق ويلطف الطباع وهو أبو الشفقة وشقيق الحنان ، ولولاه لأكل الناس بعضهم بعضا • وقد كان أبو مسلم لا يبالى قتل أبيه أو أخيه اذا رآه حاجزا فى سبيل مطامعه • فلما علم بتلاعب الدهقان ، بادر الى قتله ليأمن شره ، ولو كان فى صدر أبى مسلم ذرة من حب لاستجاب لاستغاثة جلنار ، ولم يكافئها على حبها بعرض رأس أبيها عليها

قضت جلنار فى مثل هذه الهواجس حينا حتى نسيت نفسها ، ثم فطنت الى انها وحيدة فى تلك الحجرة لا تسمع الا صهيل الخيل فى الخان وقد ملأته رائحة الدواب • وتذكرت بيت أبيها وموته ، فغلب عليها الحزن فعادت الى البكاء ولم تر ما يفرج كربها سواه•ولكنها كانت تحاذر أن يسمع صوتها ، فيأتى اليها أحد وهى وحدها • والمصيبة تبدو ساعة وقوعها هينة فى عينى صاحبها ، ثم تعظم عنده حتى تبدو على حقيقتها ، فاذا طال صبره عليها تصاغرت حتى يزول وقتها • وكذلك جلنار لم تدرك عظم مصيبتها لأول وهلة ، فلما خلت بنفسها وأطلقت العنان لخيالها أخذت مصيبتها تنجلى لها وتتعاظم عندها ، وكانت حتى هذه الساعة تشعر بشىء كالانعطاف نحو أبى مسلم هو بقية الحب الصادق له ، على أن ذلك الشعور لم يكن يمكث الا كلمح البصر ثم يزول ويخلفه الغضب وحب الانتقام

وغلب عليها النعاس ، فغمضت عيناها لحظات قليلة رأت فى أثنائها فيما يرى النائم أبا مسلم كما رأته للمرة الأولى فى بيت أبيها ، وأنه جاملها ولاطفها فتشاكيا وتعاتبا • وتذكرت وهو يلاطفها ما كان من جفائه وخيانة عهدها بقتل أبيها ، فتوهمت أن الجفاء كان فى الحلم وأنها عادت الى اليقظة فرأت حبيبها على عهده• ثم ما لبثت أن استيقظت فرأت حلمها يقظة ويقظتها

حلما . ولكن شبح أبي مسلم كان لا يزال مرسوما أمامها ، فجعلت تخاطبه وتعاتبه قائلة : « أهذا شرط المحبة يا قاسي القلب؟ . تقتل أبي وتخون عهدي ثم تهددني بالقتل وتزج بي في السجن ؟ »

وفيما هي كذلك سمعت خشخشة ورأت شيئا مر من بين يديها مرور السهم ، فأجفلت ونظرت حولها ، فاذا هو جرذ دخل الحجرة من ثقب في الحائط تحت الباب وانصرف الى ثقب تحت بعض الجدران ، فقلقت وخافت الجلوس على الحصير ، فوقفت وكان لوقوفها فجأة ضجة أفزعت جرذا كان كامنا وراء الفراش فنفر ، وكان لعدوه على الحصير خشخشة شغلت جلنار عن هواجسها . وأصبح همها تجنب الجرذان والحشرات ، مخافة أن تمس يدها أو رجلها . وحدثتها نفسها بأن تخرج من الحجرة ولكنها لم تجرؤ لأنها لا تعرف أحدا في الخان ، فاستبطأت عودة الضحاك وخافت أن يكون لابطائه سبب ينذر بالشر ، فضاقت الدنيا في عينيها . ثم سمعت سعاله في فناء الدار ، فخفق قلبها بسرعة وتهيأت لملاقاته ، وأصغت لتسمع وقع قدميه على السلم ثم في طريقه الى الحجرة فلم تسمع شيئا ، فاستغربت وتوهمت أنها سمعت هتاف بعض الأرواح من الجان، فاقشعر بدنها وجمد الدم في عروقها. وظلت واقفة في مكانها لا تجرؤ على المشي ولا على القعود ، وأمسكت تنفسها مبالغة في الاصغاء . فمضت دقائق وهي لا تسمع غير وقع حوافر الدواب وأصوات شخيرها ، ثم سمعت صوتا لم تشك في أنه صوت صالح يقول : « أعد كل شيء ريثما أعود » . ثم سمعت خفق نعاله على السلم فاطمأن خاطرها ، وأسرعت نحو الباب وفتحته فرأت صالحا وحده والدهشة ظاهرة على وجهه . فقالت : « أين ريحانة ؟ »

قال : « هي هنا ، هيا بنا للخروج من المدينة قبل اقفال أبوابها، والخيول معدة في فناء الخان » . قال ذلك وأخذ يبحث عن جبة الحاجب وقلنسوته وكان قد تركهما هناك عند ذهابه ، ولبسهما بعد أن خلع قلنسوته وجبته بأسرع من لمح البصر ، ثم مشى بين يدي جلنار

فتبعته على السلم وهي تتعثر بأذيالها ، ولما وصلا الى فناء الخان رأت جلنار ثلاثة جياد مسرجة وريحانة واقفة بجانب واحد منها ، فقال صالح : « اركبي يا مولاتي هذا الجواد » . وأشار الى ريحانة فركبت جوادا ، وركب هو الجواد الباقي ، وأشار الى صاحب الخان فأمر رجلا بأن يسير في ركابهم ليعود بالجياد . ثم ساق جواده أولا ، وقال لجلنار : « تثبتي على جوادك يا مولاتي واتبعينا » . وأوصى الرجل بأن يبقى الى جانبها ليساعدها عند الحاجة

مشى الركب على هذه الصورة وكلهم سكوت ، وجلنار تصبر نفسها عن استطلاع السبب الذي أوجب هذه العجلة . وبعد قليل وصلوا الى باب

المدينة فوجدوه موصدا كالعادة عند الغروب. فصاح صالح بالبواب صيحة ذي سلطان : « ما بال بابك لا يزال مقفلا ، كنت نائما عندما جاءك الأمر بفتحه منذ ساعة ؟ »

فرأى البواب رجلا يخاطبه كمن له سلطان وعليه ثياب الحجاب ، فصدقه وخاف أن يبلغ أمره لأبي مسلم ، لأنه كان عند العشاء غائبا اذ ذهب لتناول الطعام في منزله ، ولم يدر في خلده أن الأمير بعث من يأمر بفتح الباب . فظن الأمر جاءه أثناء غيابه فهم بالاعتذار فقطع صالح كلامه قائلا : «لا بأس الآن، أسرع وافتح الباب فان مهمتنا عاجلة ولا وقت لدينا لسماع الأعذار».

فأسرع الرجل وفتح الباب ، وما ان أصبحوا خارج المدينة حتى ساقوا خيولهم وصالح دليلهم ، وكلما قطع مسافة تفقد جلنار وريحانة فقد كان الظلام مخيما. ولكنه كان خبيرا بتلك المنطقة ، يعرف الطرق السهلة والصعبة والجهات المأهولة وغير المأهولة. فلما بعدوا عن مرو، أمسك عنان جواده حتى لحق به جواد جلنار ، وسألها : « هل أنت متعبة ؟ ». فقالت : « نعم ، تعبت ولم أفهم سبب هذه العجلة »

قال : « سأخبرك عند وصولنا الى القصر »

قالت : « وأي قصر ؟ »

قال : « قصر مولاي الدهقان فاننا على مقربة منه »

فاطمأن قلبها لقربها من بيت أبيها ، وبعد قليل أطلوا على القصر، فأسرع الى الباب فطرقه ، وصاح بالبواب : « افتح للدهقانة » ، فدهش البواب ولم يصدق حتى سمع صوتها تناديه . ففتح لهم ، فدخلوا على جيادهم وترجلوا في الحديقة ، ومد صالح يده وأعطى الغلام كيسا وأمره بالرجوع ، فركب أحد الجياد وساق الجوادين الآخرين وراءه ورجع الى مرو

وكان أهل القصر نياما ، فأمرت الدهقانة البواب ألا يوقظ أحدا منهم حتى الصباح . ودخلت وصالح وريحانة معها الى قاعة أبيها ، وهي على مثل الجمر لاستطلاع الخبر . فلما دخلوا قالت : « قل ما وراءك يا صالح ، فقد اقلقت بالي »

قال : «ان الذي ستسمعينه أخطر ، فلا ينبغي لنا أن نبيت هنا، فاسمحي لي أن آمر باعداد الخيول من مرابط أبيك لنبرح القصر مسرعين »

قالت : « افعل » . فأيقظ السياس ، وأمرهم أن يعدوا ثلاثة جياد سهلة القياد. وعاد الى القاعة وجلنار وريحانة في انتظاره على أحر من الجمر ، فلما دخل جلس جاثيا وقال : « اني لما رجعت لاستقدام ريحانة مررت بدار الامارة، فرأيت الناس في هرج ومرج، وعلمت أن أبا مسلم علم بفرارك فأمر بالبحث عنك في غرف الدار وما يجاورها . فاذا لم يجدوك بعثوا من يأمر بوابي المدينة بمنع الناس من المرور الا من عرفوه أو أتاهم بجواز، فهرولت

مسرعا الى قصر صاحبكم الدهقان . وناديت ريحانة وأتيت بها حتى وصلت الى الخان . ثم أمرت صاحب الخان باسراج الجياد ، وذهبت لاستقدامكم فركبنا وجئنا الى هنا »

فأعجبت بدهائه وغيرته ، وقالت : « وما هو الباعث على سرعة خروجنا من هذا القصر ؟ »

قال : «السبب يا سيدتي أن أبا مسلم سيبعث في صباح الغد من يصادر هذا القصر وما فيه ، وقد سمعته يقول ذلك عندما هدد المرحوم أباك بالقتل، فلابد له بعد أن يعلم بفرارك من مرو أن يبحث عنك هنا . وهل في وسعك الوقوف في وجهه وهو صاحب السلطان وليس في قلبه شفقة ولا حنان ؟ »

فعظمت مصيبتها بهذا الخبر ، لأنها كانت تنوي ليأسها أن تأوي الى بيت أبيها فتقيم به وتعيش راضية ، وتتناسى مقتل أبيها بالزواج من أحد الدهاقين . فلما سمعت كلام صالح غصت بريقها ، ولم تتمالك عن البكاء وقالت : « ألا يكفي هذا الظالم قتل أبي وخيانة عهدي حتى يضع يده على أموالنا وضياعنا ؟ »

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء ، وشاركتها ريحانة ، فقال صالح : « ان البكاء لا ينفعنا يا مولاتي ، بل هو يزيد في وقع المصيبة ، وليس حطام الدنيا مما يطمع فيه بعد ذهاب صاحبه . دعي أبا مسلم يفعل ما يريد ، وسوف ينال جزاءه باذن الله . سوف ننتقم منه انتقاما ينسيك كل هذا العذاب »

فارتاحت نفسها الى ذكر الانتقام ، وليس أشفى منه لقلب الموتور ، فقالت : « أتنتقم لي منه ؟ »

قال : « أنتقم لك ولي . ألم يأمر بقتلي ، ولولا المقادير لذهبت مع ابن الكرماني في ساعة واحدة ؟ . ولكن الله أبقاني لأنتقم لك »

فقالت : «ان الأقدار دبرت ذلك رفقا بي، لأني لولاك ما عرفت مصيري . فالآن كيف العمل ؟ »

قال : « ينبغي لنا قبل كل شيء أن نحمل ما في هذا القصر من خفيف الحمل وغالي الثمن . فاعهدي الى في ذلك وعلى تدبيره »

فالتفتت جلنار الى ريحانة وقالت : « ريحانة تعرف كل شيء »

فقال لها : « اذهبي وأتيني بالنقود والحلي »

فنهضت ريحانة ، فقالت لها جلنار : «لا تتركي شيئا من الحلي ولا النقود ولا تنسي ثيابي . واختاري منها أحسنها وأمري الخازن أن يعطيك مفتاح خزانة أبي لعله أبقى فيها شيئا لم يحمله الى ذلك الخائن »

فقالت ريحانة : « ان هذه الأموال تحتاج الى دابة أو دابتين لحملها »

قالت : « مري السياس أن يعدوا بغلين مع الدواب التي يعدونها

فخرجت ريحانة وظل صالح مع جلنار ، فقال لها : «أريد منك يا مولاتي أن تتخلقي بأخلاق الرجال وتخلعي عنك ضعف النساء ، فاننا مقبلون على عمل عظيم يقتضي الصبر والدهاء ، فاذا كنت لا تصبرين على التعب أو لا تريدين الانتقام فقولي الآن ولا تحملي نفسك مشقة الاسفار »

فقالت : « وكيف لا أرغب في الانتقام من رجل سلبني أهلي ومالي وأخرجني من بيت أبي طريدة شريدة ، وخان عهدي وهددني بالقتل ؟ فاذا كنت أنت تريد الانتقام لأنه أراد قتلك فكيف بي أنا ؟ • ولا تحسب خيانة العهد أخف وقعا على نفسي من اليتم • ولا لوم علي اذا أردت قتله وأنا فتاة ، فهو الذي علمني قتل الرجال ، وأنت تعلم كم ترددت يوم اقترح علينا قتل ابن الكرماني،وكم أعظمت تلك الجريمة ثم ارتكبتها التماسا لقربه وتضحية لحبه ، فكافأني بالخيانة والغدر ، فلا غرو اذا انقلبت عاقبة سعيه عليه »

قال : « اذا كنت مصممة على هذا فأنا طوع مشيئتك • وأما الآن فلابد لنا من وضع الخطة للبدء في العمل ، لأننا لا نقدر على هذا الرجل بالسيف وهو صاحب القوة ، ولا نقدر عليه بالدهاء وهو أدهى الناس »

فأحست جلنار بقصر باعها في هذا الشأن وبان الارتباك في وجهها ، فابتسم صالح وقال : « لا تقنطي يا مولاتي،ولا تظني أني أسألك لعجزي عن الوسيلة ، ولكنني أستطلع رأيك »

قالت : « كيف أعرف الوسائل وأنا لم أخرج من بيت أبي قبل ذلك ، فدبر أنت ما تراه وأنا معك »

قال : « ذلك ما كنت أرجوه من تعقلك وحزمك • فاعلمي يا مولاتي أننا لا نقدر على الكيد لأبي مسلم الا في الشام عند الأمويين ، فهم أعداؤه الألداء وهم الذين ينتقمون لنا منه »

قالت : «وكيف ينتقمون لنا ؟ هل يجردون جيشا لقتاله دفاعا عنا،وهب أنهم يفعلون فهل تراهم يفلحون والرجل محصن في مرو ؟ »

قال : « لا أعني أن يجردوا جيشا لحربه ، لأنهم كما قلت لا يفعلون ذلك من أجلنا ، واذا فعلوه لا يفلحون•ولكنني أهديهم الى جذر الشجرة ليقطعوه فتسقط الشجرة »

فلم تفهم جلنار مراده فقالت « وأي شجرة تعني ؟ »

قال : « أعني صاحب هذه الدعوة الذي قام أبو مسلم وأصحابه يدعون الناس اليها باسمه »

قالت : « أظنك تعني ابراهيم الامام ؟ »

قال « اياه أعني »

قالت : « وكيف تتوصل الى ذلك الجذر وأين هو ؟ »

قال : « هو في الشام في مكان لا يعرفه الا القليلون »

قالت : « وهل تعرفه ؟ وأين هو ؟ »

قال : « انه في الحميمة في أرض البلقاء بالشام »

قالت : « وما الذي جاء به الى هناك ؟ »

فقال : « لا يتسع الوقت لسرد حكايته بالتطويل فأختصرها لك ، وهي أنه لما مات النبي لم يوص بالخلافة لأحد فاختلف أصحابه عليها . وكانوا فئتين : المهاجرين الذين هاجروا معه من مكة الى المدينة فرارا من ظلم أهلها، والأنصار الذين نصروه لما جاء المدينة . وبعد خلاف شديد أجمعوا على أن المهاجرين أولى بالخلافة فتولاها واحد منهم ثم الثاني والثالث، شورى بينهم، ولم يكونوا يعرفون توريث الملك كما يفعل الفرس . ولكن أهل النبي الأقربين كانوا يرون التوريث ويعدون خروج الخلافة من أيديهم حيفا وظلما. وأقرب الأقربين من النبي عمه العباس وابن عمه علي بن أبي طالب . فبعد الخلفاء الثلاثة تولاها علي ابن عمه لكنها لم تبق في ولده ، فأخذها منهم بنو أمية بالدهاء والعصبية، وتوارثوها نحو مائة سنة، حتى مروان بن محمد الذي يحاربه أبو مسلم الآن . وكان أولاد علي وأولاد العباس في هذه الفترة يسعون الى استرجاع الخلافة ، وهم أهل البيت وكل منهم يطلبها لنفسه . وآل علي فئتان احداهما نسل ولده من فاطمة بنت النبي ، والأخرى نسل ابنه من أخرى واسمه محمد بن الحنفية . وكان كل من هؤلاء يطلبها لنفسه أيضا . فاتفق أن هاشم بن محمد بن الحنفية جاء دمشق وافدا على سليمان بن عبد الملك الأموي ، فرأى سليمان منه فصاحة وقوة فخافه وأوعز بدس السم له في اللبن ، فلما أحس هاشم قرب أجله وهو راجع الى المدينة خشي أن يموت قبل أن يعهد في أمر الخلافة لأحد من أهله ، ولم يكن أحد منهم معه ، فعرج على بلد في البلقاء يقال لها الحميمة كان بنو العباس يقيمون بها ويدعون الناس الى بيعتهم سرا . وكان صاحب دعوتهم يومئذ محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، فنزل عنده هاشم وأوصى اليه . وكان معه جماعة من شيعته أنزلهم عنده وأوصاه بهم ، ولما مات هاشم أخذ محمد في بث الدعاة ، ثم مات هو أيضا وخلف أولادا كثيرين منهم الامام ابراهيم ، فقام بعد أبيه بالأمر واستكثر من بث الدعاة الى الأطراف ولاسيما خراسان، لأن الشيعة كانوا أشد وثوقا بأهل خراسان »

فسألته جلنار قائلة : « ولماذا لم يسعوا في غير هذه البلاد ؟ »

قال : «لأن هوى أهل الشام ومصر مع بني أمية ، وفيهما أهل الدولة. أما الحجاز فأهله قليلون لا يستطيعون القيام بالدعوة . وأما أهل البصرة والكوفة فكان أهل البيت لا يأمنون جانبهم لأنهم خانوهم غير مرة . وهذا فضلا عن أن الخراسانيين ناقمون على بني أمية لاحتقارهم اياهم ولعسفهم فيهم

كما تعلمين ، فرأوا منهم أذنا صاغية • وكان أهل خراسان من قبل يبايعون لآل علي ضد بني أمية ، فوفق ابراهيم الامام الى أبي مسلم هذا وبعثه قائدا لدعاته ونقبائه ، فتمكن بدهائه وبأسه وقسوته من فتح مرو كما رأيت ، وهو يتظاهر بالمبايعة لأهل البيت على التعميم ، فالناس يبايعون الآن لابراهيم الامام باسم أهل بيت النبي على أن يتناوبها العباسيون والعلويون• ولكنني أرى العباسيين يعتزمون أن يستأثروا بالأمر لأنفسهم ، فابراهيم الامام هو مركز الدائرة التي تدور عليها هذه الدعوة وهو مقيم بالحميمة ، ولا يعلم به مروان بن محمد صاحب دولة أمية • فالذي أراه أن نسعى في كشف هذا السر لمروان فيبعث من يقبض عليه ، ومتى حبسه أو قتله ذهبت مساعي أبي مسلم هدرا فيشتد أمر بني أمية . وهذا أشد انتقام نستطيعه»

فارتاحت جلنار الى رأيه ، وقالت : « هذا هو الصواب »

قال : « لابد لنا من مغادرة هذا المكان سريعا بما خف حمله وغلا ثمنه ، ثم نسافر الى العراق فالشام ونسعى في الأمر »

فقالت : « لمن نترك هذا القصر وهذه الحدائق ؟ »

قال : « نتركها لذلك الظالم صاحب السلطان الآن•وهو يطلب حياتنا ، فاذا نجونا بها غلبناه ، ولا يغنيه البنيان ولا الأشجار شيئا عما سندبره لهلاكه باذن الله »

□

وفيما هما في الحديث جاءت ريحانة مسرعة تقول : « قد أعددت ما يلزم وجمعت الحلي والنقود والثياب ، وهي كثيرة تحتاج الى عدة بغال لحملها ، وأوصيت السائس أن يعد الجياد والبغال »

فقال صالح لجلنار : « هلم بنا يا مولاتي »

فنهضت وخرجت من القاعة وأطلت على الحديقة ، فسمعت صهيل الجياد ورأت البغال وعليها الأحمال ، فذكرت أنها خارجة من البيت الذي ولدت فيه وربيت بين أشجاره وجدرانه في عز ونعيم وحولها الجواري والخدم ، ورأت كيف تخرج منه هاربة الى ديار غربة لم تطأها قدماها من قبل ، سعيا الى أمر خطير يقصر عنه كبار الرجال ، فغلب عليها ضعف النساء فدمعت عيناها • وكان صالح يراقبها ويخاف ضعفها ، فلما لحظ ذلك فيها ابتدرها قائلا : « لابد لنا من الاسراع قبل أن يدركنا ذلك الظالم برجاله ويقبض علينا جميعا فينال منا مرامه وتذهب مساعينا أدراج الرياح ، فاختاري من خدمك اثنين أو ثلاثة تثقين بهم يكونون معنا لخدمتك »

فلما سمعت قوله ، قنعت بالنجاة والتفتت الى ريحانة وقالت : « من ترين أن نصطحب من الخدم الأمناء ؟ »

قالت : « نصطحب سعيدا الصقلبى ، فانه أمين ذكى فيكون فى خدمتك خاصة ، ونأخذ معنا أبا العينين ، لأن أصله من العراق ويعرف عادات البلاد وطرقها فيكون لنا عونا ودليلا ، واذا شئت خادما ثالثا فسليمان الحلبى لا بأس به لأن أصله من الشام »

فاستحسنت جلنار رأيها وقالت لها : « ابعثى اليهم الساعة »

فمضت ريحانة فى مهمتها هذه ، ووقفت جلنار فى انتظارها تفكر فى أمرها وفى مصير القصر وأهله ، قائلة لنفسها : «ان أهل هذا القصر سعداء لأنهم لم يعلموا بما أصاب مولاهم ولا بما يهددهم من الخطر فى الغد ! » • ثم نظرت الى صالح وقالت له : « أنترك أهل هذا القصر مهددين فى خطر القتل والأسر ولا نحذرهم ؟ »

قال : « لابد من ذلك ، ولكن بعد خروجنا ونجاتنا بما معنا »

ثم جاءت ريحانة ومعها الخدم الثلاثة • وكان سعيد الصقلبى من أسرى الأندلس لما فتحها موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ • وقد أخذ يومئذ وهو فى الخامسة من عمره ، فكان من نصيب أحد الجند، وباعه هذا الى أحدالنخاسين الذين يتجرون بالرقيق الأبيض ، فألحقه بمن عنده من الخصيان وسماه سعيدا ، ثم اشتراه منه دهقان مرو ، وعاش فى قصره زمنا طويلا يتكلم بالعربية والفارسية ، ناسيا لغة بلده • وسموه صقلبيا لبياضه ، وكان طويل القامة والساقين ، قليل شعر الوجه ، صغير العينين ، صوته كصوت النساء • وأما أبو العينين فلقب بذلك لكبر عينيه وجحوظهما ، وأصله من أنباط العراق ، دخل فى خدمة الدهقان من صغره • وانقطع اليه • وأما سليمان الحلبى فأصله رومى ، وقد وقع أسيرا فى احدى المعارك بين الروم والعرب ، وبيع على العادة الجارية فى تلك الأيام ، وظل يتنقل من سيد الى سيد حتى دخل فى حوزة الدهقان • فأعجب هذا بحسن خلقه ، ورأى فيه مروءة فأعتقه وخيره بين البقاء عنده أو الذهاب الى بلده ، فآثر المكوث عنده لأنه ألف المكان ولم يعد يعرف مصير أهله

وأخذ الثلاثة يستعدون للرحيل وهم لا يعرفون الغرض منه • وكان الفجر قد دنا فأشار صالح بالركوب ، فركبوا وهو فى مقدمتهم ، بعد أن ذكر لبواب القصر وبقية الخدم أنه عائد اليهم بعد قليل ، فصدقوا ذلك لأنهم لم يعلموا بمقتل دهقانهم ، ولا بما ينويه أبو مسلم من الفتك بهم

وبدأ الركب سيره بعد الفجر بقليل ، فلما بعدوا من المحلة أوقفهم صالح وأخبرهم أنهم ذاهبون فى خدمة الدهقانة جلنار الى الحج ، وأن ذهابها لا ينبغى أن يعلم به أحد،فاذا سئلوا عن المكان الذى جاءوا منه فليذكروا أنهم من مدينة بلخ ، خرجوا يريدون اللحاق بقافلة سبقتهم منذ يومين قاصدة بيت الله الحرام • وأوصاهم بألا يذكروا اسم الدهقانة ولا الدهقان

لأسباب سيطلعهم عليها بعد قليل . ثم تقدم الى الدهقانة ، وقال لها : « سأرجع الى القصر لأخبر من فيه بالواقع ، فابعثي معي رجلا من أتباعك يؤيد قولي . وامكثوا هنا حتى نعود »

فأمرت سعيدا الصقلبي أن يرافقه، فسار معه طوعا لأمرها وهو لا يفهم القصد من ذلك.ولكن صالحا أسر اليه حقيقة الأمر وأوصاه بأن يساعده في اداء تلك المهمة ، فلما بلغا القصر ، رأيا أهله في مرج وقد استيقظوا من رقادهم وعلموا بمسير مولاتهم ، فدعا صالح قيم الدار وأخبره على انفراد بمقتل الدهقان وان أبا مسلم سيرسل من يستولى على القصر وما فيه،وطلب اليه أن يتدبر الأمر على أساس أن الدهقان أعتق عبيده وجواريه جميعا وأن القصر صار ملكا حلالا لهم

وسأله القيم عن الدهقانة ، فأجابه بقوله : « انها انتقلت الى بعض أهلها في نيسابور ، وقد أرسلتني لأبشركم بالعتق والحرية ، وبأن لكم كل ما في القصر ، وهذا سعيد يؤيد قولي »

وأمن سعيد على قوله مؤكدا ان الدهقانة أوصته بهم خيرا ، وأنه بعد أن يعاونهم على تدبير أمرهم سيوافيها الى نيسابور بعد بضعة أيام

وعاد صالح وسعيد الى الدهقانة ومن معها،وجدوا في السير حتى انتصف النهار وقد بعدوا عن مرو ، فحطوا رحالهم للاستراحة ، ونصبوا خيامهم بجانب عين ماء في ظل الأشجار . ثم دخل صالح على جلنار في خيمتها وعندها ريحانة وقال لها : « ينبغى أن نطلع خاصة خدمك على الأمر،ونكتمه عن الآخرين من السياس وأمثالهم »

فقالت : « افعل ما تراه ، فاني ما زلت أحسبنى في حلم من هول ما رأيته بالأمس ، كما انى لم أذق طعم النوم »

قال : « نحن هنا في مأمن ، فنامي واستريحى لأن سفرنا طويل . وسأدبر أنا الأمر الآخر »

قالت : « وأى أمر تعنى ؟ » . قال : « أتظنين صالحا يغفل عن فرصة تسنح له فلا يغتنمها ؟. سأدبر حيلة ألقى بها الشقاق بين أبي مسلم ونقبائه ! »

قالت : « وكيف ذلك ؟ وأي النقباء تعني ؟ »

قال : « أتعرفين سليمان بن كثير ؟ »

قالت : « أنت أخبرتنى بأنه كبير النقباء وأنه قديم في تلك الدعوة »

قال : « هو أقدم من أبي مسلم فيها ، ولكنه كان يدعو أهل خراسان الى بيعة أبناء على بن طالب ، فلما توفى صاحب الدعوة العلوية ، وآلت بعدذلك الى الامام ابراهيم ، اختار أبا مسلم رئيسا للنقباء وفي مقدمتهم سليمان بن

كثير ، وهذا كما تعلمين شيخ وقور ، فشق عليه أن يكون مرؤوسا لشاب ناشيء كأبي مسلم ولم يقبل أن يكون تحت قيادته الا مرغما • على أن أبا مسلم ما لبث أن حول الدعوة فجعلها لآل النبي عامة من العباسيين والعلويين • والذي أراه أنه فعل ذلك تمهيدا لنقل الدعوة الى آل العباس وحدهم • واني أعلم أن سليمان بن كثير لا يريد ذلك بل يؤثر بقاء الدعوة لآل علي ، ولهذا أرى أن أكتب الى سليمان أستحثه على البيعة لآل علي • وأبين له غرض أبي مسلم لأهيج الضغائن بين الرجلين ، وهما دعامة الدعوة فاذا اختلفا اختل نظامها »

فاعجبت جلنار بدهائه ، وتجددت قواها وآمالها وقالت : « بورك فيك ، افعل ما تراه »

فنهض وقال لريحانة : « أنت أيضا في حاجة الى النوم ، فاذهبي الى فراشك وأنا ذاهب الى شأني » • قال ذلك ومضى الى حيث انتحى ناحية ، وكتب كتابا هذا نصه :

« من دهقان يخاف أن يذكر اسمه الى سليمان بن كثير

« أما بعد فانك جئتنا منذ بضع سنين تدعونا الى بيعة أهل النبي ، لأنهم أقرب للتقوى والعدل ، فأطعنا وبايعناك لننجو من ظلم بني أمية لأنهم يرهقوننا بخراجهم ويسيئون الينا ، وكنا نرجو أن تكون نجاتنا على يدك وأنت شيخ عاقل حكيم • ثم ما لبثنا أن رأيناك وجميع النقباء في قبضة غلام لا يعرف له أصل ، وقد استبد بكم وتطاول عليكم ، وحسبنا أول الأمر ألا ضير من رياسته عليكم ، وانه اختير لها لميزة فيه ، ولكننا وجدناه لا يمتاز الا بسفك الدماء والقسوة وحب الأثرة ، وانه انما يستخدمكم لمطامعه ولا يبالي أن يقتل أيا كان التماسا للسلطان ، فيستخدم الناس لغرضه ثم يقتلهم ، كما فعل بالكرماني ، وكما فعل بدهقان مرو الذي قتله شر قتلة • وهو يزعم أنه يقتل على الشبهة بأمر الامام ، وقد عرفنا الأئمة يحاسبون أنفسهم على حشرة يقتلونها ، فكيف بقتل الناس ؟ بل كيف بقتل كبار المسلمين الذين هم عمد الدعوة وخراسان في قبضتهم • ومن أجل ذلك أصبح دهاقين خراسان وأنا منهم في خوف على حياتهم من ظلم ذلك الغلام • على أن ظلمه لن يلبث أن يشمل النقباء أنفسهم وأنت في مقدمتهم ، فلابد من أن يأتي يومك ، وهو لا يحتاج في تبرير قتلك الى اكثر من الشبهة • والذنب في ذلك ذنبك أنت ، لأنك سبب هذا البلاء ، وقد كنت على رأس النقباء تدعو الناس الى بيعة خليفة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يقتل المسلمين ولا يظلمهم ، فجعلت نفسك عبدا لغلام يزعم أن امامه أمره بقتل الناس على الشبهة • وما أراه الا متلاعبا بكم جميعا ، فهذا هو قد حول البيعة من أبناء علي الى أهل البيت عامة ، تمهيدا لاخراجها من العلويين

وجعلها في بني العباس وحدهم ، وذلك ليستقل بها صاحبه ومولاه الامام ابراهيم ، وتذهب مساعي العلويين ونقبائهم هباء منثورا • فاذا كنتم لا تزالوان وفيكم بقية عقل وحمية،فاستدركوا الأمر قبل استفحاله،وارجعوا البيعة لأصحابها الأتقياء•واعلموا أنكم اذا فعلتم ذلك كان دهاقين خراسان وكل أهل فارس من أنصاركم

« فبادر يا ابن كثير الى استدراك ما فات وأرجع البيعة لأصحابها،وأنقذ المسلمين من أناس يقتلون على الشبهة ، ولا يستثنون • فان لم تفعل فستكون أول من تقع النقمة على رأسه•وهذا انذار لك ولكل النقباء الذين استسلموا لذلك الغلام ، والسلام »

ولما فرغ من كتابة الكتاب ، لفه وجعله في أنبوب من القصب الفارسى ، وحمل الأنبوب بعد أن سده وخرج الى خيمة الخدم ، فلقى سعيدا فى الطريق عائدا من خيمة جلنار ، فناداه وسأله عن الدهقانة ، فلما علم منه أنها ما زالت مستغرقة في النوم ، قال له : « عندى كتاب أريد أن أبعث به الى مرو ، فهل عندك خادم تثق في أمانته لنرسله في هذه المهمة على أن يكتم أمرها ؟ »

فقال : « عندنا سائس أبكم سريع الفهم »

قال : « ان البكم نافع في هذه المهمة ، ولكن الأبكم يكون أصم أيضا ، فكيف نفهمه مرادنا ؟ »

قال : « ان هذا الأبكم غير أصم ، فهو يسمع ولكنه لا يقدر على الكلام »

قال : « وهل امتحنت أمانته ؟ » • قال : « نعم » • ثم أشار الى أحد السياس، فجاء اليهما مهرولا ، وهو قصير القامة أسمر اللون ممتلىء الجسم، ودلائل الصحة بادية في استدارة وجهه وغلظ عنقه واتساع صدره ، وكان جذعه عاريا الى الحقوين فبان الشعر كثيفا على صدره وكتفيه • ولم يكن عليه من الكساء الا سراويل قصيرة تغطى فخذيه الى أعلى الركبة ، فوقف وأشار برأسه اشارة التحية ، فقال له صالح : « أتعرف مرو ؟ » • فأشار برأسه أن « نعم »

قال : « أتعرف أميرا اسمه سليمان بن كثير ؟ » • فأشار بيديه وأصابعه أنه عرفه عندما نزل أبو مسلم على الدهقان

وتحقق صالح من اشارات أخرى أنه يعرف الأمير ، فناوله الأنبوب وقال له : «خذ هذا وامض مسرعا الى مرو ، فاذهب توا الى دار الامارة حيث تجد الأمير هناك فادفعه اليه ولا تجبه بأى شىء • ثم ارجع الينا فتجدنا فى انتظارك هنا أو فى المحطة التالية »

فتناول السائس الانبوب ، وهم بالانصراف ، فاستوقفه صالح وقال : «اختر لنفسك دابة تركبها»•فضحك السائس وأشار الى قدميه الغليظتين ،

وقبض يده بشـدة معبرا بذلك عن قوتهما وعن اعتماده عليهما أكثر مـن أى دابة · فربت صالح كتفه تحببا وثناء ، وقال له : « بورك فيك »·فأشار الرجل برأسه اشارة الوداع ، ومضى آخـذا طريقه الى مرو ، وكأنه نعامة تعدو هربا من مطاردة صياد ، وظل صـالح وسعيد ينظران اليه ويعجبان من سرعته حتى توارى عن أبصارهما·فمضى صالح الى خيمته حيث استلقى، وأخذ يفكر فيما ينبغى له أن يعمل بعد ذاك

▭

رأى صالح أن المكان الذى نزلوا به لا يبعد كثيرا من مرو ، وخيل اليه أن أبا مسلم علم بمكانهم ، فأرسل من يقتفى أثرهم ويقبض عليهم ، ثم ألحاقهم بمن سبقوهم من ضحاياه العديدين · فاعتزم الرحيل من ذلك المكان ،اتقاء لذلك الخطر المحقق اذا هم وقعوا فى قبضة أبى مسلم ، ولكنه رأى تعـذر متابعة السير فى تلك الساعة ، لما تشكوه جلنار من التعب والاجهاد وشدة حاجتها الى النوم ، فعزم على السفر حالما تستيقظ ولو فى منتصف الليل · وبينما هو غارق فى تلك الهواجس ، اذ سمع أجراسا ترن عن بعد ، فاختلج قلبه ونهض مذعورا ، لعلمه أنها أجراس قافلة مارة من هناك · وأصـاخ بسمعه ليتبين وجهة القافلة ، فأدرك أنها قادمة من الشمال · ورجح عنده انها من القوافل التى تتردد بين العراق وخراسان ، فخرج من خيمته لعله يراها عن بعد ، ولكنه لم يستطع لاحتجابها خلف التلال ، فأسرع الى ثيابه وتنكر بلباس حاجب أبى مسلم وقلنسوته ، ثم ذهب الى سعيد وأبى العينين وسليمان ، وأخبرهم بخبر القافلة وانه عازم على تنسم الأخبـار منهـا ، وأوصاهم بأن يكونوا على حذر فلا تبدر منهم كلمة أو اشارة تدل على حالهم· ثم امتطى جوادا مضى به الى مصدر صوت الأجراس·فلما لاحت له القافلة، وجدها تتألف من بعض الجمال،وفى مقدمتها حمار يمتطيه دليل شيخ ، والى جانبى القافلة فرسان مدججون بالسلاح لحراستها ، فعلم أنهم قاصدون أبا مسلم بأموال ومؤونة · فوقف معترضا طريقهم ، وأشـار بيده الى أقرب الفرسان اليه مستقدما ، فلما جاءه الفارس ، صاح به فى لهجة الآمر قائلا: « لماذا هذا التباطؤ فى المسير ؟ »

فلما سمعه الفارس يخاطبه بهذه اللهجة ، ورأى عليه ثياب حجاب أبى مسلم ، ظنه قادما من لدنه لاستعجالهم فقال : « أتعدون مسيرنا بطيئا وقد جئنا من الكوفة الى مرو فى عشرين يوما حاملين هذه الأثقال ؟ »

فقال صالح : « بارك الله فيكم ، ان الأمير متلهف على وصولكم ، خشية أن يقابلكم فى الطريق نصر بن سيار ، ومن فروا معه فى هذه الأودية بعد فتح مرو »

فقال الفارس : « وهل فتحتم مرو ؟ » . قال : « فتحناها منذ بضعة أيام. وأعلام الحق تخفق الآن فوق دار الامارة ، ولو عجلتم قليلا لاشتركتم فى الغنيمة . كيف فارقتم شيعتنا فى الكوفة ؟ »

قال : « تركناهم فى خير ، وستشتد قلوبهم بخبر الفتح ، ولاسيما أبو سلمة »

قال : « وكيف أبو سلمة ؟ »

قال : « هو عمدتنا وذخرنا ، وهذه الأموال كلها من عنده ، فانه لا يدخر وسعا فى سبيل الدعوة »

فتذكر صالح أن أبا سلمة هـذا من كبار الأغنياء ، وأنه بذل ماله فى نصرة الشيعة ، وكان قبل ظهور أبي مسلم ينصر شيعة على أسوة بسليمان ابن كثير،فلما تحولت الدعوة الى العباسيين ورأسها أبو مسلم،أذعن كما أذعن ابن كثير ، وصار يبـذل أمواله فى نصرتهم . ومرت القافلة وهما واقفان يتكلمان ، وصالح ينظر الى الأحمال الكثيرة وفيها صناديق الأموال . فقال للفارس : « واصـلوا السير مسرعين الى مرو ، ولا تقفوا فى هـذه المحطة لتصلوا عند العشاء . أما أنا فسأجعل طريقى الى الكوفة لنبشر شـيعتنا بالفتح »

ثم سار الفارس فى سبيله،وتظاهر صالح بأنه يسير نحو الكوفة ، حتى اذا توارت القافلة عن بصره ، رجع مقتفيا أثرها بحيث يرى أطرافهـا ولا يراه أحـد من أهلها ، فرآها لم تقف عنـد وصولها الى المحطة الا قليلا ثم أقلعت ، فسر بذلك ، ومضى الى خيمته وبدل ثيـابه ، وهو يفكر فى أبى سلمة الخلال والسبيل الى تحويله عن نصرة أبي مسلم ، وفيما هو فى ذلك جاء اليه سعيد الصقلبي مسرعا مضطربا وقال له : «أدرك مولاتى الدهقانة، فانها أفاقت من نومها تبكى وتنتحب ، ولا نعلم ما بها »

فعلم أنها تبكى يتمها وغربتها وقد أخـذت تعى مصابها وتتبين هوله ، فأسرع الى خيمتها ، فلقى ريحانة بالباب تشير اليه أن يسرع.فدخل الخيمة فرأى جلنار جالسة وشعرها مرسل على كتفيها،وقد احمرت عيناهاوتكسرت أهدابها من البكاء ، فلما رأته قالت له : « آه يا صالح ، بل يا ضحاك لأنى هكذا كنت أناديك أيام نعيمى »

فقال : « هونى عليك يا مولاتى ، هل حدث شيء جديد ؟ »

قالت وهي تمسك نفسها عن البكاء : « آه يا صالح ، كنت نائمة فرأيت كأن ذلك القاسى جاءنى وفي يده خنجر ، وهم بقتلى ، فصحت به : (ويلك يا ظالم ، أهذا جزاء المحبة ؟) وعنفته وعاتبته عتابا شـديدا وهو واقف لا يتكلم.وكنت مع شدة غيظى وحنقى أشعر بشيء فى قلبى يجذبنى نحوه، وكأن بين ناظريه وقلبى رباط لا أدرى كنهه ، فقلت له : (لا يغرنك ضعف هذا القلب فانى سأغلبه وأغلبك وأنتقم لأبى شر انتقام) .. »

فقطع صالح كلامها متماجنا وقال : « احذرى أن تذكرى اسمى أو تقولى له انى خادمك فى الانتقام لئلا يرسلنى الى خوارزم » • قال ذلك وضحك

فلم يسع جلنار الا الضحك رغم ما بها ، ثم أمسكت نفسها ونظرت اليه شزرا ، فابتدرها قائلا : « لا ذنب لى فانك ناديتنى باسمى القديم وتمنيت أن أرجع اليه فرجعت ، والضحك على كل حال خير من البكاء • ولم أكن أعهدك تهتمين بأضغاث الأحلام وتستسلمين للضعف النسائى • وقد طلبت اليك منذ أول خطوة خطوناها أن تخلعى هذا الضعف »

قالت : « لا أزال متعبة ، لا أستطيع تفكيرا أو عملا »

قال : « لا أكلفك عملا ، فقد شرعت فى العمل فكتبت كتابا الى سليمان ابن كثير (وذكر فحواه) ، وانما أطلب اليك الصبر »

فشعرت جلنار بثقل أزيح عن صدرها وقالت : « صدقت لا حيلة لى غير الصبر » • ثم مسحت عينيها والتفتت الى ريحانة فرأتها تذرف الدموع بلا بكاء ولا شهيق • فلما رأت مولاتها تنظر اليها تبسمت والدمع ملء عينيها وقالت : « تجلدى يا مولاتى ، ان الفرج قريب باذن الله »

ورأى صالح أن يغير مجرى الحديث فقال لجلنار : « أخبرينى يا مولاتى ، هل تعرفين أبا سلمة الخلال ؟ »

فظلت جلنار صامتة مطرقة كأنها تستوحى ذاكرتها ، ويخيل اليها أنها سمعت بهذا الاسم قبل الآن ، فبادرت ريحانة الى الجواب قائلة : « أظن مولاتى لا تذكره ، ولكننى أعرف هذا الاسم جيدا فانه لرجل فارسى من أثرياء العراق وفارس ، وكان بينه وبين مولاى رحمه الله علاقات قديمة ، وكثيرا ما كان يزوره وينزل فى داره أياما • وكانت مولاتى لا تزال صغيرة»

فابتسم صالح وبدا السرور فى وجهه وقال : « ان الرجل من أكبر دعائم هذه الدعوة ، فهو يؤيدها بماله كما يؤيدها أبو مسلم بسيفه ودهائه • وكان كابن كثير يدعو للعلويين ثم أطاع أبا مسلم فى الدعوة الجديدة مرغما • فاذا استطعنا تحويلهما عن الدعوة ضمنا فشلها وفشل أبى مسلم ، ولاسيما اذا استطعنا القبض على ابراهيم الامام نزيل الحميمة »

فقالت جلنار : « تذكرت أبا سلمة هذا ، وأذكر أنه جاءنا مرة ومعه الهدايا والأحمال وفيها الحلى والجواهر وكان أبى رحمه الله يحبه »

فقالت ريحانة : «وأنا أعرف امرأة من نسائه أصلها من مرو ، بينها وبين أم مولاتى الدهقانة رحمها الله قرابة »

فقال صالح : «لقد هان الأمر الآن ، فأرى أن نحمل مولاتنا الى الكوفة، فتقيم آمنة بمكان نختاره ، ثم أذهب أنا لقضاء المهمة الأولى فى الشام ، وآتيكم الى الكوفة ، وساصطحب الحلبى فقط لأنه يعرف الشام ، والآن لابد لنا من الاسراع فى الرحيل لئلا يكشف أبو مسلم مكاننا فيذهب سعينا عبثا »

مروان بن محمد

كان الأمويون ، قد اتخــذوا دمشق عاصمة للخلافة بعد أن آلت اليهم واغتصبوها من أهل البيت الذين كانوا يتخذون المدينة عاصمة لهم

وكانت دمشق من المدن العظمى التي لها شأن كبير في التاريخ القديم ، فلما جعلها الأمويون عاصمة خلافتهم حدثتهم أنفسهم بأن ينقلوا اليها منبر النبي من المدينة ، ليضيفوا الى عصبيتهم أعظم أثر اســلامي يفاخرهم به أعداؤهم المقيمون بالحجاز • ولكن هــذا لم يتيسر لهم فاكتفوا بالعصبية العربية ، وظلوا يحكمون المسلمين نحو مائة سنة،وامتد سلطانهم الى معظم أنحاء العالم المعمور في ذلك الحين ، وبلغ العرب على عهدهم أسمى درجات العز • والدولة الأموية أقوى دول العرب وأشدها بطشا ، وهي وحدها (بعد الراشدين) الدولة العربية الخالية من شوائب العجمة ، لأن أمراءها عرب، وعمالها عرب ، على أنها بالغت في تعصبها للعرب ، واســتبدت بالفرس وغيرهم ممن دانوا لسلطانها حتى نقموا عليها وأعانوا أهل البيت على حربها لاخراج الأمر من يدها

وكان على عرش الخلافة أيام قصتنا هذه ، مروان بن محمد ، وهو من خير الخلفاء وأكثرهم حمية وحزما وغيرة على الاصــلاح ، ولـكنه جاء وقد تمكن الفساد من جسم الدولة الأموية ، وتسرب الخلل الى كيانها حتى انقسمت على نفسها ، فقام من بني أمية غير واحد يطلب الخلافة لنفسه ، واســتطاع مروان ببســالته وتعقله التغلب عليهم • وكـان الخلفاء الذين تقدموه قد انغمسوا في الترف واللهو ، فلما تولى مروان الخلافة ورأى ما هي عليه من الوهن ، حزم أمره وحرم الخمر واللهو في مجالسه ، وعكف على تدبير شؤون الدولة ، ولكن هذا كله لم يجده شيئا ، لأن الدعوة العباســية كانت قد استفحلت في أيامه ورسخت أقدامها في خراسان، وانتشر دعاتها في أنحاء فارس والعراق • فارتبك وبذل جهده في دفع أعدائه

وكانت ثقته عظيمة بنصر بن سيار ، لأنه شيخ جليل حنكته الأيام ، وفي طبعه ميل الى الاصلاح • فألقى اليه مقاليد خراسان وأوصاه بحمايتها وحفظهــا من الشيعة ، ولم يدر بخلده الخوف عليهــا لعلمه بقلة الشــيعة وتسترهم،حتى جاءه النذير بسقوط مرو ، وفرار نصر بن سيار منهابأهله

وأولاده . فسقط في يده وأيقن بخروج خراسان وما وراءها من سلطانه . وأصبح يخشى ضياع الملك كله

وكان مروان قد أدرك الثالثة والستين من عمره . وأمه كرديه ، وذلك نادر بين الخلفاء الأمويين لمحافظتهم على العصبية العربية ، خلافاً لما صارت اليه الحال في أيام بني العباس فيما بعد . فان معظم خلفائهم من الهجناء . أي من آباء عرب وأمهات غير عربيات . وكان مروان قوى الجسم ربع القامة . أبيض اللون ، شديد الشهلة . ضخم الهامة . كث اللحية أبيضها . فأخذ يجمع رجاله وقواده ويشاورهم فيما صارت اليه الدولة من الاضطراب. وقد أخذ في اعداد الجنود وهم بأن ينهض بنفسه . لأنه رأى من الحزم ألا يثق بأحد من رجاله في مثل تلك الحال . فكان يقضي نهاره متشاورا ومعظم ليله مفكرا . وربما قضى الليل كله ساهرا يخطر في غرفته

فاتفق في احدى الليالي وهو ساهر يفكر فيما جاءه من انباء تفاقم أمر الشيعة أن جاءه الحاجب مهرولا ، فظنه قادما يصحب رسولا أو يحمل رسالة ، وكان من عادتهم ألا يردوا عن باب الخليفة صاحب خبر ولو جاء في نصف الليل أو بعده . فصاح فيه مروان : « ما وراءك ؟ » .

قال : « ان بالباب رجلا غريب الأطوار يسأل المثول بين يدى أمير المؤمنين »

قال : « لعله صاحب خبر أو رسول ، من هو ؟ »

قال : « لا أدرى ، ولما أردت تأجيل أمره الى الغد قال ان ما جاء في شأنه لا يجوز تأجيله لحظة واحدة » . قال : « ادخله »

وكان مروان جالسا على سريره فنهض والتف بالعباءة وأخذ يمشي ، وظله يتنقل شمالا أو يمينا حسب موقعه من الضوء القائم في جانب الغرفة . ولم تمض لحظات قليلة حتى عاد الحاجب ومعه رجل طويل القامة حاسر الرأس ، تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبد من الوسخ والاهمال، وعليه قميص يكسوه الى الركبة ، وهو حافي القدمين عارى الساقين والزندين ، والقذارة ظاهرة على يديه وأنامله وفي وجهه ولحيته وعلى قميصه وعلى كل شيء فيه ، مع بله ظاهر في نظراته وحركاته

فلما رآه مروان ابتدره بالسؤال عما يريد ، فأجاب بقوله : « ألا تدعوني الى الجلوس ؟ كأنك تخاف على الطنافس من جلدى ، أم غرك ما رأيته من زهدى ؟ ان أولياء الله لا يلبسون الحرير والديباج ولا يهتمون بالطيب »

فلما سمع مروان كلامه هابه . ولم يكن يعتقد بالولاية لأنه كان قد أخذ عن الجعد بن أدهم مذهبه في خلق القرآن والقدر ، ولكن شدة افتقار المرء الى الشيء ورغبته في نيله تسهلان عليه تصديق المستحيل . ومروان في حاجة الى من يشير عليه أو يرشده الى الصواب ، فتحمل جرأة الرجل ورحب به وأمره بالجلوس ، فجلس على طنفسة ، وجلس مروان على وسادة تجاهه

وأصاخ بسمعه ، فأخذ الرجل يتمتم بكلام غير مفهوم، ثم مسح وجهه بيديه واعتدل فى مجلسه وقال : «اعلم يا مروان اني جئتك برسالة منءالم الغيب أتتنى فى الحلم ، وقد أوصانى صاحب الرؤيا أن أبادر بابلاغها اليك وأوصيك بوصية ، فهل أنت على استعداد لسماع ما أقول ؟ » : قال : «نعم قل » . فقال الرجل : « بدأت رؤياى بصوت أيقظني واذا برجل ينادى (الحميمة .. الحميمة .. الحميمة) . فقلت : (وما الحميمة ؟) : قال . (فى الحميمة أصل الشر ورأس العداوة) . فقلت : (وأى عداوة ؟) . فزجرنى وقال : (اذهب الى امامكم مروان بن محمد ، وقل له ان عدوه الأكبر ابراهيم في الحميمة ، وهو أصل متاعبه،فاذا قبض عليه وقتله فقد قطعرأس الحية) . وأحببت أن أستزيد صاحب الصوت ، ولكني استيقظت ، فلم يسعنى الا المبادرة اليك - وها قد بلغت رسالتي ، وسأعود الى مغارتي » . قال ذلك وهم بالنهوض ، فأقعده مروان وسأله رأيه فى هذه الرؤيا فقال : « نحن لا نفسر الرؤيا ، وانما ننقلها كما أتتنا ، فعليك الآن أن تسأل عن الحميمة، فاذا كانت قرية فابعث من يبحث فيها عن رجل اسمه ابراهيم »

وكان مروان قد أدرك أن ابراهيم المقصود هو ابراهيم الامام صاحب الدعوة العباسية ، ولم يكن يعرف مقره ، فصدق رؤيا الرجل لأنها وافقت هواه – والانسان وان أنكر السحر وكذب أقوال السحرة اذا رأى فى أقوال أحدهم قولا يوافق ما فىنفسه مال الى تصديقه – ثم تذكر مروان انه يعرف بلدة بالبلقاء اسمها الحميمة ، فعزم على ارسال الجند اليها للبحث فيها عن ابراهيم الامام والقبض عليه . ولاحظ أن الشيخ ما زال متحفزا للخروج فقال له : « امكث يا شيخ عندنا على الرحب والسعة »

فقال وهو ينفض يديه : « أعوذ بالله ! أتريد يا مروان أن تحجب عنى وجه الخالق وتفصل بيني وبين أهل الغيب ؟ »

فقال مروان : « أخبرنى اذن ما اسمك وأين مقامك حتى أبعث اليك عند الحاجة »

قال : « لا أقدر على ذلك الآن ، ولا حاجة لك الى ، فانى انما أبلغك ما أراه فىالرؤيا أو أسمعه من الهاتف ، ولا جواب عندى على ما قد تسأله. فاذا شئت أن تنتفع بى ، فدعنى أنصرف الى مغارتى . واذا أتتنى رؤيا أخرى ، أو وجدت مكانا للقول فانى آتيك على عجل . وكل ما أطلبه أن تامر حاجبك ألا يمنع بابك عنى ، وألا تطلع أحدا على أمرى »

فرأى مروان فى كلام الرجل قوة ، وكان يود استبقاءه.فلما سمع قوله لم يشأ أن يخالفه ، فقال له : « اصبر اذن لنأمر لك بالجائزة »

فقال : « اننا لا نأكل طعامكم ، ولا نشرب شرابكم ، ولا نمس أموالكم . فهكذا أمرنا ، فاطلق سراحي يا مروان أو اقتلنى فانى بين يديك ، ولا أرى

سببا لتأخيري سوى أنك تريد نفسي ، فخذها »

فاستغرب مروان غضبه بلا سبب وقال في نفسه : « لعلها أخلاق أمثاله من أهل الصلاح » . ثم أخذ يلاطفه ليخفف من غضبه ويسترضيه فقال له : «افعل ما بدا لك ، واذا شئت فانى أرسل معك من يوصلك الى حيث تقصد»

فقال والغضب باد في وجهه وفي صوته : « أريد منك يا ابن الكردية أن تطلق سراحي قبل أن تزهق روحي »

فحمل مروان قوله هذا أيضا على أنه من عادة النساك لاعتزالهم الناس وانقطاعهم للعبادة آناء الليل وأطراف النهار في مغارات لا يرون فيها أنيسا ولا يعاشرون غير الحشرات ، فقال له : « سر في حراسة الله ، واعلم أن بابنا لا يغلق دونك ليلا ولا نهارا » . ثم أمر الحاجب أن يخلي سبيله وأوصاه بألا يذكر خبره لأحد . فخرج مهرولا بخطى واسعة ، وعاد مروان الى حجرته وقد شغل بما سمعه من الناسك . وما لبث أن بعث في طلب بعض خاصته وأهل ثقته ، فلما جاءوه قال لهم : « لقد رأيت رؤيا دلتني على مكان الامام ابراهيم » . فقالوا : « وأين هو مقيم ؟ » . قال : « في الحميمة بالبلقاء بين بعض الشيعة هناك » . ثم استشارهم في أن يبعث الى هناك بمن يقبضون عليه ، فوافقوا على هذا الرأي

وكتب مروان الى عامله في البلقاء بأن يتوجه الى الحميمة ، ويبحث فيها عن رجل من العباسيين اسمه ابراهيم ، وذكر له أوصافه . ثم يقبض عليه ويأتي به اليه

□

كان الناسك ، أو صالح ، أو الضحاك ، قد أوصل جلنار ومن معها الى الكوفة ، وسأل عن منزل أبي سلمة الخلال فعلم أن له معسكرا خاصا في محلة « حمام أعين » خارج الكوفة يقيم به ومعه حاشيته ورجال بطانته ، كأنه في دولة قائمة بنفسها ، وأهل الكوفة يرعون حرمته ويخشونه ولاسيما بعد قيامه بالدعوة العلوية ، وبذله الأموال الطائلة في سبيلها، ثم استمراره في البذل لنصرة الدعوة بعد أن صارت للعباسيين وقام بها أبو مسلم

وكان أبو سلمة يتوقع فشل أبي مسلم في الدعوة لابراهيم الامام ، ليعود هو الى الدعوة العلوية ، وقد مهدت لها الاسباب . على أن تظاهره بالدعوة لبني العباس خوفا من بطش أبي مسلم به ، لم يكن يمنعه من بغض كبار قوادها وبعض الشيعة من أهل الكوفة . وكان هؤلاء يتملقونه ليستدروا أمواله ويستعينوا بها على نجاح الدعوة

فلما وصل صالح بمن معه الى الكوفة ، وعلم أن أبا سلمة معسكر في « حمام أعين » قصد بهم محلته . فحطوا رحالهم ونصبوا خيامهم خارجها

للاستراحة ، وذهب هو وريحانة حتى أتيا المعسكر فطلبا مقابلة أبي سلمة. فادخلوهما الى فسطاط كبير مبطن بالحرير الأحمر ، وببابه الحراس، ودلائل الثروة ظاهرة على رياشه وأساطينه . وكان صالح بلباس أهل خراسان ، فرحب به أبو مسلم وسأله عن غرضه ، فقال : « اذا أذن مولاى فان معى جارية أرجو أن يسمح لها بالدخول »

فأذن أبو سلمة في دخول ريحانة ، فدخلت وقد غطت وجهها بالخمار على عادة النساء ، ووقفت متأدبة فدعاها الى الجلوس فقالت : « ألا يذكر مولاى أنه رأى هذا الوجه ؟ » . وكشفت عن وجهها

فلما وقع نظره عليها تذكرها وقال : « ريحانة ؟ » . قالت : « نعم يا مولاى »

قال : « وأين مولاك الدهقان ؟ هل تركته ؟ »

فقالت بصوت مختنق : « لا يا سيدى بل هو الذى تركنا » . ولم تستطع أن تمسك عن البكاء

فلم يستغرب أبو سلمة بكاءها لظنه أن مولاها طردها، فقال لها : «وكيف تركك ؟ » . فلم تجبه واستمرت في البكاء . وتصدى صالح للاجابة فقال : « اذا أراد مولاى أن نقص عليه الخبر ، فليأمر بأن تذهب جاريته الى دار النساء ، ويأذن أيضا فى ذهاب الدهقانة جلنار ابنة صديقه دهقان مرو معها ، لأنها مقيمة خارج هذا المعسكر ! »

فدهش أبو سلمة وقال : « جلنار أيضا هنا ؟ وأين أبوها ؟ »

قال : « اذا أمرت بدخولها دار النساء قصصت عليك خبرها »

قال : « لتدخل حالا ، فان شيرين زوجتى ستسر برؤيتها »

ثم نهض وأخذ صالحا معه الى دار مجاورة خاصة بحريمه ، فأدخل ريحانة وقال لصالح : « أرسل بعض الخدم ليأتوا بجلنار » . فشكره وذهب هو الى جلنار فجاء بها الى الدار ، فاستقبلتها الجوارى وذهبن بها الى خالتها ، فلما رأتها شيرين ألقت نفسها عليها وجعلت تقبلها وترحب بها لأنها كانت تحبها كأولادها ، فهاجت تلك القبلات ذكرياتها عن موت أبيها وفرارها ، فغلب عليها البكاء ولم تقو على مغالبته . وجاءت ريحانة فأخذت تخفف عنها بعبارات استدلت شيرين منها على وقوع الفتاة فى مصيبة، فأجلستها بجانبها وجعلت تمسح دموعها وتقبلها

ودخل أبو سلمة دار النساء فرأى جلنار على تلك الحال ، وقد توردت وجنتاها واحمرت عيناها وتكسرت أهدابهما ، فنادى ريحانة ، فاتته أيضا وهى تبكى ، فسألها عن سبب هذا البكاء فقالت : «ستسمع ذلك من صالح، ولولاه لكنا فى عداد الأموات »

فرجع أبو سلمة الى صالح وعلامات التأثر بادية في وجهه ، فأدرك صالح

ان قد آن الوقت لاطلاعه على الأمر ، فقال : « انها تبكى أباها الدهقان »
قال : « وما الذى أصابه ؟ » • قال : « قتلوه »
قال : « ومن قتله ؟ » • قال وهو يتظاهر بالتهيب : « قتله •• قتله •• قائد رجال دعوتكم ! »
قال : « أبو مسلم ؟ » • قال : « نعم يا سيدى »
فهز أبو سلمة رأسه أسفا وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله • ولماذا قتله؟»
قال : « قتله لأنه بذل كل ما فى وسعه لنصرته ! »
فضحك أبو سلمة ضحكة يمازجها غضب شـديد وقال : « كيف يقتله لهذا السبب ؟ قل الحق »
قال : « هذا هو الحق وحياة رأسك ، انه كان يعطيه الأموال بالبدر،وقد أوعز الى سائر دهاقين خراسان أن يناصروه بالمال والرجال ! »
فقال أبو سلمة : « هذا غير معقول » • فاعتدل صالح فى مجلسه ، وقال : « وهل يستغرب ذلك من رجل يقتل على الشبهة ؟ • ألم تسمع بوصية الامام ابراهيم ؟ »
فأمسك أبو سلمة لحيته بيده ، وقال : «انا لله وانا اليه راجعون» • وبدا كأن فى خاطره شيئا يخاف اظهاره • فتظاهر صالح بالبكاء والحزن ، وقال بصـوت ضعيف : « ان كل ذنب الدهقان أنه تفانى فى نصرة الدعوة لامام يوصى بالقتل على الشبهة،وكان عهدنا بالأئمة أنهم لا يقدمون على قتل نملة بغير حق ! »
فلم يتمالك أبو سلمة أن قال : « أولئك أئمة الهـدى أبناء بنت النبى ، وابناء الامام على كرم الله وجهه » • وأطرق
فاغتنم صالح الفرصة وقال : « فلماذا حولتم الدعوة اذن الى هؤلاء وأنتم أصحاب الأمر ؟ • أم الدعوة لا تزال لأبناء الامام على وانما تظهرون البيعة لابراهيم لغرض لا نعلمه ؟ »
فسكت أبو سلمة ولم يجبه ، فعاد صـالح يقول : « يلوح لى أن أولئك الناس داهنوك وخدعوك طمعا فى أموالك • وأنا أعلم يقينا أنك غير راض بامامهم هذا ، ولكنك لا ترى أن تفسد عليهم أمرهم بالجهر بما فى نفسك عليهم »
فلم يعد أبو سلمة يستطيع كبت ما فى نفسه وقال : «كلا ، ولكننى أعلم اننى لو قلت ما فى نفسى لم أجد من ينصرني • ولا أدرى كيف تغيروا جميعا وقبلوا الدعوة لامام يوصى بمثل تلك الوصية ؟ »
ففرح صالح بهذا التصريح وقال : « وماذا عسى أن يكون من أمر هـذا الامام وهو كأحد الناس ، وأنتم الذين أنزلتموه هـذه المنزلة ، وجعتم له

قلوب أهل فارس وخراسان ؟ »

وكان أبو سلمة جالسا يسمع كلام صالح ، فلما سمع قوله هذا ،هب من مجلسه فجأة ، وجعل يخطر في الغــرفة ذهابا وايابا ومطرفه يجر وراءه ، وصالح يراقب حركاته ، ثم وقف أبو سلمة أمام صالح وقال : « قد جمعنا له قلوب أهل خراسان وفارس ، ومكناه من سيوفهم وأيديهم وألسنتهم ، فأصبح صاحب الأمر والنهي ولا حيلة لنا الآن »

فقال صالح :« الحيلة سهلة يا مولاى »

فضحك مستهزئا وقال : « كيف تستسهل ما لا سبيل اليه ، ان مئات الألوف من الفرس وغيرهم يدعون له الآن ، فكيف نستطيع تغيير قلوبهم؟»

قال : « ما قولك في قطع الشجرة من جذرها وأخذ الرجل بشريعته ؟ »

فلما سمع أبو سلمة قوله ، أطرق وسبابته بين شفتيه ينقر بها قواطعه ويده الأخرى في منطقته ، ثم رفع بصره اليه وقال : « ومن يجرؤ على ذلك؟»

قال : « تدبير ذلك على · أنا أقتله دون أن يشعر بذلك أحد · ولا شك في أن قتله يسهل اعادة الدعوة الى أهلها ومقاومة أبى مسلم ، فان هــــذا لا يستطيع عملا دون معونتك ، واذا علم الناس بمقتل صـــاحب الوصية فلا شك عندى أنهم يسرون،وأولهم هذه المسكينة التى قتل أبو مسلم أباها ونهب قصره وجعلها شريدة طريدة ، ولو أنه علم بوجودها هنا لأرسل من يقتلها ، ويقتلك معها اذا وقفت في سبيله ، بل آن هذه هي عادته مع كل من ناصروه متى وجد نفسه غير محتاج الى نصرتهم · فليحذره كل منكم »

فتجاهل أبو سلمة وقال : « وهل أنت واثق من قدرتك على ما ذكرت ؟ »

قال : « لك على أن اقوم بذلك في بضعة أيام · ان صاحبكم في الحميمة· وأنا أعرف الطريق اليه »

واستبشر أبو سلمة بما سمعه من صالح اذ صادف هوى في نفســه ، وتوسم فيه قوة ودهاء،فأظهر له الارتياح ، وعزم على استخدامه وهو لا يعلم أن صالحا انما فعل ذلك خدمة للخوارج وانتقاما لنفسه من أبى مسلم

فلما بلغ بهما الحديث الى هذا الحد ، أشار أبو سلمة الى صالح أن ينزل للاستراحة في دار الأضياف عــلى أن يعودا الى الــكلام في الأمر · فقضى صالح بقية يومه في الراحة وتدبير بعض الشؤون ، ثم أفضى الى ريحانة بما دار بينه وبين أبى سلمة ، وأسر اليها بوصية تقولها لجلنار ، كما أوصاها بالسهر على راحتها حتى يعود من مهمته في الشام مصطحبا سليمان الحلبى لأنه يعرف تلك البلاد· ثم دعا سعيدا وأبا العينين فأوصاهما بكتمان الأمر· وفي اليوم التالى استأذن في الرحيل ، فعرض عليه أبو سلمة بعض المال ، فأبى وقال : « انى أقوم بهذا الأمر لوجه الله ولا أبتغى عليه أى جزاء » ..

أبو جعفر المنصور

ركب كل من صـــالح وسليمان جملا خفيفا ، وحملا ما يحتاجان اليه من الطعام والماء ، وتوجها الى الشام . وكان صالح خلال ما مر به من الأحداث لا يكف عن البحث عن مصير شيبان والخوارج ، وكان شيبان قد رحل عن مرو لما أيقن بوقوعها في يد أبي مسلم . فلما استتب الأمر لهذا ، بعث اليه يدعوه الى البيعة فأجابه شيبان : « بل أنا أدعوك الى بيعتي » . فكتب اليه أبو مسلم : «ان لم تدخل في بيعتنا فارتحل» . فسار شيبان الى «سرخس» واجتمع اليه كثيرون من بكر بن وائل ، فخافه أبو مسلم وبعث اليه رسلا يفاوضونه في الصلح فسجنهم ، وأرسل أبو مسلم اليه جندا طاردوه من بلد الى بلد حتى دخل المدينة فقتل فيها وذهب أمر الخوارج

وجاء الخبر بمقتل شيبان الى صالح وهو في طـريقه الى الشام ، فشق الأمر عليه وكاد يذهب بنشاطه وسعيه ، ولكنه ذكر اساءة أبي مسلم اليه ورأى أنه مطالب أيضا بالانتقام لشيبان والخوارج

وما زال يواصل السير هو وسليمان حتى وصـــلا الى دمشق فنزلا في ضاحيتها ، وقضى صالح أياما يدرس أحوالها ، ثم ترك سليمان هناك . وسار الى الحميمة فتحقق وجـود بني العبـاس بها وفيهم ابراهيم الامام ، ثم عاد فتنكر في زي ناسك وذهب الى مروان بن محمد محرضا اياه على قتل ابراهيم الامام بالحيلة التي ذكرناها . فلما خـرج من عنـده سار توا الى حيث ترك سليمان الحلبي ، وهناك بدل قيافته فلبس العمامة والجبة كأهل الشـام ، فبدت عليه سيماء أهل التقوى ، وأمر سليمان أن يسير وراءه كأنه خادمه ، وأوصاه بوصايا تنفعه في المهمة التي هما سائران فيها . ثم ســـارع الى البلقاء وتوجه الى الحميمة ، فنزل في خان هناك . وأشاع خادمه سـليمان أنهما قادمان من الحجاز ، لمقابلة رجل سيكون له شأن عظيم اسمه ابراهيم، فلما سمع أهل الحميمة ذلك خشي الذين يعـرفون منهم ابراهيم الامام أن يكون في الأمر دسيسة ، فأنكروا وجود أحد بهذا الاسم في البلدة ، وأخذ بعضهم يقصدون الى صالح في الخان للتجسس عليه ، فكان يتظاهر بالبله ويقول : « تكبدت مشقة السفر من الحجاز الى الشام لأرى الامام وتمنعونني منه ، وأنا انما جئت لأنبئه بأن هاتفا جاءني وأوحى الى أنه في خطر قادم

قريب ؟! » • ولم يقل صالح ذلك الا وقد تحقق قرب وصول رجال مروان، بحيث لم يعد الفرار فى استطاعة ابراهيم ومن معه•وكان هذا حين علم بأمر صالح قد أرسل اليه أخاه أبا العباس متنكرا لاستطلاع حقيقته ، فلما سمع أبو العباس أقوال صالح لم يعبأ بها ولا بدعواه أنه من الأولياء • وأنبأ بذلك اخاه ، مرجحا أن الرجل جاسوس أو دجال

ولم يمض على ذلك يومان حتي جاءت جنود مروان فجأة فأحاطوا بالمحلة، ودلهم بعض أهلها على دار بني العباس وكانوا كثيرين ، فقاوموا الجند ، ثم قال لهم رئيس هؤلاء : « ان أمير المؤمنين لا يريد بكم الا الخير ، وهو يطلب أن يقابله واحد منكم اسمه ابراهيم لاستطلاع رأيه في بعض الأمور ، ثم اعادته عزيزا مكرما • فاذا أبيتم اطاعة أمر الخليفة فاننا سنضطر الى حملكم جميعا بالقوة »

وهنا تذكر القوم كلام صالح ، واعتقدوا صدقه بعد أن لم تبق أمامهم حيلة للنجاة ، فتشاوروا فيما بينهم وأجمعوا على أن يسلموا الامام ابراهيم، فسلموه • وبقي اخوته الثلاثة وهم : أبو العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وعبد الوهاب • وخشي ابراهيم أن يقتله مروان ، فأوصي بالأمر بعده الى أخيه أبي العباس ، وأمره أن يتنقل بمن بقوا معه الى الكوفة وفيها شيعتهم

علم صالح بالقبض علىابراهيم فسر لنجاح مسعاه ، ولما جاء المساء جلس للعشاء وهو لا يزال بلباس أهل الشام ،وقد تنكر وصبغ لحيته بالحناء وجعدها بحشوها بالشعر ، وتظاهر بالبله • فلما فرغ من العشاء ، قعد فى حجرته يتوقع أن يأتيه بعض أهل الامام للاستشارة بعد أن تحققوا صدق نبوءته ، واذا بخادمه سليمان قد دخل يقول : « ان بالباب رجلا شريفا يود أن يراك » • فتظاهر بعدم رغبته فى لقاء أحد فى تلك الساعة لاشتغاله بالصلاة ، ثم أذن للقادم فدخل عليه شاب أسمر نحيف البدن ، عليه قباء أصفر وعمامة سوداء والهيبة تتجلى فى وجهه مع صغر سنه ، فعرف صالح أنه أبو جعفر المنصور،وكان قد رآه من قبل ، فرحب به قائلا: « مرحبا بصاحب القباء الأصفر »

فلما سمع المنصور قوله دهش وتحقق كرامته واطلاعه على الغيب ، فأسرع اليه واستأذنه فى الجلوس،فجلسا وصالح يبتسم كأنه يضمر شيئا فقال له المنصور : « لقد جئتك لأنى تحققت كرامتك ، فهل أبوح لك بما فى نفسى ؟ »

قال : « سواء أبحت أم كتمت ، فانى عالم بما فى نفسك ، فاذا أحببت أن أطلعك على ما فى ضميرك فعلت ، واذا شئت أن تقول فانى أسمع »

فازداد المنصور اعجابا بالرجل وقال : « قد تحققت صدق كرامتك من أول كلمة سمعتها منك ، وانما أطلب اليك أن تخرج خادمك لأكلمك على انفراد »

فأشار صالح الى الخادم فخرج . ثم أخذ يعبث بلحينه وهو مطرق يجيل عينيه فى جوانب الحجرة كأنه يفتش عن ضائع . فابتدره المنصور قائلا : « أتعلم لماذا جئتك ؟ »

وكان صالح يعلم أن العباسيين لا يهجسون الا بالخلافة وكل منهم يطمع فيها لنفسه ، فقال له : « جئتنى فى شأن الخلافة ! »

فقال المنصور : « صدقت . وأرجو أن تشير على بما تراه »

وكان المنصور شديد الاعتقاد بالتنجيم ، وقد علم بذلك صالح . فقال له . « انى خبير بالتنجيم الروحانى . أطلع على المخبآت بمراقبة النجوم ولكننى لا أستخدم الاسطرلاب . فقل ما تريد . فانى سامع »

قال : «لقد عرفت صدقك من قبل . ولم يسعدنا الحظ بالعمل برأيك الا بعد فوات الفرصة،فأخذوا أخى الامام ابراهيم أسيرا ، ولا ندرى ما مصيره. غير أننا لا نرجو بقاءه ، وقد أنبأنا هو بذلك وأوصانا بوصية تتعلق بالبيعة»

فقطع صالح كلامه ، وقال : « البيعة لك »

فقال : « وما أدراك انها لى ؟ فقد أوصى بها لأخى أبى العباس الليلة »

قال : « بل هى لك ان لم يكن عاجلا فآجلا »

وكان المنصور من أهل الذكاء والدهاء ، ولكنه اعتقد صدق صالح وتوسم الولاية فى وجهه لما شاهده من تبالهه فقال له : « انما جئتك لهذه الغاية وقد تحققت صدقك منذ ناديتنى بصاحب القباء الأصفر »

ولم يكن صالح قد عنى شيئا بتلك الكلمة . ولكنها صادفت اعتقادا قديما للمنصور ، وأخذ يروى له قصة ذلك فقال : «ان أمر القباء يشهد بصدقك، فقد اجتمع بنو هاشم منذ زمن فى المدينة وأنا معهم . للنظر فى أمر البيعة بعد ذهاب دولة بنى أمية،وكان الامام جعفر الصادق حاضرا فقال : (لا ينال الخلافة الا صاحب القباء الاصفر).وكنت لابسا هذا القباء ، فانطوت نفسى على الأمر ورتبت العمال من تلك الساعة »

فسر صالح بهذه الصدفة ، وأخذ يستخدم دهاءه لاتمام الحيلة فقال : « ألم أقل لك ذلك ؟ »

قال « نعم ، ولكن الواقع أنهم بايعوا قبلى لأخى ابراهيم ، ولما ساقوه اليوم الى السجن بايعوا لأخى أبى العباس ، وقد أوصانا ابراهيم أن نذهب الى شيعتنا فى الكوفة »

فقطع صالح كلامه كأنه لا يريد أن يسمع قوله ، وقال : « لا .. لا ، بل أنت الخليفة .. هذا ما أعرفه ، ولو بويع بها كل أهلك فانها صائرة اليك- أبشر بها من الآن ، وسترى ونرى ان شاء الله » . قال ذلك ووقف كأنه يريد أن يصرف جليسه ، فلم يعبأ المنصور بتدلله لعلمه بأن أهل الكرامة

يغلب فيهم غرابة الطباع . فوقف وهو يقول : « ما بالك ؟ »

قال : « لقد آن لى أن أعود الى بيتى »

قال : « ألا تمكث فنذهب معا الى الكوفة ، وان صح قولك كافأناك ؟ »

قال : «حبذا ذلك ولكننى مضطر للذهاب الىالمدينة بجوار قبر الرسول، وأما الكوفة فلا أعرفها ولا أريد الذهاب اليها »

قال : « أتشير علينا بالذهاب اليهـا ؟ » . قال : « كيف لا ؟ وفيها آبو سلمة ! »

فاستغرب معرفته باسم أبى سلمة بعد أن قال انه لا يعرف الكوفة فقال له : « أما من سبيل الى استبقائك معنا ؟ »

قال : « ليس لى الخيار فى البقاء أو الرحيل . فقد كنت فى المدينـة من قبل ، فسمعت الهاتف يأمرنى بالمجىء لهذه المهمة وقادنى الى هنا ، ولكنكم لم تصدقونى فأصـابكم ما رأيت ، وقد يأتينى مرة أخـرى بأمر يتعلق بك فآتيك حيثما تكون . أما الآن فلا مندوحة عن الرحيل »

وكان المنصـور ذا دهاء ومكر مع ايمانه بالولاية والتنجـيم . فلما رأى صالحا،رغم الحاحه عليه،يأبى البقاء عنده ، تحقق أن الرجل منزه عنالغرض، والا لآثر البقاء معه بعـد علمه بأنه سيكون الخليفة . ولما رآه مصرا عـلى الرحيل، ، قال له : « ما اسمك وأين مقامك،حتى اذا وفقت الىالخلافة قربتك واستعنت بعلمك ؟ »

قال : « لا تنفعنك معـرفة اسـمى ولا مكانى . دعنى أنصرف الآن . وسـآتيك عند الحاجة ، وربما جئت عما قريب لأنى أشـعر بظلمة تحدق بخلافتك اذا انقشعت ظهرت الحقيقة . أما الآن ، فاسـتودعك الله » . قال ذلك ووقف ، فودعه المنصور وخرج

ورأى صالح بعد أن علم بعزم أبى العباس واخوته عـلى الذهاب الى أبى سلمة أن يسبقهم اليه ليخبره بما كان ، ويدبر حيلة لاتمام ما يبيتانه لآل العباس ، فأصلح لحيته وبدل ثيابه وأمر خادمه سليمان أن يهيىء الجملين . فلما فرغ سليمان مناعدادهما ذهب الى صاحب الخان وجلس ينتظر صالحا، وقد أذهله دهاؤه ومكره . فطال انتظاره وخاف أن يكون قد لحق به سوء ، فسار الى حجرته حتى بلغها فوجدها مغلقة ، فأخـذ يتطاول بعنقه ويصيخ بأذنيه لعله يسمع حركة أو صوتا يستدل به على شيء ، ثم رأى نورا خارجا من بعض شقوق الباب ولكنه لم يسمع صوتا . فوقف مترددا بين أن يقرع الباب أو يتربص ساكتا . فاذا بالنور قد انطفأ . ثم سمع وقع أقدام فعلم أن صالحا خارج . وما عتم أن رأى الباب فتح وأطل منه رجل طويل القامة حاسر الرأس حافى القدمين عارى الزندين ، وقد تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبد من الوسخ والاهمال ، وعليـه قميص طويل يكسوه الى الركبـة

والقذارة ظاهرة على كل شيء فيه · فدهش سليمان لأول وهلة ثم تذكر انه رأى صالحا في مثل هذه الهيئة منذ بضعة أيام فعرف أنه هو

وسارع صالح الى عباءته فالتف بها حتى غطى رأسه ولحيته ، ثم أشار الى سليمان فتبعه الى الجملين ، فركبا وسارا حتى أمسيا خارج المحلة·فقال صالح : « أتعلم الى أين نحن ذاهبان ؟ »

قال : « أظننا ذاهبين الى دمشق »

قال : « نعم اننا ذاهبان اليها ، وستبقى أنت في انتظاري خارجها حتى أعود اليك »

فقال : « سمعا وطاعة »

وساقا الجملين طول ليلتهما واليوم التالي وما بعده ، دون أن يستريحا الا قليلا ، وأشرفا على دمشق عند الغروب فاذا بغبار يتطاير قرب بابها ، فوقفا وقال صالح : « أسرع يا سليمان وائتني بخبر هذا الغبار ، واحذر أن يعلم أحد بأمرنا »

فهز سليمان رأسه استنكارا لذلك التحذير ، ثم مضى في مهمته ، وظل صالح في انتظاره على جمله ، وقد التف بالعباءة · وعاد سليمان بعد هنيهة، فابتدره صالح قائلا : « ماذا رأيت ؟ »

قال : « رأيت معسكر الخليفة مروان بن محمد »

قال : « وهل الخليفة معهم ؟ » . قال : « نعم »

قال : « هل علمت سبب خروجهم ؟» · قال : « علمت أنهم عسكروا هنا تأهبا للسفر في صباح الغد »

قال : « والى أين ؟ » · قال : « أظنهم ذاهبين الى القتال في بلاد بعيدة ، لكثرة ما أعدوه من الأحمال والأثقال ! »

فاطرق صالح مفكرا ، وقد أدرك أن مروان خارج لقتال شيعة العباسيين في العراق ، بعد أن رأى استفحال أمرهم بعد فتحهم مرو وزحفهم نحو العراق · فترجل وأشار الى سليمان فنزل ، وجلسا تحت شجرة هناك ، فتناولا طعاما كان سليمان قد تزود به للطريق ، حتى اذا فرغا قال صالح : « اني ذاهب في مهمة الى هذا المعسكر ، فامكث أنت هنا حتى أعود اليك ، وأطعم الجملين ، وكن على أهبة الرحيل »

قال : « سمعا وطاعة »

ونهض صالح فخلع العباءة فظهرت قيافته الجديدة بشعره المجعد وقميصه القصير وقذارته ثم تمرغ في تراب ناعم هناك حتى كساه الغبار كأنه قادم من سفر طويل ، وقصد الى معسكر الخليفة

وكان مروان قد أقض مرقده أمر الشيعة في فارس والعراق حتى خاف



وقال مروان بن محمد لصالح : « هل جئت تبشرني بشيء ؟ »

على سلطانه ، فأخر حملته عليهم حتى جاءه البشير بالقبض على الامام ابراهيم فى صباح ذلك اليوم ، فأمر بأن يحبسوه فى (حران) وخرج بجيشه ليبيتوا فى الغوطة · ثم يبكروا بالرحيل فى الصباح · فلما فرغ من طعامه صرف أمراءه وجلس في فسطاطه يدبر شؤونه ، وكان مبلبل الذهن بادى الاضطراب لما أحدق به من الشواغل ، فلم يستطع رقادا · وفيما هو في ذلك جاءه الحاجب يستأذن للناسك المعلوم ، فاضطرب لأول وهلة ، ثم شعر براحة واطمئنان وقال : « ليدخل حالا »

فدخل صالح بهيئته تلك ، فرحب به مروان ولم يجرؤ أن يدعوه الى الجلوس · فابتدره صالح قائلا : « لقد كابدت مشقة كبرى وسفرا طويلا حتى تمكنت من الوصول اليك قبل سفرك »

فقال : « هل جئت تبشرنى بشىء ؟ »

قال : « ليس عندى جديد يا ابن محمد ، ولكننى أنبئت بأنهم قبضوا على الرجل ، وأنك حبسته في حران ، فاذا أبقيت عليه فكأنك لم تفعل شيئا ، اقتل ، ثم اقتل ، ثم اقتل ! »

فاطرق مروان ، ولم يستغرب الرأى وقال : « طب نفسا فانه مقتول »

فلما سمع قوله تحول يريد الخروج ، فهم بأن يدعوه الى الجلوس ولكنه ذكر ما كان من انكاره ذلك في المرة الماضية ، فلبث صامتا وهو يرى صالحا يخطو نحو باب الفسطاط خطوات طويلة وعيناه فى السقف حتى خرج من الباب ولم يلتفت الى الوراء !

فعاد مروان الى هواجسه رغم الطمأنينة التى بعثها فيه مجىء الناسك ، ومال الى الاعتقاد بكرامته

وعاد صالح الى حيث ترك سليمان وقد تحقق أن ابراهيم مقتول عما قليل ، فأخذ فى التفكير في أمر اخوته وذهابهم الى الكوفة وما يكون من أمر أبى سلمة معهم · ثم ركب جمله وركب سليمان جمله أيضا ، وسارا مسرعين · وقبل خروجهما من الغوطة ، ترجل صالح عند بركة هناك اغتسل فيها ، ثم أصلح شعره وتلثم بالكوفية والتف بالعباءة ، وسار يطلب العراق ، مواصلا السير ليلا ونهارا حتى لا يسبقه العباسيون الى أبى سلمة

وبعد أيام ، أشرف فى الصباح على الكوفة ، فأطل على « حمام أعين » فرأى قصورها وحدائقها وفساطيطها ، وذكر المهمة التى هو قادم لأجلها فأيقن أنه فائز بغرضه ، فقد أخفق العباسيون بمقتل ابراهيم ، وجاء اخوته وبقية أهله الى أبى سلمة ، وليس أسهل من اغرائه بقتلهم أو حبسهم ، فتذهب دولتهم ويفشل أبو مسلم

وبعد أن استراح هنيهة فى ظل شجرة ، ركب مسرعا الى « حمام أعين » وأمر سليمان أن يذهب الى جلنار ليخبرها بمجيئه · ثم سار توا الى منزل

أبى سلمة وهو لا يزال ملثما بالكوفية وملتفا بالعباءة . فلما وصل الى الباب ترجل وأراد الدخول ، فاعترضه الحراس ومنعوه ، ولكنه قال لهم : «أعلموه أني رسول أحمل اليه كتابا »

فقال أحدهم : « لا يستطيع أحد أن يدخل عليه الآن »

فقال : « ولكنني رسول أتيته بخبر هام لا ينبغي تأجيله »

قال : « مهما يكن من شأن رسالتك ، فانا أمرنا أن نمنع الجميع بغير استثناء من الدخول عليه ، لاشتغاله بمقابلة سرية »

فأوجس صالح خيفة من أمر هذه المقابلة ، ولم ير بدا من الاذعان . فتحول الى مقعد بجانب الباب ، وحل عقال كوفيته لاشتداد الحر وجلس يفكر فيما سمعه . وما لبث أن سمع تصفيقا ورأى الحراس في حركة واهتمام ، وقد دخل أحدهم ثم عاد يتقدمه رجل قصير القامة غريب الزى عليه عمامة كبيرة ، وقد كحل عينيه وأرسل سالفيه على صدغيه ، وجعل لحيته شطرين أرسل كلا منهما الى جانب من صدره ، وعليه جبة من الخز واسعة ، وبيده عصاه يتوكأ عليها ، ووراءه غلام يحمل على كتفه جرابا مزركشا واسطرلابا كبيرا ، ويتأبط كتابا ضخما . فلما رآه صالح اختلج قلبه في صدره ، اذ رأى فيه شبها بابراهيم اليهودى خازن أبى مسلم . ثم تفرس فيه فكاد الدم يجمد في عروقه اذ تحقق انه ابراهيم بعينه ، وندم على نزع لثامه مخافة أن يراه فيعرفه وينكشف أمره

أما ابراهيم فانه خرج يمشى الخيلاء ويضرب الأرض بعكازه ملتفتا يمينا وشمالا والحراس واقفون له تجلة واحتراما ، ولما وقع بصره على صالح أخذ يتفرس فيه حينا ، ثم امتقع لونه اذ عرفه . ولكنه تجاهل وظل سائرا حتى وصل الى بغلة عليها عدة مغشاة بالديباج ، فأسرع بعض الغلمان فى تقديمها له ، وأعانه غلامه على ركوبها . ثم ساقها فانطلقت به

وظل صالحا واقفا ذاهلا ، ثم انتبه وقال فى نفسه : « ما الذى جاء بهذا الخبيث الى هنا ؟ لابد أنه قادم بدسيسة ! » . ثم التفت الى الحاجب وقال : « هل تظن مولانا يأذن فى دخولى عليه الآن ؟ »

فدخل الحاجب ثم عاد فدعا صالحا الى الدخول ، فدخل حتى أقبل على أبى سلمة فى قاعة كبيرة كان جالسا فى صدرها وحده على وسادة ، وقد ظهر الاهتمام فى وجهه . فلما رأى صالحا ابتسم له ورحب به ودعاه الى الجلوس بجانبه . فهم صالح بتقبيل يده ، ثم جلس ، فقال أبو سلمة : « أرجو أن تكون قد نجحت فى مهمتك ليتم حظنا اليوم »

فقال : « لقد جئتك بما تبتغيه ونجحت فى مهمتى أحسن نجاح ببركتك ودعائك ، فهل نحن فى مأمن من الرقباء ؟ »

قال : « نحن فى مأمن ، فقل ما بدا لك »

قال : « لى سؤال أرجو ألا يثقل على مولا

قال : « اسأل ولا ضير عمي .

قال : « رأيتك اليوم بادى الغبطة • فهل من خبر جديد يدعو الى ذلك؟»

فضحك أبو سلمة وقال : « ليس ثمة خبر جديد . ولكن منجما بارعا جاءنى منذ قليل ، وقد رأيت منه العجائب وتحققت أنه من الحذق فى التنجيم بمكان عظيم »

فقال صالح : « لعله الرجل الذى خرج من عندك الساعة ؟ »

قال : « نعم ، هو بعينه المنجم حاييم ، وهو من يهود حران »

قال : « وكيف عرفت حذقه ؟ »

قال : « عرفته مما شاهدته من كشفه الأسرار ، فقد أخبرنى بأمور لم يكن أحد يعلمها غيرى ، وذكر لى قدومك الى وبعض ما حدثتنى به »

فلما سمع صالح قوله ، أجفل وتحقق أن ذلك اليهودى قادم للبحث عنه، ولكنه استغرب اطلاعه على وجوده هناك وعلى ما دار بينه وبين أبى سلمة ، وخاف أن يبدو ذلك فى وجهه ، فتجاهل وأظهر الاستخفاف وقال وهو يضحك : « وما الذى قاله لك ؟ »

قال : « أخبرنى بما يكنه ضميرى فى أمر العباسيين وطمعهم فى الاستئثار بالخلافة ، فأنكرت ذلك لئلا يكون قادما بدسيسة من أحدهم ، ولكنه لم يعبأ بانكارى ، وبرهن على صدقه بأقوال لم يكن أحد عالما بها سواى ، وبعضها لم يطلع عليه أحد سواك • ومن ذلك أنه ذكر قدومك علينا ومعك ابنتنا جلنار ، وقص على ما أصابها من الأذى على يد أبى مسلم ، ورأيته ناقما على هذا الخائن لغدره بها ، مع أنه لم يعرف الفتاة ولا أبا مسلم ولا رآهما • وكان لا يقول شيئا الا بعد مراجعة كتابه واستعمال اسطرلابه • فلما رأيت منه تلك المعرفة، وثقت به وسألته عما يراه فى أمر المستقبل فطمأننى وبشرنى!»

فلم يتمالك صالح عن قطع كلام أبى سلمة قائلا : « هل أخبرته بالمهمة التى ذهبت من أجلها الى الشام ؟ »

قال : « لم يترك لى فرصة لاخباره بشىء • بل كان يخبرنى بكل ما فى نفسى ، وقد ذكر لى أن المهمة التى مضيت فى شأنها لا ريب فى نجاحها »

فاستعاذ صالح بالله ، وأيقن ان ابراهيم انما أتى بدسيسة من أبى مسلم للبحث عنه وعن جلنار ، ولكنه استغرب اطلاعه على جلية أمرهما • فانقبضت نفسه وأطرق مبهوتا ، ولم يحر جوابا • فأنكر أبو سلمة حاله فقال له : « مالى أراك ساكتا لا تتكلم ؟ أخبرنى بما فعلته فى رحلتك »

فقال : « ما الفائدة من نجاحى فى مهمتى بعد ما سمعته منك ؟ »

فاضطرب أبو سلمة ولم يفهم مراده، وقال : «ان ما سمعته منى لمما يسر، فهو بشير لنا بحسن العاقبة »

قال : « كلا يا مولاى ، بل هو يذهب بمساعينا أدراج الرياح ، ويجعل حياتنا فى خطر »

فازداد أبو سلمة دهشة لما سمعه ولم يفهمه ، وقال : « ولماذا ٠٠ ؟ قل يا صالح فقد اقلقتني »

قال : « ان هذا المنجم سينقل كلامك الى أبى مسلم ، وربما زاد فيه من عنده ما يضاعف نقمته علينا »

فتطاول أبو سلمة بعنقه وحملق بعينيه وتحفز كأنه يهم بالوثوب ، وقال: « ينقل كلامي الى أبى مسلم ؟!٠ كيف هذا وهو لا يعرفه ؟٠ أظنك واهما »

قال : « لست واهما يا مولاى ، فاني أعرف الرجل معرفة جيدة ، وهو من أتباع أبى مسلم ، بل هو من أكبر ثقاته وأمضى أدوات القتل عنده »

فقال أبو سلمة وقد تلعثم لسانه من شدة التأثر : « وكيف ذلك ؟ »

قال : « قد عرفت هذا اليهودى خازنا عند أبى مسلم ، وعلمت من دهائه ومكره ما أكد لى أن أبا مسلم يعول عليه فى التجسس ، ولا ريب عندى فى ذلك »

قال : « وما الحيلة الآن ؟ »

قال : « لا حيلة لنا الا القبض عليه أو قتله حتى لا يستطيع ابلاغ خبرنا الى أبى مسلم »

قال : « نعم الرأى » ٠ ثم صفق فدخل حاجبه فقال له : «هل تعلم المكان الذى سار اليه المنجم الحرانى ؟ »

قال : « كلا يا مولاى ، ولكننى رأيته ركب ووجهته الكوفة ، وقد حث بغلته على الاسراع »

فنظر أبو سلمة الى صالح كأنه يستطلعه رأيه ، فقال صالح : « أظنه ينزل فى خان هناك أو فى بعض منازل اليهود أو معابدهم »

فالتفت أبو سلمة الى الحاجب وقال : « ادع لى أبا ضرغام العيار »

فخرج الحاجب وقد استغرب صالح طلب أبى سلمة ، فقال له : « هل تنوى ارسال العيار فى طلب اليهودى ؟ »

قال : « نعم ، وقد ادخرت هذا العيار ومعه نخبة من أمثاله لمثل هذه المهمة لسرعة حركاتهم واطلاعهم على المخبآت »

ولم يتم كلامه حتى عاد الحاجب ووراءه رجل عارى الصدر والظهر ، مكشوف الرأس حافى القدمين ، ليس عليه من الثياب الا سراويل قصيرة من خيش متين ، وقد علق بكتفه مخلاة مملوءة بالحصى ، وفى يده اليمنى مقلاع ، وفى اليسرى قطعة من الخبز يمضغها ٠ فابتسم له أبو سلمة وقال: « أتعرف الكوفة يا أبا ضرغام ؟ »

فضحك أبو ضرغام وقال : « وكيف لا أعرفها ؟ »

قال : «أرأيت المنجم الذى جاءنا فى هذا الصباح وخرج من عندنا الآن؟»

قال : « أتعنى اليهودى المكحل صاحب العكاز؟ · لقد رأيته خارجا ووراءه غلامه ، وقد أعجبني الجراب الذى كان يحمله فانه يصلح لحمل الحصى »

قال : « أتستطيع أن تأتيني به ولك جرابه ، وملء جرابه مما تشتهى ؟ · وهو قد ذهب الى الكوفة ، فاما أنه نزل فى خان بها ، أو نزل عند بعض اليهود »

قال : « انى أسوقه اليك كما يساق الغنم للذبح . ولكن هب انى لم أستطع استقدامه حيا فماذا أفعل ؟ »

قال : « اننى أوثر أن تأتينى به حيا · هل يعسر عليك ذلك ؟ »

فهز العيار رأسه وضحك ، ثم قال : « يعسر على ؟! كلا فانى سائقه اليك ولو كان فى الجحيم ، وهب أنه طار فى الهواء فانى أرسل اليه حجرا بهذا المقلاع » · قال ذلك وأشار الى المقلاع الذى بيده

فضحك أبو سلمة وقال : « اذهب سريعا ، واحذر أن يفوتك » · فودع العيار وانصرف لانجاز مهمته

□

انشرح صدر أبى سلمة لوثوقه بمقدرة العيار ، فالتفت الى صالح وقال : « لا يلبث هذا اليهودى أن يأتيك صاغرا · فأخبرنى الآن بما فعلته فى الشام ؟ »

وكان صالح قد اطمأن قلبه أيضا وسرى عنه . فقص على أبى سلمة حديث سفره من أوله الى آخره ، فأعجب بدهائه ومكره غاية الاعجاب · وقال : « أواثق أنت من أن امامهم ابراهيم قد قتل ؟ »

فقال : « لا شك فى ذلك ، وقد انتقلت البيعة الى أخيه أبى العباس ، فعلينا أن نقضى على هذا أيضا وعلى بقية العباسيين لتفضى الخلافة الى العلويين · وهذا محمد بن عبد الله الحسنى مقيم بالمدينة ، وقد بايعه بنو هاشم من العباسيين والعلويين على أن يكون خليفة المسلمين بعد ذهاب دولة بنى أمية »

فقطع أبو سلمة كلامه وقال : « أنا على يقين من أن أبا العباس وأخاه المنصور وكل بنى هاشم بايعوا محمدا هذا ، ولكنهم ينكرون هذه البيعة الآن · ولولا ذلك لما كان ثمة باعث على هذا الاختلاف »

قال : « مهما يكن من الأمر فان أبا العباس واخوته وأعمامه وبقية أهله قادمون اليك بعد قليل ، وسينزلون عندك ، فتستطيع ارسالهم الى خوارزم ! » · قال ذلك وضحك

فلم يفهم أبو سلمة مراده فقال : « ولماذا نرسلهم الى هناك ؟ »

قال : « انما أريد أن تقتلهم ، وهذا تعبير تعلمناه من أبى مسلم كبير القتلة والسفاحين »

فضحك أبو سلمة ، وقال : « وهل تريدنى أن أقتل آل العباس ؟ »

قال : « سواء أعنيته أم لم أعنه فان الأمر لا يتم للعلويين الا بقتل هؤلاء. واذا لم تقتلوهم قتلوكم ! »

فأطرق أبو سلمة وهو ينظر فى بساط بين يديه عليه رسوم ملوك الفرس ، وظل صالح ساكتا يراقب ما يبدو منه ويرجو أن يوافقه على قتلهم، لاعتقاده انها فرصة ثمينة اذا لم يغتنموها ولت ولن تعود. ثم رفع أبو سلمة بصره الى صالح وقال : « لا ، لا .. لن أقدم على هذا الأمر ، فانى اذا أقدمت عليه ارتكبت منكرين كبيرين . أولهما قتل جماعة من أبناء عم النبى لا ذنب لهم ، والثانى انى أخفر ذمتى وأغدر بجيرانى وأضيافى . فكيف أقتلهم ؟ . هذا لا يكون »

فهز صالح كتفيه وزم شفتيه ، ثم أشار بعينيه وحاجبيه اشارة التبرؤ كأنه يقول : «افعل ما بدا لك ، هذا الأمر لا يعنينى». ثم تحفز للقيام وقال: « لا أنكر فظاعة هذا العمل ، ولكن الدول لا تقوم الا بمثل ذلك . وهذه وصية امامهم لو أخذناهم بها جاز لنا قتلهم ، فهو يقول : (من شككت فيه فاقتله) . وكم قتلوا من أبرياء لا ذنب لهم . ولو أن أبا مسلم كان مكانك ما ضيع هذه الفرصة، لأن الفوز مضمون. فالناس بايعوا لآل البيت وأكثرهم يرون البيعة لأبناء على ، ولكن أبا مسلم يموه عليهم ويدعوهم الى بيعة آل العباس . فاذا لم يبق أحد منهم فالبيعة تنحصر فى آل على . وهذا محمد بن عبد الله فى المدينة وبيعته فى أعناق العباسيين . ومتى علم أبو مسلم بموت أبناء العباس فانه لن يرى بدا من مبايعة أبناء على ، والا فان حروبه وفتوحه تذهب سدى ولا ينتفع أحد بها ، لعلمه أن الناس لا يخضعون الا لخليفة قرشى »

فقال أبو سلمة : : « لا أستطيع دفع حجتك هذه ، ولكنى لا أستطيع أن أتصور سيفا مسلولا لقتل جماعة من أبناء عم النبى ، ويكفى ما دبرناه لقتل أحدهم »

فضحك صالح ، وقال : « كأنك فهمت أنى أريد قتلهم بالسيف جهارا كما يقتل المجرمون ؟ كلا وانما نقتلهم بلا ضوضاء ولا بكاء ، فلا يشعر أحد بهم . نقتلهم بالسم فى اللبن أو العسل ، كما يفعل بنو أمية بأعدائهم . واذا أكبرت أن تقتل كل القادمين عليك من بنى العباس ، فاقتل اخوة ابراهيم الامام الذين يخشى نقل البيعة اليهم وهم ثلاثة، أو أقتل أبا العباس الذى انتقلت البيعة اليه على الأقل . فاذا شق عليك مباشرة ذلك بنفسك، فاعهد فيه الى فأقضيه لك من أيسر سبيل »

وكانا يتكلمان واقفين ، وظن صالح أنه تغلب على رأى أبى سلمة ، ولكنه ما عتم أن رآه ينكر ذلك ويعظمه الى أن قال : « لا أرانى أستطيع اتيان هذه الجريمة ، سواء على يدك أم على يد سواك. فالذنب ذنبى على كل حال. فاذا كانت لديك حيلة غير هذه فاذكرها »

قال : « هذه فرصة سانحة ، فاذا لم تغتنمها ذهب سعيك فى نصرة العلويين عبثا ، لأن أهل الفتك والغدر لا ينبغى أن يعاملوا الا بمثل ذلك . والا فهم الفائزون . ولا أظنك تجهل أن عليا وأولاده وأحفاده انما فشلوا فيما يطلبون من أمر الخلافة لأنهم لا يستعينون فى تأييد حقهم بغير التقوى والعدل . وكم من فرصة مثل هذه سنحت لدعاة العلويين ولكنهم عدوا اغتنامها منكرا ، فذهبت وضاعت حقوقهم. وعلى عكس ذلك سار الأمويون، فانهم ينقبون عن مثل هذه الفرص ويبذلون فى سبيلها المال والرجال. فاذا أطعتنى نلت ما تبتغيه وأقمت الدولة العلوية ، ولم يضع أمر العلويين هذه المرة كما ضاع من قبل . وأنت بعد ذلك مخير . واذا خالفتنى أطعتك »

فقال أبو سلمة : « لى أسوة بالامام على وأهله ، ولا أطمع فى أن أكون أشد منهم حزما وأصوب رأيا ! »

فلم ير صالح حيلة فى اقناعه فسكت ، ثم تذكر أمر ابراهيم اليهودى الخازن فقال : « وهل تظن العيار عثر على المنجم ؟ »

قال : « اذا كان هذا المنجم على سطح الأرض فانه لا يستطيع الفرار من يده » . ثم صفق فدخل الحاجب ، فقال له : « هل علمت شيئا عن أبى ضرغام »

قال : « علمت انه حينما خرج من حضرتك أشار الى رجاله فتبعوه، وكل منهم فى مثل لباسه وسلاحه ، بعد أن تلا عليهم ما أمرتهم به ، وفرقهم فى أطراف المدينة ، وذهب هو الى وسطها ولم يعد بعد »

فهز رأسه اشارة الى الاكتفاء بما سمع . فخرج الحاجب. ثم استأذن صالح فى الانصراف لرؤية جلنار ، فأذن له وقال : « كنت أحسب أنك لقيتها قبل مجيئك الى ، فاذهب اليها وخفف عنها » . قال ذلك وعيناه تدمعان

□

خرج صالح من عند أبى سلمة يقول لنفسه : «ان من كان فيه جنان النساء وضعف الغلمان لا يصلح لانشاء الدول ، وانما تنشأ الدول بالدهاء والحزم والفتك ! »

ثم سار حتى بلغ دار النساء وهى قريبة من قصر أبى سلمة ، فوجد

سليمان ينتظره ببابها ، فسأله عن جلنار فقال : « هي في خير . ولكنها قلقة لطول غيابك »

فقال : « وأين هي الآن ؟ »

قال : « في هذه القاعة ومعها ريحانة » . وأشار الى قاعة داخلية

قال : « أدع لي أحد الخصيان »

فذهب وعاد بخصي أبيض ، فقال له صالح « أبلغ ضيفتكم الخراسانية أني أريد مقابلتها » . ولم يذكر اسمها رغبة في كتمان أمرها لأسباب تقدم بيانها . ولم يكن أحد عالما بحقيقة أمرها غير أبي سلمة وامرأته وبعض الجواري . فذهب الخصي ثم عاد ودعاه الى قاعة توصل الى الخارج بباب خاص . فدخل صالح واستقبلته جلنار باسمة لأول مرة منذ انتابتها تلك المصائب، فانشرح صدر صالح أو أظهر الانشراح ، لأنه يضمر امورا هي أكبر شأنا عنده مما يظهره من رغبته في قيام الدعوة العلوية وسقوط العباسيين والأمويين . ولو خيروه لاختار ذهابهم جميعا . ولكن الظروف اضطرته الى الانتقام لجلنار ولنفسه من أبي مسلم

فلما دخل صالح القاعة ، ابتدرته ريحانة بالترحاب والسؤال عن حاله ثم قالت : « لقد أقلقنا غيابك حتى الآن ، وقد أخبرنا سليمان أنك أتيت منذ ساعات » . قالت ذلك معاتبة

فقال : « كان يجب أن أسرع في المثول بين يدي مولاتنا الدهقانة، ولكنني أحببت أن أكلم أبا سلمة في بعض الشؤون المتصلة بمهمتنا »

فقالت جلنار : « علمت من سليمان بعض ما بذلته من الجهد في سبيل غرضنا ، مثل جعل مروان الأموي يقبض على ابراهيم الامام ويحبسه . وكنت أحب أن أسمع تفصيل هذا الخبر منك »

فأشار برأسه مطيعا ، وقال : « لم يعرف سليمان من أعمالي الا القليل ، هل أخبرك أننا قتلنا الامام ؟ »

قالت : « كلا ، وهل قتلتموه ؟ »

قال : « نعم » . وقص عليها حكاية رحلته وما دبره من الحيل لينجح في مهمته ، فأحست بانفراج كربتها كأنها انتقمت لأبيها وشعرت بجميل صالح حتى غدت لا تعرف كيف تبدي شكرها له ، فسره ما بدا من سرورها ، ثم تذكر أمر ابراهيم الخازن واطلاعه على مقرهم ، وخشي ألا يستطيع العيار القبض عليه قبل رجوعه الى خراسان فتكون العاقبة وخيمة عليهما وعلى أبي سلمة . كما تذكر الرسالة التي بعث بها الى ابن كثير مع السائس الأبكم، فالتفت الى ريحانة وقال : « ألم يرجع السائس من مهمته ؟ »

فضحكت ريحانة وقالت : « عاد منذ بضعة أيام »

فاستغرب ضحكها ورأى جلنار تضحك معها كأنهما تكتمان أمرا ، فقال

لها : « ما بالك تضحكين ؟ ألم يبلغ رسولنا الرسالة ؟ »

قالت : « لا أضحك لهذا فانه بلغها كما ينبغي ، ولكنني تذكرت حاييم المنجم الذى جاء معه »

فخفق قلبه عند سماع الاسم ، وقال : « ومن هو حاييم هذا ؟ »

قالت : « منجم يهودى من أهل حران ، التقى به سائسنا أثناء رجوعه من مهمته »

فعلم صالح أنها تعني ابراهيم الخازن،فخاف أن يكون قد علم منها شيئا، فقال : « وما الذى أضحكك من هذا المنجم ؟ »

قالت : « أضحكني منه أنه خفيف الروح كثير المجون ، فضلا عن مهارته في استطلاع الخفايا بالتنجيم٠اني لا أنسى حركاته في استخدامالاسطرلاب فقد أضحكنا كثيرا ، وكان تسلية كبرى لمولاتي أثناء انتظار رجوعك ٠ وقد رأينا منه المعجزات ! »

فازداد خوف صالح وقال : « ما الذى كشفه لكم من الخفايا ؟ »

قالت : « كشف لنا أشياء كثيرة ، وأغرب ما فى مهارته أنه كان يطلعنا على أسرارنا بالاشارة ولا يتكلف لفظا »

فتحقق صالح أن المنجم لم يكشف لهما سرا ، ولكنه ساقهما الى كشف أسرارهما بالاشارات المبهمة على عادة المشعوذين ، اذ يستخدمون اشارات تنطبق على معان عدة ، فاذا كان السائل يعتقد صدق المنجم فسر اشارته بما يوافق هواه فيبوح بسره وهو يحسب المنجم قد كشفه بمهارته ٠ وهز صالح رأسه وظهر الارتباك في عينيه ، فظنته ريحانة لم يصدقها فقالت : « كأنك لم تصدقني ، فاسأل مولاتي كيف قص عليها حديث أبيها ومقتله وفرارها معك الى هنا حتى ذهابك الى الشام ! »

فلم يستطع صالح أن يمسك نفسه ، فدق كفا بكف وقال : «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » ٠ فلم تفهما سر قلقه واضطرابه وقالت جلنار : « ما بالك يا صالح ، ماذا جرى ؟ »

فوقف وقال : «لم يبق لنا مقام هنا ، فقد افتضحأمرنا٠خدعكما اليهودى الخبيث وعرف أسرارنا ، لعنك الله يا ابراهيم ولعن الساعة التى رأيتك فيها »

فابتدرته ريحانة قائلة : « ليس هو ابراهيم وانما هو حاييم »

قال : « بل هو ابراهيم اليهودى خازن أبى مسلم ، وهو الذى سقاني السم كما سقى ابن الكرماني عندما كان يرقص بجلد الدب ٠ وقد رأيته فى الصباح خارجا من عند أبى سلمة بعد أن عرف سره أيضا ٠ ولولاكما لم يستطع ذلك لأنكما ساعدتماه على معرفة خبرى ، فساعده ذلك على خداع أبى سلمة حتى ظن فيه القدرة على معرفة الغيب فباح له بأسراره ! »

وكان يتكلم وهو يخطر في الغرفة ، وجلنار وريحانة تتبادلان نظرات الأسف والجزع،وقد ترقرقت الدموع في مآقيهما ، فقال صالح : «لا فائدة من الأسف على ما فات • وسأريه عاقبة مكره »

ثم روى لهما أنه أطلع أبا سلمة على حقيقة أمر ابراهيم اليهودى ، فأنفذ بعض العيارين ليأتوا به اليه حيا أو ميتا • فلما قال ذلك ، لحظ أن جلنار تنظر الى ريحانة كأنها تدعوها الى التصريح بشيء تخجل هي من ذكره ، فاستغرب ذلك وقال : « مالى أراكما تترددان ••؟ هل أخطأت اذ سعيت للقبض على هذا الخبيث ؟ »

فقالت ريحانة : « كلا فقد قمت بالواجب ، ولكن •• » • ونظرت الى مولاتها فاذا هي مطرقة خجلا ، فواصلت كلامها وقالت : «ألا تستطيع تأجيل قتله يوما ؟ »

فاستغرب صالح هذا الاقتراح ، وقال : « ولماذا هذا التأجيل ؟ »

فالتفتت الى مولاتها وسكتت • فازداد صالح استغرابا ووجه كلامه الى جلنار وقال : « ما الذى تكتمانه عني ؟ • لعلكما تسيئان الظن بى ؟ »

فقالت ريحانة : « حاشا لنا أن نسيء الظن بك بعد ما رأيناه من جهادك في سبيلنا ، ولكن مولاتى تود تأجيل قتل المنجم لأنه شغل ذهنها بكلمة قالها ووعد بتفصيلها في الغد »

قال : « وأى كلمة ؟ هل يجوز أن أعرفها ؟ »

قالت : « نعم ، يجب أن تعرفها • انه لما جاءنا وجرى ذكر أبى مسلم عرضا في الحديث نظر الى مولاتي نظرة اهتمام • وقال لها : (سأفاجئك غدا بخبر يفرح قلبك ، ولكن لا أحب أن يعرفه أحد)•وأحببنا أن نستزيده بيانا ، ولكن خادم أبى سلمة جاء ومضى الى مقابلته »

فلما سمع صالح ما قالته أدرك أن جلنار لا تزال عالقة بأبى مسلم ، فارتبك في أمره وخاف أن يكون أبو مسلم قد ندم على مجافاته جلنار فأحب استرضاءها ، فبعث بابراهيم متنكرا لهذه الغاية • ولعله أوصاه بأن يفعل ذلك خفية ، وربما كان من بعض مهمته أن يستطلع مساعيه ، ويتجسس أحوال العلويين ونحو ذلك•مرت هذه الخواطر في ذهنه ، بينما جلنار تنظر اليه خلسة وتخاف ألا يلبى طلبها • فرأى صالح أن يجزم بكذب ابراهيم ويقبح نيته ، مخافة أن يكون وراء أقواله ما يعرقل مساعيه أو يعود بالخطر عليه ، فتضاحك وقال : « انى لأعجب من مولاتي الدهقانة كيف تعلق أهمية على كلمة قالها هذا المنافق وهو يريد بها التمويه ليستطلع ما بقى من أسرارنا أو ليوقعنا في الفخ ؟• ألا تعلمين دهاء هؤلاء القوم وكم غدروا بالناس وغرروا بهم ؟ »

فقالت ريحانة : « صدقت ، ولكننا اذا سمعنا قوله فليس حتما أن نعمل

به ، واننا لن نخطو خطوة الا برأيك وتدبيرك ، فاذا تيسر الابقاء على الرجل يوما أو يومين كان في ذلك وسيلة لزوال قلق مولاتي باطلاعها على ما وعدها بسماعه »

قال : « لا حيلة لنا في الواقع ، وقد ذهب العيارون للبحث عنه وأخذه حيا أو ميتا . فاذا جاءوا به حيا بعثنا به الى الدهقانة ، وأما اذا قتلوه فلا سبيل الى احيائه . على انى لا أراه الا منافقا يريد التمويه ، فاذا أطعتمانى وجاءكما فانبذاه وابصقا في وجهه » . قال ذلك وفي صوته وملامح وجهه أمارات العتب . فأدركت ريحانة أنه استاء من الحاحها ، وقد سبق الى ذهنها حسن الظن به ورأت مجاراته في رأيه لتخفف من قلق سيدتها فقالت : « وأنا أرى رأيك ، فان هـذا الرجل لايحمل غير الأذى ، والأجدر بنا أن نحذره ونسعى في القبض عليه وقتله لننجو من شره ! »

ولم يسع جلنار بعد اتفاق ريحانة وصالح فى الرأى ، الا أن توافقهما ولو من وراء قلبها فقالت : « دعو المقـــادير تفعل ما تشاء ، فاذا جاءنا حيا سألناه ونظرنا فيما يقوله ، واذا قتل فلا حيلة لنا . وعلى كل حال لا أظنه يستطيع الفرار اذا أراده لأن العيارين لا يفلت منهم أحد »

وعاد صالح الى هواجسه وأراد أن يعرف كيف جاء ابراهيم الى الكوفة ، لعله يستطيع بذلك ادراك الغـرض من قدومه . فقـال لريحانة : « كأنى سمعتك تذكرين السائس الأبكم مع هذا اليهودى ؟ »

قالت : « نعم قلت لك انه جاء به معه فى عودته من مرو »

فقال : « وأين هو ؟ . أحب أن أراه »

فخرجت ريحـــانة مسرعة ثم عادت والسائس معها وهو في حاله التى وصفناه بها قبلا ، فلما دخل حيى ووقف . فسأله صالح عما تم له فىسفره ، فأشار الرجل بيديه وعينيه بما يدل على أنه وصل الى مرو ودفع الكتاب الى سليمان بن كثير . فسأله كيف عرف منزله ، فأجاب بأن رجلا كان يعرفه من قبل دله عليه . فسأله عن شكل ذلك الرجل وأين عرفه فأشار بأنه قصير القامة وأنه عرفه للمرة الأولى فى بيت الدهقان يوم نزل أبو مسلم عندهم . فترجح عند صالح انه ابراهيم بعينه ، وأنه لما رأى السائس يسأل عن ابن كثير وتذكر أنه شـــاهده فى منزل الدهقان ظنه قادما بمهمة من الدهقانة أو منه، فخاف صالح أن يكون قد اطلع على فحوى الكتاب فيتعرض ابن كثير للقتل . فسأله كيف دفعت الكتاب الى صاحبه ، فأشار انه دفعه اليه سرا وكان وحده فى حجرته . فقال : « وماذا فعلت بعـد ذلك ؟ » . فأشار الى أنه خرج من مرو في صباح اليوم التالى ، فلقى أثنـــاء الطريق منجما يهوديا صحبه الى الكوفة ومعه خادمه ، وكان يسايره ويركبه أحيانا على بغلته ويطعمه من طعامه حتى أتى الكوفة

فتحقق صالح عند ذلك أنه ابراهيم اليهودى جاء الى الكوفة فى مهمة سرية من عند أبي مسلم ، نبهه اليها قدوم ذلك السائس الجاهل بالكتاب الى ابن كثير • وأيقن أنه اذا نجا من العيارين وأبلغ أبا مسلم خبرهم فانه قاتلهم ومعهم أبو سلمة لا محالة • فأصبح همه البحث عما أفضت اليه مساعي العيارين فى القبض عليه • فأشار الى السائس أن ينصرف ، فلما خرج تقدم صالح الى جلنار وخاطبها بصوت منخفض، كأنه يحاذر أن تسمعه جدران الغرفة قائلا : « لقد أخطأنا فى الاعتماد على الخدم والأعوان فى شؤوننا ، ولئن لم يظفر العيارون بذلك اليهودى فاننا لن نأمن الخطر هنا!»

فأجفلت جلنار ، وبدت الدهشة فى عينيها وهى تقول : « وكيف ذلك ؟»

قال : « ذلك لأن ابراهيم هذا انما جاء للبحث عنا ومعرفة مقاصدنا ، وقد نجح فى ذلك اذ عرف كل شيء عنا وعن أبى سلمة ، وعرف اننا سعينا في مقتل الامام ابراهيم • فاذا نجا من العيارين ووصل الى أبى مسلم ، فان هذا لن يدخر وسعا فى الانتقام منا جميعا »

فارتبكت جلنار وشعرت بقلق وخوف وقالت : « لم يكن لنا ملجأ فيما مضى سواك ، وما زلت ملجأنا وعوننا فأشر علينا »

قال : « أرى قبل كل شيء أن نستغنى عمن معنا من الخدم ، فاذا انتقلنا الى مكان كنا وحدنا فقط• وأنا ذاهب الآن للسؤال عن العيارين وما فعلوه، فاذا تحققت فشلهم عدت اليكما وأخبرتكما بما ينبغى عمله • وانما أتوسل اليكما أن تكتما ما دار بيننا ، وأرى أن تقوم ريحانة بجمع ما خف حمله وغلا ثمنه من المتاع لنكون على أهبة السفر متى أردنا »

ثم نهض وودعهما وخرج ، ودخلتا تتأهبان للرحيل وهما مضطربتان

□

خرج صالح قاصدا الى قصر أبي سلمة ليسأله عما فعله أبو ضرغام العيار ورفاقه ، وقد اعتزم أن يحرض أبا سلمة على قتل ابراهيم اليهودى اذا جاءوا به حيا ، على ألا يطلع جلنار على ذلك • فلما كان فى منتصف الطريق سمع ضوضاء وقرقعة وصليلا وراء بعض البيوت مما يلى طريق الشام ، فالتفت فرأى قافلة من جمال يتقدمها حمار عليه عبد أسود،وحول القافلة بغال مسرجة عليها رجال بألبسة حسنة يبلغ عددهم العشرين ، وفى ركابهم بعض الخدم والعبيد ، وفى ذيل القافلة بغال عليها هوادج النساء والأطفال • ويتقدم الجميع فارس عليه لباس أهل الكوفة، كأنه خرج من الكوفة للقائهم• فتفرس فى الرجل فعرف أنه من حراس أبى سلمة • فرجح عنده أن هؤلاء القادمين هم بنو العباس • وقد جاءوا من الحميمة بعد مقتل ابراهيم الامام ، فتقدم حتى وقف بحيث يراهم وهم مارون والناس لا يهتمون بهم لأنهم لا يعرفونهم

وقد تعودوا قدوم مثل هذه القافلة الى أبي سلمة · ثم ما لبث أن تحقق صحة فراسته اذ رأى المنصور بينهم ، وتذكر ما دار بينه وبين أبي سلمة في شأنهم · كما تذكر حديثه مع المنصور وكيف بشره بالخلافة يوم رآه في الحميمة ، لعله يفيد منه اذا صحت البشرى

وكان صالح أثناء تلك المقابلة لا يزال يعتقد ان في وسعه نقل الخلافة الى العلويين ، فلما رأى ما رآه من ضعف أبي سلمة وعجزه أصبح لا يرجو للعلويين فوزا ، فحصر همه في قتل أبي مسلم انتقاما منه لنفسه وللخوارج وأميرهم شيبان

وظل واقفا حتى دنت القافلة من دار الأضياف ، فتقدم اليها بعض أهل القصر ودعوها الى قصر آخر لأبي سلمة في بعض أطراف المحلة · فأدرك صالح أن أبا سلمة ينوي كتمان أمرهم عن الناس ، وعلم انه لا يلبث أن ينزل لملاقاتهم أو زيارتهم للترحيب بهم ، فأسرع لمقابلته قبل خروجه ليسأله عما فعل العيارون

فمشى حتى دخل القصر واستأذن على أبي سلمة فأدخلوه اليه ، فرآه جالسا وقد حمي غضبه وبان الارتباك في وجهه ، فلما دخل عليه صالح لم يتمالك عن النهوض بغتة ومشى نحوه مشية مستنجد وقال : « كأننا سعينا لقتل واحد من هؤلاء العباسيين لنتحمل أثقال بقيتهم·هل رأيتهم قادمين؟»

فلما سمع صالح تذمره ، استبشر لعله يستطيع اغراءه بقتلهم فقال : « لو انني علمت يا مولاي أن نصرتك للشيعة العلوية تقف عند هذا الحد ، فيذهب سعيك وجهدي عبثا ، وتعرض حياتك وحياة سائر أهلك وأصحابك للخطر ، ما أقدمت على ما أقدمت عليه·وانك قادر في هذه الساعة أن تنقل الخلافة الى العلويين كما أخبرتك في هذا الصباح ، ولا يكلفك ذلك الا أن تأمر وأنا أنفذ الأمر·وهي فرصة لا ينبغي اغفالها ، فوالله لو ظفر أبو مسلم بمثلها ما أغفلها · وزد على ذلك أن حياتك أصبحت في خطر اذا استبقيتهم»

فقال أبو سلمة : « وأي خطر ؟ »

قال : « اذا لم يظفر عياروك بذلك المنجم وتمكن من الفرار الى أبي مسلم وأطلعه على خبرك ، فهل تظنه يعفو عنك ؟ »

قال : « وهل تحسبه يقتلني ؟ لا ، لا ·· انه لا يفعل ذلك لما يعلمه من نصرتي اياه بالمال والرجال · والشيعة كلهم يعلمون أنه لولا أموالي ونفوذ كلمتي عند الدهاقين وبيوتات الفرس لم تقم لهم قائمة·فهل يجرؤ أحد منهم أن يمسني بأذى ؟ »

فابتسم صالح وهز رأسه قائلا : « أما أبو مسلم فيفعل ، وقد فعل ذلك غير مرة »

فاستخف أبو سلمة بنصيحة صالح وحول وجهه عنه ومشى نحو مشمعة

من الذهب قائمة في وسط القاعة على كرسى من الآبنوس المطعم ، وتشاغل بنزع الغبار بأصبعه عن قاعدتها ، ثم هم بتغيير الحديث فقال : « هل علمت ما فعله أبو ضرغام ؟ »

قال : « كلا ، ماذا فعل ؟ »

قال : « عاد الى منذ ساعتين ، وأخبرنى أنه قلب الكوفة رأسا على عقب هو ورجاله ، ولم يغادروا خانا ولا منزلا ولا كنيسا ولا حانوتا الا دخلوه وفتشوه ، فلم يقفوا للرجل على أثر ، ولا رأوا أحدا يعرفه . حتى حراس أبواب المدينة أجمعوا على أنهم لم يشاهدوا أحدا بهذه الصفة أو ما يقرب منها، مع أنه أكد لى أنه مقيم بالكوفة . وقد أمرت أبا ضرغام أن يبحث عنه فى ضواحى المدينة وأرباضها ، وألا يترك منزلا حتى منزلى الا بحث فيه عن ذلك المنجم المنافق ، ولا أدرى ما تكون النتيجة »

فأيقن صالح أن ابراهيم الخازن قد أفلت ، وأنه مضى ليبشر أبا مسلم بنجاح مهمته ، ولن يتيسر لأحد اللحاق به . ولكنه اظهر أنه لا يزال يرجو العثور عليه فقال : « لا يبعد أن يكون هذا الخبيث قد اختبأ فى بعض هذه الأرباض وعسى أن نظفر به ».قال ذلك وودعه وخرج يبحث عن مكان يلجأ اليه مع جلنار وريحانة فرارا من بطش أبى مسلم ريثما تتبدل الشؤون

وفيما هو يفكر في الأمر ، تذكر انه مر فى الطريق الى دمشق بدير بالقرب من الكوفة يقال له دير هند ، كانت هند بنت النعمان قد أنشأته قبل الاسلام . وتذكر أن هذا الدير عامر بالرهبان ، كما علم من حارسه حينذاك . فخطر له أن يذهب بجلنار وحاضنتها لتقيما به على أن يتردد عليهما متنكرا . فعزم على أن يذهب الى الدير ويستفهم عن طريقة الدخول اليه والاقامة به »

فبات تلك الليلة ولم يغمض له جفن لعظم ما انتابه من الغضب على ابراهيم الخازن . وفى الصباح توجه الى دير هند ، فوجده آهلا بالرهبان ، وعلم أن به مضيفة ينزل بها من شاء على الرحب والسعة. ثم أحب أن يسأل: هل هناك مكان خاص يمكن أن تنزل به جلنار وريحانة دون أن يراهما أحد. فطلب مقابلة رئيس الدير ، فأخذوه الى شيخ جليل عليه سيماء الوقار ، فسلم عليه وأكب على يده يهم بتقبيلها ، فقبله الرئيس ودعاه الى الجلوس وأمر له بالزاد والفاكهة والشراب ، فشكره صالح وقال : « انى لا أحتاج الى طعام ولا شراب ، وانما جئتك لأننى أريد أن أستودعك سرا وأستشيرك فيه . فأنتم رجال الله ومستودع أسرار خلقه »

فانشرح قلب الرئيس لهذ الثناء ، وقال : « مرحبا بك ، قل ما تريد ولا تخف »

قال : «معى فتاة من أهل البيوتات اصابتها نكبة أدت الى فرارها من وجه

الظلم ، فلم تر خيرا من التجائها الى هذا الدير ، فهل يجوز ذلك ؟ »

قال الرئيس : « كيف لا وعندنا دار خاصة بالأضياف ؟ ولكن ما دمت قد استشرتني فاني أقول ان دار الأضياف عندنا لا تخلو من المارة ، ولا نستطيع أن نمنع أحدا من النزول بها ، فلا يكون سركم فى أمان . ولكنى أدلكم على دير للعذارى الراهبات على مرحلة من هذا المكان هو أولى بنزول النساء ، لأنه غير مطروق ولا يقيم به الرجال . فاذا شئت أوصيت رئيسته بك ، فتهيىء للفتاة غرفة خاصة . وأما أنت فلك أن تقيم عندنا »

فسر صالح بهذا التوفيق المزدوج ، وكان يعلم أن الأديرة تقوم على هبات المحسنين .. فاذا تبرعت جلنار لرئيسة الدير ببضع مئات من الدنانير ، ملكت قلبها وكانت آمنة عندها ، فارتاح لهذا التدبير ، وعاد الى «حمام أعين» وأحب قبل انتقاله الى الدير أن يبحث عما فعله العيارون ، فسار الى قصر أبي سلمة واستفهم منه فأجابه بأنهم لم يقفوا للرجل على أثر ، فتحقق صالح أن أبا سلمة وبطانته أصبحوا فى خطر ، ورأى أن يحتال للبعد عنهم، فذهب الى جلنار وأطلعها على ما دبره وقال لها : « فالآن ينبغي أن نخرج من هذه المحلة خلسة بحيث لا يشعر أهلها بنا ، ولا يعلم أحد غايتنا »

فقالت : « وخالتي أيضا ؟ » . قال : « نعم . يجب ألا يعلم بأمرنا أي انسان غيرنا ، فنأخذ ما خف حمله من متاعنا ونركب بعض الجياد وحدنا ، ونوهم الخدم بأننا ذاهبون للتنزه على ضفاف الفرات . ومتى بعدنا عن المحلة عرجنا على الدير ، فنقيم هناك الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا »

فأحست جلنار كأن حبلا غليظا التف حول عنقها وكاد يخنقها لعظم ما ثار فى نفسها من اليأس لاضطرارها الى الفرار الى دير تنقطع فيه عن الناس ، بعد أن أقامت بمنزل أبى سلمة واستأنست بخالتها ، وأحبت نساء القصر وأحببنها .. فانفجرت باكية، وأخذ صالح يواسيها فقال : «لا تيأسي يامولاتى لابد من الأخذ بالثأر ولو بعد حين ، وكل آت قريب »

وفى الأصيل خرج الثلاثة من المحلة بقصد التنزه على ضفاف الفرات وليس معهم أحد من الخدم ، حتى اذا تواروا عن الناس تحولوا نحو دير هند ، فقدم صالح لرئيسه صرة فيها مائة دينار هبة للدير ، وكان الليل قد سدل أستاره، فدعاهم الى المبيت على أن يبكروا فى الذهاب الى دير العذارى، وقدم لهم من أطعمة الدير وفاكهته فأكلوا وشربوا وباتوا ليلتهم . وفي الصباح التالى ، دفع الرئيس كتابه الى صالح، فحمله وذهب بجلنار وريحانة ومعهم دليل يوصلهم الى دير العذارى . فوصلوا اليه عند الظهر ، فاستقبلتهم رئيسته أحسن استقبال وأنزلتهم على الرحب والسعة، ولاسيما بعد ما رأت من لطف جلنار وكرمها ، فأفردت لها ولريحانة غرفة طلقة الهواء نظيفة الأثاث ، وأوصت الراهبات بأن يقمن على خدمتهما أحس قيام

بيعة أبي العباس السفاح

اطمأن صالح على جلنار ، فأقام بدير هند متفكرا فى شؤونه وأخذيتردد الى دير العذارى حينا بعد حين ، وينزل الكوفة متنكرا ليرى مصير الأمور ويترقب فرصة يتمكن بها من بلوغ غايته . فعلم أن بنى العباس نزلوا عند أبى سلمة ، وانه كتم أمرهم عن أهل الكوفة فلم يعلموا بمجيئهم . وكان الخراسانيون قد علموا بانتقالهم الى هناك ، فجاء جماعة منهم وعسكروا خارج الكوفة عند « حمام أعين » وأخذ قوادهم يبحثون عنهم . وكان أبو سلمة بعد أن استنكر أمام صالح الغدر بهم،عاد فنظر فى أمرهم فرأى السداد فى رأى صالح ، ولكنه أعظم الاقدام على قتلهم فحبسهم وكتم أمرهم وتوقع أنيرجع اليه صالح فيشاوره فى شأنهم

وكان صالح يمر « بحمام أعين » متنكرا ، فيسمع أهل أبى سلمة وخدم جلنـار يذكرون فقدها منذ خرجت مع خادمتهـا الى ضفاف الفرات ، وقد رجحوا غرقهما فى مائه . وكان يتنكر أحيانا بأثواب الفقهاء فيقضى يومه فى المسجد يسمع أحاديث القوم ، وأحيانا يلبس ثوب الاجناد أو العيارين أو غيرهم . فعلم أن الناس علموا بمقتل الامام ابراهيم ، وألحفوا فى السؤال عن اخوته وأهله،ثم علم بعد أربعين يوما من قدوم العباسيين أنالخراسانيين المعسكرين بظاهر الكوفة علموا بوجودهم فى دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وهي الدار التى أنزلهم فيها أبو سلمة ، وان ابراهيم أوصى بالخلافة لأخيه أبى العباس . فاتهموا أبا سلمة بأنه حبسهم هناك لرغبته فى نقل الخلافة الى العلويين . وذهب الى تلك الدار رجل من كبار شيعة العباسيين اسمه أبو حميد الحميرى ، فلما أقبل عليهم لم يعلم أيهم الخليفة فسأل : « من الخليفة منكم ؟ » .فتقدم داود بن على ، أحد أعمام أبى العباس ، وأشار اليه قائلا : « هذا امامكم وخليفتكم ». فسلم أبو حميد عليه بالخلافة ، وقبل يديه ورجليه وقال له : « مرنا بأمرك » . ثم رجع وأخبر جميـع القواد ، وأعاظم الشيعة ، فجاء جماعة منهم حتي دخلوا على أبى العباس فسلموا عليه بالخلافة فلما علم أبو سلمة بانكشاف أمر القوم أراد أن يدخل فيبـايع أبا العباس مثل سائر الناس ، فمنعوه الا أن يدخل وحـده لأنهم أساءوا الظن به ، فدخل وسلم عليه بالخلافة

وكان صالح يسمع أثناء ذلك أنهم سيخرجون بالخليفة ليبايعوه في المسجد يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، فتنكر بلباس الفقهاء ووقف في طريق المسجد ، فرأى أهل الكوفة قد اصطفوا بأسلحتهم في الطريق • ثم رآه مارا على برذون أبلق وحوله أهل بيته على الخيول أو البراذين ، والناس يتزاحمون ويتطاولون لمشاهدته والتبرك برؤيته • وما زال الموكب سائرا وصالح في أثره حتى بلغ دار الامارة ، فرأى رجلا صعد المنبر فأنصت الناس وهم يتهامسون قائلين : « هذا هو الخليفة ، اسمعوا خطبته » • فنظر صالح الى أبي العباس ، فرأى رجلا طويل القامة أبيض اللون متجعد الشعر أقنى الأنف حسن الوجه واللحية • ثم رأى رجلا أكبر منه سنا صعد المنبر في أثره ، ولكنه قام دونه ، فعلم انه داود بن علي • ثم أطل أبو العباس على الناس والتأثر باد في وجهه ، وخطبهم فقال :

« الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا فأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والذابين عنه والناصرين له . فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله وعليه وسلم وقرابته ، وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ، وجعله من أنفسنا ، عزيزا عليه ما عنتنا ، حريصا علينا ، بالمؤمنين رؤوفا رحيما • ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم ، فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) • وقال تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) • وقال (: وأنذر عشيرتك الأقربين) • وقال : (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربي واليتامى) • فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا ، تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم

« زعمت الشامية الضلال أن غيرنا أحق بالرسالة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم • ولم أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأظهر بنا الحق ودحض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ورفع بنا الخسيسة ، وأتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة فى دنياهم ، واخوانا على سرر متقابلين فى آخرتهم

« فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله اليه وقام بالأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم ، حووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ، ووضعوها موضعها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا خماصا منها

« ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانتبذوها وتداولوها ، فجاروا فيها

واستأثروا بها ، وظلموا أهلها بما ملأ الله لهم حينا ، حتى آسفوه . فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا أمتنا ، وولى نصره القيام بأمرنا ، ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا

« وانى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله

« يا أهل الكوفة ، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا . وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح »

ولما بلغ أبو العباس الى هنا ، غلب عليه الضعف واشتد به الوعك ، فجلس على المنبر . وقام عمه داود فأتم الخطبة عنه بنحو هذا المعنى ، وطعن فى بنى أمية وسوء سيرتهم ، وامتدح أهل خراسان لأنهم نصروا الحق . ثم نزل أبو العباس وعمه عن المنبر ، وذهبا الى دار الامارة . وظل أبو جعفر المنصور فى المسجد يأخذ البيعة على الناس . فلم يزل يأخذها حتى صلى بهم العصر ثم المغرب . وجن الليل ، فدخل وصالح منزو يتأمل فيما جرى بين يديه وهو يكاد يتميز غيظا لحبوط مسعاه فى أبطال البيعة العباسية ، ولكنه توسم الفرج من جهة أخرى فانه رأى فى أبى العباس ضعفا لا يأذن ببقائه طويلا ، وتحقق أنه اذا مات فالخليفة بعده صاحبه أبو جعفر ، لأنه أرشد اخوته ، ولأنه تولى أخذ البيعة على الناس

⊏⊐

خرج صالح من المسجد منقبض الصدر ، فذهب الى جلنار وأخبرها بما رأى ، وأن الأمر استتب لبنى العباس ولا حيلة فى ذلك، ولما بكت قال لها : « اننا لا يهمنا قيام هذه الدولة أو سقوطها ، وانما يهمنا أن نقتل ذلك الرجل ، وما سعينا فى افساد أمرها الا لافساد أمره ، فاذا لم يتيسر لنا ذلك من هذا السبيل فان لنا سبلا أخرى ! »

فسكتت وتنهدت ، وفى نفسها سر تحرص على كتمانه وتخجل من اظهاره حتى لريحانة لما فيه من دليل على ضعفها . فانها كانت رغم كل ما أصابها من أبى مسلم لا تزال تشعر بالميل اليه ، واذا تذكرته أحست بشىء يحسنه فى عينيها . وكان مر الزمان أذهب ما فى نفسها من الحقد عليه ، ولكنه لم يذهب ما فى قلبها من الانعطاف اليه . فكانت تشعر بذلك الانعطاف وتغالط نفسها مجاراة لتيار الغضب الذى دفعها الى الانتقام ، وكان صالح يحرضها

على الثبات ويحبب اليها الأخذ بالثأر • فلما طال جهاده وتوالى الفشل ، أخذت نقمتها تتقلص وتصغر ، وحبها ينجلي ويظهر ، ولاسيما بعد ما قاله لها ابراهيم اليهودى • فلما جاءها صالح بنبأ استتباب الأمر للعباسيين ، أحست بانقشاع سحابة الحقد عن قلبها ، وتجلت لها صورة أبى مسلم كما كانت على عهد شغفها به ، فخيل اليهـا انه لم يفعل ما فعله الا جريا على سياسته في نصرة العباسيين وليس كرها لهـا ، فلعله وقد تم له ما أراده من تأييد دولتهم أن يصغى لنداء قلبه أو يشفق على انكسار قلبها • ولهوى النفوس سريرة لا تعلم

وكان رأيها قد ضعف في قدرة صالح على الانتقام من أبى مسلم ، لكنها أظهرت الارتياح لوعده بذلك وقالت : «وأى طريق تتوقع أن يبلغنا ما نسعى اليه من الانتقام ؟ »

قال : « تمهلى يا مولاتي وعلى تدبير ذلك ، فاصبرى قليلا أيضا والله مع الصابرين »•فسكتت وأطرقت وتنهدت ، فشعر بأنها تضمر شيئا•وخاف أن يكون الفشل قد أضعف عزمها ، وهو يحتاج اليها فى تنفيذ ما اعتزمه من قتل أبى مسلم ، فقال لها : « يلوح لى يا مولاتى أن حبوط سعينا هـذه المرة قد أثر فى عزمك ، فلا تيأسي من الفوز ، وأنا عبدك ورهين اشارتك . أبذل نفسى فى سبيلك • وأنت تعلمين أننى تركت العـالم وانقطعت الى خدمتك ، وعاديت شر الناس وأدهاهم لارضائك • ولا ريب فى أنه قد علم بسعينا وعرف مقاصدنا من خازنه اليهودى ، فاذا رجعنا عن عزمنا فهو لن يرجع عن الفتك بنا ، ولو علمت أنه يكتفى بقتلى ويستبقيك لهان الأمر ، لأنى أحب اللحاق بأبيك رحمه الله »•قال ذلك وأجهش بالبكاء،فأوهم جلنار أنه متفان فى خدمتها ، وذكرها بمقتل أبيها فحرك عواطفها • فندمت على ما مر بذهنها من الميل الى مسالمة أبى مسلم أو استعطافه ، ولاسيما بعدما سمعته من تلميح صالح الى أن اطلاع أبى مسلم على أمرهم انما كان بسبب غفلتها ، فلم تر بدا من مسـايرة صالح ، فأنكرت ما توهمه فيها من ضعف العزيمة ، وأكدت له أنها باقية على قصدها ، وأنهـا لا يمكن أن تتنازل عن الانتقام • ولكن يشق عليها ما يكابده هو من العذاب فى سبيل ذلك

□

قضت جلنار فى دير العـذارى زمنا ، وصالح يتردد اليها بالأخبار • وأهمها فى تلك السنة انهزام مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية • وكان قد جاء بجيشه لمحـاربة العباسيين فى العـراق ، فغلبوه في بلد يقال له « الزاب » ففر الى مصر وقتل ببلدة بوصير • ثم جاءها بعد أيام بخبر قتل

من بقوا من بني أمية ٠ وذلك أن أبا سلمة أغرى شاعرا باسماع أبي العباس السفاح بيتا من الشعر ، حرضه فيه على قتلهم مرة واحدة ، وكان عددهم نحو [illegible] ذلك بعد أن أمنهم وأذن لهم فى شهود مجلسه ، ففيما هم [illegible] مطمئنين ، أمر فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، فأكل عليها وهو يسمع أنينهم حتى ماتوا جميعا ! »

فلما سمعت جلنار ذلك قطعت كلام صالح، وصاحت قائلة : «أعوذ بالله! يغدرون بأضيافهم ثم يأكلون الطعام فوق جثثهم وهم يسمعون أنينهم ؟ »

فقال : « هذا ما حدث ، فهل يركن الى مثل هؤلاء أو يرجى عفوهم ؟ »

ثم جاءها صالح بعد قليل بخبر قتلهم أبا سلمة ، فعظم مصابه عندها ٠ لأنه كان يحبها ويكرمها، فسألت صالحا عن سبب قتله فقال : « وهل تجهلين السبب ؟ ٠ ان القوم شكوا فيه فقتلوه؛ ونسوا ما بذله من الأموال فى سبيل نصرتهم »

فقالت : « أنى لم أسمع بمثل هذا البطش والفتك ، ولا أظن بني أمية كانوا أشد فتكا من هؤلاء ٠ وكيف قتلوه ؟ »

قال : « علمت أنهم اتهموه في اخلاصه لهم ، وكان قد بايع أبا العباس ، وجعله هذا وزيره حتى ابتز بقية أمواله٠ ثم كتب الى أبي مسلم فى خراسان يستشيره فى أمره . فأشار بقتله وأرسل رجلا من عنده قتله سرا، وأشاعوا أن بعض الخوارج قتلوه ، فصدق أهل الكوفة ذلك »

قالت : «قبحهم الله ما أقسى قلوبهم ، ان أبا سلمة رجل ليس فيهم مثله»

فقطع صالح كلامها وقال : « وأغرب من ذلك قتلهم سليمان بن كثير ، مع أنه لم ينو الغدر بالعباسيين قط ! » ٠ فأجفلت وقالت : « قتلوه أيضا ؟ وكيف كان ذلك ؟ »

قال : « لما قتلوا أبا سلمة ، اتفق أن ابن كثير قال كلمة نقلها بعضهم الى أبي مسلم ، فقتله على تلك الشبهة ! »



خلافة المنصور

أيقن صالح ان جلنار ثابتة على عزمها ، فاخذ فى تدبير الوسيلة للفتك بأبى مسلم أسوة بما فعلوه بأبى سلمة . وأخذ يترقب الفرص لذلك ؛ فلما مات أبو العباس السفاح سنة ١٣٦ هـ وأفضت الخلافة الى أخيه المنصور ، ذهب الى جلنار وامارات السرور بادية فى وجهه ، وكانت جلنار تنتظر مجيئه بفارغ الصبر ، فلما رات سروره استبشرت وابتدرته قائلة : « هل من جديد ؟ » . فقال : « لقددنا وقت النجاح ؛ اذ مات ابوالعباس، وخلفه المنصور، وكنت قد بشرته بالخلافة منذ بضعة أعوام . فأرجو أن يكون نيل المرام على يده . ولاسيما ان فى نفسه حزازات على أبى مسلم من قبل »

فقالت : « وأى حزازات فى نفسه ، وابو مسلم هو الذى مهد الخلافة للعباسيين . ولو اراد تحويلها الى سواهم لما لقى معارضا ؟ »

فاستغرب صالح تصدى جلنار للدفاع عن أبى مسلم ، وفاته ان الحب اذا تأصل فى قلب الكريم ، لم تنزعه الكوارث ولكنها قد تضغط عليه فتخفيه ، فاذا أزيحت عنه عاد أقوى مما كان . على انه تجاهل وقال : « لايخفى على مولاتى الدهقانة أن طلاب السيادة هذا شأنهم ، فانهم لاينفكون يتناحرون ويتحاسدون ويتخاصمون . فأرى الآن ان أذهب الى المنصور فهو لاشك سيرحب بى ويستبقينى عنده ، وأنا أحب البقاء هناك للسعى فى أمرنا ، فهل تبقيان هنا ؟ أم تذهبان معى الى الانبار مقر الخلافة الآن ؟ »

فقالت جلنار : « كيف نبقى هنا وانت بعيد عنا ؟ أرى أن ننتقل الى الانبار نقيم ببعض بيوتها ، ولاخوف علينا فان الناس نسوا أمرنا وكفانا سجنا هنا »

وبدا الفرح فى وجه ريحانة ، لأنها كانت قد ملت الانزواء فى الدير ، ثم قال صالح : « أرى أن اذهب وحدى أولا ، ثم اعود اليكما فنذهب معا » . فوافقته على ذلك . وقالت : « اذا أبطأت علينا ، فاننا نلحق بك ونبحث عنك فى بلاط الخليفة » . قال : « حسنا » . وخرج يتأهب لمقابلة المنصور فصبغ لحيته وبدل ثيابه ، فعاد الى هيئته التى قابله بها فى الحميمة منذ بضع سنوات ، وزاد على ذلك انه غطى عينيه بعصابة ، مبالغة فى التنكر ، لعلمه ان فى دار المنصور أناسا يعرفونه ولا سيما خالد بن برمك

وفيما كان المنصور جالسا ذات يوم فى داره بالانبار ، دخل عليه حاجبه

الربيع ، وانبـأه بأن رجلا مكفوف البصر يطلب المثول بين يديه على انفراد . فأشار المنصور الى من فى حضرته من القواد فخرجوا وأذن بدخوله ، فدخل مطرقا يتوكأ على عصاه ، وقد غطى عينيه بعصابة وتظاهر بالضعف . فلما أقبل على الخليفة سلم وقال : « أشكر الله الذى أرانى صاحب القباء الاصفر على كرسى الخلافة وان كنت أرمد »

فعرفه المنصور ، فوقف له وأخذ بيده حتى أجلسه على وسادة بين يديه وهو يقول : « مرحبـا بالصـديق القديم ، انى ما برحت افكر فيك وأتمنى قدومك ، فاطلب ما تريد »

قال : « لا اريد يا أمير المؤمنين سـوى تأييد دولتك وطول بقـائك ، وقد اخبرتك يوم التقينا فى الحميمة أنى سآتيك على غير انتظار ، فها قد جئتك »

فقطع المنصور كلامه قائلا : « وما الذى اصاب بصرك ؟ »

قال : « لا ادرى ما اصـابه ، ولعله عقـاب لى على انى لم اقم بالمهمة التى جئتكم بها هناك فى الوقت المناسب ، فقتل الامام ابراهيم . ولكننى لم اتعمد ذلك ، وعلى كـل حال لست فى حاجة الى البصر لولا رغبتى فى رؤية امير المؤمنين »

قال : « أدعو لك طبيبا يصف لك دواء ؟ »

قال : « كلا ، فاننا معشر الزهاد لانستعين على الامراض بالعقـاقير ، وانما ندفعها بالادعية »

فقال المنصور : « عسى أن يكون قدومك للاقامة عندنا هذه المرة »

قال : « لقد دعيت لأكون فى خدمتك الى أن تستغنى عنى أو اموت ، فانى لا ارجو البقاء طويلا . ومثلى لايليق بمعاشرة الخلفاء أومخاطبتهم ، ولكننى علمت بما يحيق بدولتك من الاخطار لكثرة أعدائك وحسادك ، فأحببت أن يكون لى يد فى تأييدها على عجزى وقصر باعى »

فقال المنصـور : « بل أنت صاحب الفضل الاكبر ، لأنك بشرتنى بالخلافة وانت لم تعرفنى . فأحب أن تكون عندى الآن ، واذا شئت جعلتـك رئيس المنجمين »

فقال : « لا ارانى أهلا لهذا المنصب ولا أملك ان اسمى نفسى منجما ، لانى لا احمـل ادوات التنجيم . وانما انطق بما يلقيـه الى الهاتف او يلهمنيه الله . ولقد كنت أستعين بالنجوم قبل أن يذهب بصرى ، فاذا اردتنى فى خدمتك ، فضعنى فى حجرة من حجرات دارك أو فى مكان آخر لايرانى فيه احد ، لانى لا ارى أحدا »

فقال : « بل تقيم بدارى لتكون قريبا منى » . وصفق فجاء حاجبه الربيع فامره ان يأخذ الزاهد الى حجرة منعزلة فى داره وأن يقوموا على خدمتـه ، ففعل

ولما خلا المنصور الى نفسه ، عاد الى دهائه وذكائه وشدة حذره وسوء ظنه . فرأى اقامة الزاهد الغريب بداره لا تخلو من مخاطرة ، وأراد أن يختبر كرامته وولايته لئلا يكون دسيسة من اعدائه ، فأرسل الى خالد بن برمك وكان موضع ثقته ، فأخبره بأمر الرجل وانه يؤثره على سائر المنجمين ، ويود أن يستعين به عند الحاجة ، ثم قال له : « ولكنني أخاف أن يخدعني فادخل عليه وامتحنه ، وأبق الأمر سرا بيننا »

▭

قصد خالد الى حجرة الزاهد فدخلها ، وظل المنصور والربيع بالباب بحيث يسمعان . فلما سمع صالح وقع الاقدام ، تظاهر بالتفكير ، حتى دخل خالد وألقى عليه السلام ، فعرفه من صوته فأجابه بقوله : « وعليك السلام يا ابن برمك . انك خير الوزراء لخير الخلفاء »

فبغت خالد لمعرفته باسمه ، وسر لتلقيبه اياه بالوزير ، فالتفت الى المنصور ، فرآه يشير اليه أن يغالطه . فقال خالد : « وما ذنبي عندك حتى جعلت أبي مجوسيا ؟ أما كان السكوت أجدر بك اذا كنت لم تعرفني »

فضحك صالح وقال : « وما ذنبي انا اذا كنت خالدا ، وقد ولدك برمك المجوسي ؟ على ان مجيئك من صلب رجل غير مسلم لايمنع فضلك . واذا كنت تختبرني ، فاسأل أجبك بما لايدع عندك شكا فى اخلاصى »

فأعجب خالد بالجواب ، وسره وجود مثل هذا الرجل فى بلاط الخليفة . وكان ميالا الى الاعتراف بمهارته لأنه تنبأ بوزارته ، ولكنه خاف ان طلب اليه قراءة ما فى ضميره أن يصرح بأمور لايرضاها المنصور ، والفرس لا تخلو أفكارهم يومئذ من شيء على آل العباس . فأجل ذلك حتى يخلو اليه . واشار المنصور بالانصراف ، فرجعا وقد رسخ فى ذهنيهما صدق الزاهد ، وامر المنصور الربيع بألا يأذن لأحد بالدخول عليه . فظل صالح وحده ، وقد سره أن يكون الممتحن خالد بن برمك لأنه مطلع على كثير من أحواله ويعرف صوته منذ رآه فى منزل دهقان مرو قبل بضع سنين !

ولما سمع خالد وصية الخليفة للربيع بمنع الناس من مقابلة الزاهد استأذن فى مقابلته صباح الغد ، ليسأله فى أشياء تهمه ، فاذن له الخليفة فى ذلك

وبكر خالد فى الصباح بالذهاب الى صالح ، فرحب به هذا وبشره ومناه استجلابا لرضاه . فجلس خالد بين يديه وقال : « لقد جئت اليك فى امر يهمني الاطلاع عليه ، فاذا كشفته فرجت كربة كثيرين »

قال : « قل لعلي أستطيع ذلك باذن الله »

قال : « لي صديق وقع فى مشكلة لا دخل لها بالسياسة أو الحرب ، وانما

تتعلق بشخصه وشخص آخر يحبه . وقد اضاع ذلك الحبيب ، وهو يريد أن يعرف مكانه »

فمد صالح يده حتى قبض على يد خالد ، وقال : « صرح اواعطني أثرا من آثار الضائع فاعرفه »

قال : « لا سبيل لى الى اثر من آثاره . . ولكنني أزيدك تصريحا ، اتعرف أبا مسلم الخراسانى ؟ »

فقال : « ومن لايعرف صديقك أبا مسلم ؟ »

فقطع خالد كلامه قائلا : « لاتقل صديقك ، لأن الخليفة متغير عليه وقد اتهمه ، ولا أحب أن تكون لى يد فى هذه التهمة . ولذلك قلت لك انه سؤال لاعلاقة له بالسياسة ولا بالحرب . فان مسألة أبى مسلم تتعلق بفتاة احبته ولم يحبها فأساء اليها ، ثم ندم فأحب أن يسترضيها فلم يقف لها على اثر ، وما زال يبحث عنها ، فهل تعرف مكانها ؟ »

فلما سمع كلامه تذكر ما قالته جلنار عن ابراهيم الخازن ، فعلم انه انما جاء للبحث عنها ، وتذكر ما لحظه من انتعاش آمالها وتحرك قلبها . وأيقن ان أبا مسلم ينوى قتله وأخذ جلنار منه ، فقال فى نفسه : « لقد آن وقت العمل » . وكان ما زال قابضا بيده على يدخالد ، فاطرق كأنه يفكر ثم رفع راسه وقال : « مسكينة جلنار ! . كم أحبت هذا الخراسانى وخدمته ، وكم أساء اليها وعذبها ، فما الذى غيره ؟ »

فدهش خالد لذكره اسم الفتاة وخلاصة قصتها ، وقال : « انا الذى غيرته ، لانى كنت عالما بحبها له وتفانيها فى خدمته حتى قتلت زوجها لأجله ، ثم اتهم أبو مسلم اباها بالخيانة وقتله ، وجاءت لتعاتبه فأهانها وسجنها ، ولم اكن حاضرا حينذاك ، فلما كان اليوم التالى توسمت فيه ندما على ما فرط منه على غير عادته ، فأخذت فى تأنيبه وحببت اليه التزوج بها ، فرضى وبعث يستقدمها من السجن ، ولكننا لم نقف لها على اثر . وكنت شديد الرغبة فى الوقوف على خبرها لاعتقادى بأنها مظلومة ، فحسنت لأبى مسلم البحث عنها فى الاطراف البعيدة ، ففعل . وقد اخبره جاسوس له بأنه عثر عليها فى الكوفة بمنزل ابى سلمة ، واوشك أن يظفر بها ولكنها ما لبثت أن اختفت مرة أخرى . فغضب عليه أبو مسلم وارجعه للبحث عنها . وقد جاءنى منذ بضعة أيام واخبرنى انه لم يعثر عليها . فهل تستطيع انت أن تعرف مكانها ؟ »

وكان خالد يتكلم وصالح يتابعه فى الحديث كأنه مطلع على القصة ، فاذا توقف خالد اعانه بكلمة مما يعلمه ، وخالد لايستغرب ذلك لما سبق الى ذهنه من براعته فى التنجيم

وادرك صالح من سياق الحديث انهم لم يعلموا ببقائه حيا ، فقال فى نفسه : « لابد أن ابراهيم الخازن لم يطلعهم على ذلك خشية أن يتهمه أبو مسلم

بالاهمال » . وسره أن يكون عدوه ابراهيم على مقربة منه ، وربما كان فى بلاط الخليفة ، فأحب ان يتحقق ذلك فقال : « انها سالمة على قيد الحياة ، ولا يصعب على معرفة مكانها ، انما يحتاج ذلك الى بعض الوقت . ويلوح لى انها ليست فى مكان بعيد من هنا ، ألم تسأل المنجمين عن ذلك ؟ »

قال : « سألت كثيرين ، فاختلفوا وتناقضت أقوالهم ، وليس فيهم من ينفع مع رغبة أمير المؤمنين فى الاستكثار منهم للاستعانة بهم . ولم أجد بينهم أحدا مثلك »

فقال : « ان أكثر منجمى هذا الزمان ينتحلون الصناعة لابتزاز الاموال ، وانما هى موهبة يختص الله بها من يشاء من عباده ، وقلما يستطيعها أحد بالاجتهاد . على ان بعضهم يتخذها وسيلة لغرض خاص كما يفعل المنجم حاييم ! »

فضحك خالد لمعرفة صالح بذلك الاسم الجديد ، وقال : « مسكين حاييم ، اين هو من التنجيم . ومع ذلك فهو منخرط فى جلة منجمى الخليفة يأخذ من أعطياتهم »

فعلم صالح ان صاحبه بين منجمى المنصور ، فسكت وتزحزح من مكانه ، فأدرك خالد أنه قد آن وقت انصرافه فنهض وودعه وأوصاه بأن يكتم مادار بينهما ، فوعده بذلك وبأنه سيخبره بمكان جلنار بعد بضعة أيام . فخرج خالد وقد تولته الدهشة ، اذ لم يكن يظن ان مثل هذا الرجل يوجد على وجه الارض . فذهب توا الى داره ، وبعث الى ابراهيم اليهودى . فلما جاء سأله : « هل وجدت الفتاة ؟ » . فقال : « كلا »

فقال : « أما أنا فقد وجدت منجما يستطيع معرفة مكانها »

فقال : « ومن هو ؟ أريد ان أراه »

قال : « لاسبيل لأحد اليه ، فان أمير المؤمنين لايأذن فى الدخول عليه . وقد رأيته أنا فوجدت منه مهارة غريبة . ولم أكد أسأله عن الفتاة حتى قص علي خبرها ، وعرف مساعيك وانك انتحلت صناعة التنجيم لهذه الغاية ، وان أسمك المنجم حاييم ونحو ذلك مما أدهشنى . وكنت أود أن تلقاه لولا ما ذكرته لك من حظر الخليفة مقابلته »

وكان ابراهيم يسمع كلام خالد وهو يفكر فيمن عساه أن يكون هذا المنجم ، فلما سمع ما قصه عليه من معجزاته تبادر الى ذهنه انه منجم كاذب مثله ، ثم رجح أن يكون هو الضحاك ، ولاسيما بعد أن تحقق بقاءه حيا فى الكوفة حين التقيا بباب ابى سلمة . فسأل خالدا عن شكل الرجل ولباسه فاخبره ان على عينيه عصابة وان لحيته مخناة ، فسأله عن قامته فقال : « لم أره واقفا ، ولعله طويل » . فلم يشك ابراهيم فى انه هو الضحاك . ولكنه تجاهل وبقى صامتا ، وقد عزم على الحذر . فصرفه خالد وعاد وهو عالق الذهن

بذلك الزاهد . وأحب أن يلقاه ثانيـة ، فبكر اليه فى الغـد وأخبره بأنه لقى حاييم ، وأطنب له فيما تبينه من مهارته . فاستاء صالح من ذلك مخافة أن يفطن ابراهيم الى حقيقة أمره . على أنه كتم استياءه وأثنى على خالد ، وعمد الى اجتذاب قلبه اليه كما اجتذب قلب المنصور قبله بتبشيره بما تتوق اليه نفسه . وكان خالد طامعا فى الوزارة وهو أولى حاشية الخليفة بها ، فقال له صالح : « ان الله سيكافئك على سعيك فى التوفيق بين هـذين المحبين بأكبر منصب تطمح اليه الابصار بعد الخلافة »

فأدرك خالد انه يبشره بالوزارة ، فانشرح صدره . ولكنه تذكر ما يحول دون ذلك من تغير المنصور على أبى مسلم ، وخاف أن ينقم المنصور عليـه أيضا ؛ ثم أراد أن يستفتى الزاهد فى ذلك فقال له : احب أن أستفتيك فى مسألة أخرى أقلقتنى ؛ وأرجو أن يكون ذلك سرا بينى وبينك »

قال : « قل ولا تخف »

فقص عليه سبب غضب المنصـور على أبى مسلم ، وانه أصـبح يخشاه وينوى القبض عليه . وأطلعه على تفاصيل لم يكن يعرفها ثم سـأله : « هل تظن ان المنصور سيعمم نقمته فتشمل جميع رفاق أبى مسلم ؟ »

فأطرق صالح مفكرا ، ثم قال : « كلا ، فان المنصور لم يتغير على أبى مسلم الا لأنه طمع فى الأمر لنفسـه ؛ وهب انه نقم على سائر الخراسانيين فانه لاينقم عليك »

فاطمأن قلبه وخرج مسرعا مخافة أن يأتى المنصور فيراه هناك



مصرع أبي مسلم

ولبث صالح ينتظر قدوم المنصور فما عتم أن جاءه وحده ، ودخل عليه خلسة حتى دنا منه وقبض على يده ، فعلم أنه لا يجسر احد على ذلك غير الخليفة . وكان قد سمع صوته قبيل ذلك بجوار حجرته ، فابتدره قائلا : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله »

فقال : « وعليك السلام ، كيف حالك ؟ »

قال : « أراني في نعيم والحمد لله على صدق فراستى ، ويسرني أن أرى أمور المسلمين في يد أمير المؤمنين أيده الله . فهل تذكر عبارة قلتها لك يوم البشرى ؟ »

قال : « أذكر كلامك كله ولم انس منه حرفا ، اظنك تعنى الظلمة التى تحدق بخلافتى »

قال : « نعم ، هذا ما اعنيه . وقد عرفته قبل وقوعه ، وأظنه وقع فلماذا تكتمه عني ؟ »

قال : « لم أكتمه ، وقد جئت الآن في شأنه . ولكن ما هي الظلمة التي تعنيها ؟ »

قال : « أتمتحنني يا أبا جعفر ؟ ان الظلمة التي اعنيها هي مطامع الناس في خلافتك ، وبعضهم في الحجاز والبعض الآخر في خراسان . وآخرون في هذه المدينة بل في قصرك يؤاكلونك ويشاربونك »

فجاء كلام صالح مطابقا لما في نفس المنصور ، لأنه كان يخاف العلويين في الحجاز بعد أن بايعهم على أن تكون الخلافة بعد بني أمية لمحمد بن عبد الله الحسني ثم حصر الخلافة في بني العباس . وكذلك كان يخاف أبا مسلم في خراسان لأنه قادر على نقل الخلافة والناس يطيعونه . كما كان يخاف بعض أعمامه وأبناء عمه ممن يقيمون معه . فلما سمع كلام صالح ازداد أيمانا بمهارته ، فقال : « صدقت ، اني اخاف على الخلافة من كل هؤلاء »

قال : « ليس أدعى للخوف من ذلك الخراساني الفتاك »

قال : « أتعني أبا مسلم ؟ »

قال : « اياه أعنى .. فان نجمه في أسمى المطالع ، ولو انه استنهض الحجارة لنهضت معه ، ولو حارب الأبالسة لغلبهم . هذا الذى يخشى بأسه ، ولكنني أرى نجمك أسمى من نجمه وسعدك أبقى من سعده ! »

فقال المنصور : « لا أخفي عليك ما فى نفسي من هذا الخراساني ، فقد كنت اخشاه أيام اخي السفاح فاشرت عليه بأن يحبسه فلم يطعنى ، فلما أفضت الخلافة الى رأيت منه انحرافا ، وعلمت عنه أمورا اغضبتني فاستخدمته فى محاربة عمي عبد الله الطامع فى الخلافة ، وضربت أحدهما بالآخر فمن قتل منهما نجاني الله منه ، ففر عمي وفاز أبو مسلم بما كان فى معسكره من الغنائم . فبعثت اليه أطلب الغنائم فغضب ، وعلمت أنه شتمني . فلما رأيت هذه الجراة ، خفت اذا سار الى خراسان أن يعصاني . فبعثت اليه وهو فى الجزيرة انى وليته الشام ومصر ، وطلبت اليه أن يأتيني فأجابني بما يدل على خوفه مني ، اذ كتب الى يقول : (لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدو الا مكنه الله منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة ، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة . فان ارضاك ذلك فانا كأحسن عبيدك ، وان أبيت الا أن تعطى نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضنا بنفسي)

« فكتبت اليه ذاكرا له انه مخطيء ، فاصر على الامتناع ومضى الى حلوان وجاءني منه كتاب جمع بين الاحتجاج والاعتذار ، قال فيه : (أما بعد ، فاني اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه . وكان فى محلة العلم نازلا ، وفى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا ، فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن موضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه ، فكان كالذى دلاني بغرور ، وامرني ان أجرد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المعذرة ، ولا أقيل العثرة . ففعلت توطئة لسلطانكم ، حتى عرفكم الله من كان يجهلكم . ثم استنقذني الله بالتوبة ، فان يعف عني فقد فعل ما عرف به ونسب اليه ، وان يعاقبني فبما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد) . فأشكل على أمر هذا الكتاب ، وجمعت المنجمين منذ بضعة أيام لاستطلاع ما فى نفس الرجل ، فأحسنوا الثناء عليه وقالوا : (انه تاب عما كان فيه ، واذا احسنت الظن به وقربته نفعك) . فأمسيت فى حيرة من الأمر لا أدرى أصدق هؤلاء ؟ أم أبقى على عزمي فى القبض عليه ؟ وكنت وأنا فى حيرتي هذه أفكر فيك واطلب الى الله أن يرسلك الى لعلك تطلعني على الصواب »

وكان صالح يسمع كلام المنصور وهو جالس الأربعاء ، متكيء بكوعيه على فخذيه ووجهه الى الارض كأنه ينظر فيها . فلما فرغ المنصور من كلامه ، رفع صالح راسه وقال : « لا تصدق من يقول ان الرجل تاب وان استبقاءه ينفعك ؟ . ان صوت قلبك يا أمير المؤمنين أصدق من تكهن المنجمين . ولا سيما اذا كان فيهم منجم يهودى اسمه حاييم »

فاستغرب المنصور معرفته ذلك الرجل وقال : « قد لحظت من حاييم

هذا رغبة شديدة فى تبرئة أبى مسلم واثبات حسن نيته »
فقال : « لأنه صنيعته وهو عين له عليك »

فدهش المنصور لصحة كل ما قاله الزاهد ، وكأن الغيب كتاب مفتوح بين يديه يقرأ منه ما شاء . وكان المنصور قد اساء الظن باليهودى اذ لمح فيه الرياء والمكر فقال : « سينال هذا اليهودى عاقبة سعيه ، فماذا ترى أنت فى مقاصد أبى مسلم ؟ »

قال : « كما ترى انت يا أمير المؤمنين ، أن بقاءه خطر عليك وعلى دولتك . ولا تعبأ بما جاء فى كتابه من الاعتذار ، فانه يلقى التبعة على أخيك الامام رحمه الله ، أو هى حيلة يحتال بها عليك ريثما يتمكن منك فيخرج عليك وتندم حيث لا ينفع الندم . وكأننى فهمت من كلامك انك اذا قبضت على أبى مسلم تنوى الاكتفاء بحبسه . وقد قلت لك ان بقاءه خطر عليك وعلى دولتك لأن الرجل لا تقصر مطامعه على ولاية خراسان بل هو طامع فى الخلافة »

فضحك المنصور مستخفا وقال : « لا أظنه يبلغ به الجنون الى هذا الحد ، لعلمه أن نسبه اقصر من أن يتطاول الى هذا المقام ، وهو مولى أعجمى والخلافة لا تكون فى غير قريش »

قال : « اتوسل الى مولاى أمير المؤمنين الا يكذبنى اذا قلت قولا ، لانى لا أقول شيئا من عند نفسى . فأبو مسلم طامع فى الخلافة ، ولم يغفل عن انها لا تكون الا فى قريش ، ولذلك انتحل لنفسه نسبا فيهم فزعم أنه من نسل سليط بن عبد الله بن العباس جدكم »

فلما سمع المنصور قوله وثب من مكانه وثبة الأسد ، وغلب عليه الغضب وقال : « يا للجراة والقحة ! صدقت انه طامع فى الخلافة ، فقد كتب الى يخطب عمتى وجعل اسمه فى ذلك الكتاب قبل اسمى ، فبقاؤه عثرة فى طريق دولتنا ولا بد من قتله . ولكننى يئست من استقدامه بالحسنى ، وهو مقيم بحلوان وينوى الشخوص الى خراسان »

قال : « أهديك الى وسيلة ناجعة لاستقدامه ، اكتب اليه كتابا مع رجل لين اللسان يخاطبه بلطف ويرغبه فى القدوم اليك ، ويؤكد له حسن قصدك وانك تنوى اتخاذه وزيرا لك . وتوصى رسولك اذا لم يفلح بالحسنى ، أن يهدده بأنك تحمل عليه بحلوان بعيدا عن رجاله الخراسانيين »

فقطع المنصور كلامه قائلا : « هذا الذى كنت عازما عليه »

فقال صالح : « بقى عندى رأى ، وهو أن تستكتب حاييم اليهودى كتابا الى أبى مسلم ويختمه بخاتمه ، يدعوه فيه الى المجىء ويطمئنه ويؤكد له حسن قصدك وانك تنوى تقديمه . أكتب انت ما تراه من هذا القبيل على لسان اليهودى الى أبى مسلم واجعله يختمه بخاتمه ــ وسترى اسمه على

خاتمه (ابراهيم) فلا تستغرب لأن هذا هو اسمه الحقيقى ــ ثم ابعث بهذا الكتاب مع رسول آخر يدفعه الى أبى مسلم ، على انه مرسل من صاحبه هذا . وبعد أن تهيىء هــذا التدبير ، انتقل الى بلد آخر وابق جنــدك الخراسانيين هنا ، واوص رسولك بان يأتى بأبى مسلم الى ذلك البلد . فاذا سار اليك فاسرع فى قتله ، واحذر أن تبقى عليه . وهذه وصيتى ، وليست هى من عندى وانما أقول ما يوحى به الى »

قال : « حسنا ، ولكن لا بد من ذهابك معى فقــد أصبحت لا استغنى عنك »

قال : « سمعا وطاعة وانما تأذن لى فى أن اعرج أثناء ذهابى على مكان مبارك لى فيه نذر ، ثم آتيك الى حيث شئت »

قال : « افعل ما شئت ، وما رأيك فى المكان الذى انتقل اليه »

قال : « أرى أن تنتقل الى (المدائن) لتوسطها بين البلدين . ولأنها المدينة التى غلب فيها الفرس فى أول الاسلام ، وسيغلب فيها هذا الفارسى ايضا باذن الله »

فاعجب المنصور بهذا التعليل وتفاءل به ، وقال : « سأفعل ، ومتى عدت فوافنى الى هناك » . ثم تذكر المنصور أن الزاهد مكفوف البصر ، فقال له : « الا أرسل معك من يتولى خدمتك فى الطريق ؟ » . فلم يسع صالحا الا القبول واخذ فى التأهب ، فخرج المنصور من عنده وأمر الحاجب أن يعد له فرسا ويرسل معه رجلين من الخدم يكونان معه حتى يعود

□

كان صالح ينوى الذهاب الى جلنار ليطمئنها ويحسن لها البقاء فى الدير ريثما تهدأ الأحوال ، لأنه تذكر قلقها ورغبتها فى اللحاق به اذا أبطأ عليها ، وخشى على نفســه اذا آتت الى دار الخلافة وعلم بهــا خالد أو ابراهيم ، أن يخبراها برسالة أبى مسلم

أما المنصور فكتب الكتاب الذى أشار صالح بكتابته الى أبى مسلم على لسان خازنه ابراهيم . ثم بعث الى المنجم حاييم ، فلما دخل عليه دعاه الى الجلوس فجلس وهو خائف من تلك الدعوة ــ ولا سيما بعد علمه بوجود الزاهد (صالح) فى دار الخلافة ــ فلما جلس بين يديه لحظ المنصور خوفه فقال له : « لقد دعوتك لتساعدنى فى اقناع أمير بنى العباس (أبى مسلم) بأننا لا نريد به شرا ، لأننا كاتبناه غير مرة ندعوه الينا وهو يأبى ، مع انك تعلم حسن ظننا به ، كما تعلم صدق توبته ورجوعه الى الصواب . فاكتب اليه كتابا اذكر له فيه حسن نيتنا وأن ليس له عندنا الا كل ما يحب » .

فعلم ابراهيم أن المنصور لم يكلفه بذلك الا لعلمه بصـداقة بينه وبين ابى مسلم فقال : « وما قدر كتابى بالقياس الى كتب أمير المؤمنين ؟ »

فقال : « انه نافع باذن الله » . وكان المنصور قد أمر الكاتب فاعد كتابا يرغب فيه أبا مسلم بالقدوم ويؤكد له حسن ظن الخليفة ، فدفعه الى ابراهيم وقال له : « هات خاتمك »

فارتبك ابراهيم فى أمره ولم ير مندوحة عن الطاعة ، فمد يده الى منطقته وأخرج كيسا صغيرا من جانب الدواة دفعه الى الكاتب . فأخرج الكاتب من الكيس خاتما طلاه بالمداد وختم به الكتاب ودفعه الى المنصور فقراه فاذا هو (ابراهيم) فضحك وقال : « يلوح انك ذو اسمين : اسم داخلي واسم خارجي ، لا بأس عليك ! » . وابقى المنصور ذلك الخاتم عنده ، واقام الأرصاد على ابراهيم لئلا يخرج من الانبار . وفى اليوم التالى ، ذهب الى المدائن مع جماعة من خاصته وترك بقية الجند فى الأنبار ، ولم يظهر غرضـه لأحد ، واصطحب بعض المنجمين ، ولبث ينتظر قدوم ابى مسلم ، ويود مجيء الزاهد قبله ليستعين برأيه اذا مست الحاجة

أما صالح ، فانه ركب الى دير العذارى فلما وصل اليه أبقى الخادمين مع مع الفرس خارجه ، ودخل وقد رفع العصابة عن عينيه حتى دخل على جلنار فى غرفتها ، فوجدها فى حالة يرثى لها من البكاء ، وريحانة الى جانبها تخفف عنها . ولما وقع نظرها عليه صاحت قائلة : « آه يا صالح لقد طال سجنى فى هذا الدير ونفد صبرى ، وقلبى يحدثنى بخير اذا خرجت منه ، وقد تراكمت على الأحلام على غير عادة ، وما أظن ابا مسلم باقيا كماكان ، فقد رأيته فى منامى جاثيا بين يدى يلتمس العفو ، ويبكى ويتوسل. تأمل يا صالح ، رأيت ابا مسلم الخراسانى بطل المسلمين يبكى بين يدى ، فهممت بان اقبله ، فاستيقظت وذهب خياله من امامى . ولا ازال ابكى الى الآن » . قالت ذلك وهى تشرق بدموعها

فاستغرب صالح مطابقة حلمها للواقع ، ولولا فظاظة قلبه لبكى لبكائها لأنه لم يسمع منها مثل هذا التصريح من قبل . ولم ير خيرا من تسكين ما بها بالكلام اللين وتكذيب الأحلام لتبقى فى الدير بضعة أيام أخرى ، ريثما يتم ما بدأ به من السعى لقتل أبى مسلم ، فقال لها : « ما لى أراك على غير ما أعهده فيك من التعقل والرزانة . أمن أجل حلم لامعنى له تبكين وتنتحبين وتصدقين المستحيل ؟ ومتى كانت اضغاث الأحلام ممـا يعول عليـه فى تصاريف الزمان ؟ دعى الأوهام وارجعى الى رشدك . اذا كنت تتوقعين من أبى مسلم حبا فانك تطلبين من النار ماء ، لأنه رجل لا قلب له يحب به أحدا حتى امرأته ! »

فلما سمعت كلامه ، صاحت فيه : « ألم تكن انت اول من نقل الى خبر حبه ، واسررت الى بما فى نفسه من الشغف بى ، وانه انما يمنعه من التصريح خوفه الا يكون عندى مثل ما عنده . فكيف تقول الآن انه لا قلب له يحب به وتستغرب بكائى شوقا اليه وتستبعد أن أخطر بباله ؟ قد رأيته الليلة رأى العين كأنى فى يقظة او كأن روحه ناجت روحي ، لا شك انه يحبنى . فكيف يمكن أن يبلغ منى حبه هذا المبلغ حتى أراه فى المنام كاليقظة ، واتلقى عذابه كالراحة ، وانسى سيئاته وان كثرت ؟. أأموت وأحيا بكلمة منه ويكون هو بلا قلب ولا عقل ؟ انه ان لم يلتفت الى حبا فانه قد يرق لى شفقة ! » . قالت ذلك وقد بح صوتها وخنقتها العبرات وتكسرت أهدابها واحمرت عيناها من البكاء ، فأخذت ريحانة تضمها وتقبلها وتخفف عنها ، ودموعها تتساقط تأثرا

فاعجب صالح لتفاهم القلوب ومطابقة الرؤيا للحقيقة ، وحدثته نفسه بأن يبوح لها بحب أبي مسلم لها ، وندمه على ما كان منه . ولكنه خشى أن تفسد عليه أمره ، فأمسك وقال معاتبا : « لا بأس يا مولاتى ، انى احتمل هذه الاهانة اكراما لك ولأبيك رحمه الله ، ولا أعتب عليك لأنك فتاة لم تعرفى امور الدنيا . أهذه عاقبة سعيى فى خدمتك طوال هذه الأيام ؟ »

فخجلت جلنار ، وتقدمت ريحانة تقول : « لا عتب على مولاتى فيما قالت وهى على ما تراه من التأثر ، لا أدرى ما الذى أصابها منذ ألقى اليها ذلك اليهودى تلك العبارة ، ليته مات قبل ذلك الحين »

فقال صالح : « أاذا أذنب اليهودى أعاقب أنا ؟ لقد حملت المشاق فى هذه فى هذه البرارى لأطمئن عليكما وابشركما بقرب النجاح ، فبدلا من أن تلاقيانى بالترحاب وتسألانى عما جرى تسمعاننى هذا التوبيخ ؟ ! لا بأس يا سيدتى ، هل عندكما طعام فانى لم آكل منذ أمس ؟ »

فأطرقت جلنار ، وبادرت ريحانة وأتته بما وجدته من الطعام ، فأكل وهم سكوت . وقد هدأ روع جلنار ، فندمت على ما اظهرته من الحدة ولكنها استنكفت أن تعتذر ، وشعرت بتغير قلبها واحست لسبب لا تعلمه بما ينفرها من صالح ، واصبحت اذا نظرت فى عينيه اعتراها نفور فلم تعد تستطيع المكث معه ، فنهضت الى غرفة أخرى واستلقت على الفراش من التعب والنعاس ، وظلت ريحانة مع صالح تعتذر عما فرط من سيدتها . وسألته عما جرى ، فأظهر أنه متأثر مما سمعه وقال : « سأخبرك عن ذلك فى المرة القادمة ، فانى ساع جهدى فى نفعها ولا ابالى غضبها أو رضاها ، فاسمحى لى أن انصرف الآن ، ومتى افاقت مولاتك فأهديها سلامى » . قال ذلك وخرج فأصلح عصابة عينيه وعاد الى ما كان عليه ، فوجد الخادمين فى انتظاره بالجواد ، فركب وعاد

اما المنصور فنزل فى قصره بالمدائن ، ومكث ينتظر قدوم أبى مسلم أوجوابه. وبعد بضعة أيام وصل صالح وقد سمع ما سمعه من جلنار ، وصمم على تعجيل قتل أبى مسلم جهد الطاقة لئلا يعترضه معترض ، وهو يعلم أنه اذا لم يقتله قتل هو ، اذ ليس من يعرف حقيقة حاله الا أبو مسلم وخازنه ابراهيم ، واستبطأ المنصور أبا مسلم ، فسأل صالحا عن سبب الابطاء فقال : « لا بد من قدومه ، واذا لم تنجح فيه هذه الحيلة فعندى حيلة أخرى لاشك فى نجاحها » . وكان يريد أن يزور كتابا على لسان جلنار ، ردا على كتابه اليها ، فهذا لا شك يحمله على المجىء

على انه لم يجد حاجة الى ذلك ، فبعد بضعة أيام جاء البشير بأن أبا مسلم قادم فبعث المنصور من يستقبله ويرحب به ويبلغه سلامه وشوقه. فاطمأن أبو مسلم وكان لا يزال حزينا كئيبا لارتيابه فى هذه الدعوة. فسار فى موكبه حتى أقبل على قصر المنصور ، فأذن له فى الدخول. وكان صالح عنده على وسادة فى بعض جوانب القاعة ، فتقدم أبو مسلم وقبل يد المنصور ، فاظهر له ارتياحه وأمره أن ينصرف ويروح عن نفسه ثلاثة أيام ويدخل الحمام ، فانصرف

وشق هذا التأجيل على صالح مخافة أن يحدث ما يمنعه من قتله ، فقال للمنصور : « أرى مولاى يماطل فيما يدعو الى المبادرة »

فقال : « تركناه ليطمئن قلبه ثم نرى »

فلما سمع قوله خاف أن يكون فى نيتـــه غير القتل ، فقال : « ثم ترى ماذا ؟ أقتل ثم اقتل ، واذا لم تقتله قتلك »

فضحك المنصور وقال : « لا تخف ، لا يلتقى فحلان فى أجة الا قتـــل أحدهما صاحبه » . فاطمأن صالح

□

مكث أبو مسلم ثلاثة أيام لم ير فى أثنائهـــا خازنه ابراهيم ، ولا خالد ابن برمك ، فقلق لغيابهما وانقطاعهما عنه وعاد الى هواجسه ، وفى اليوم الثالث جاءه رسول المنصور فصحبه ومعه بعض رجاله . وكان المنصور قد أعد خمسة من حراسه مدججين بالسلاح خبأهم خلف الرواق ، وقال لهم : « اذا صفقت فاهجموا عليه جميعا واقتلوه » . فلما وصل أبو مسلم الى الباب ترجل ودخل وحده حتى مر بالرواق الى القاعة ، وفى صدرها سرير جلس عليه المنصور ، وليس فى القاعة الا ذلك الزاهد جاثيا مطرقا . فلمـــا دخل أبو مسلم ، حيى ووقف وقد تقلد سيفه وعلى رأسه قلنسوة طويلة ، فلم يدعه المنصور الى الجلوس ، فازداد قلقه ، ثم احتال المنصور لانتزاع

سلاحه منه فقال له : « أخبرنى عن نصلين اصبتهما مع عمى عبد الله »
فمد أبو مسلم يده الى سيفه ، وقال : « هذا أحدهما »
قال : « أرنى اياه »

فأنضاه ودفعه اليه ، فوضعه المنصور تحت فراشه . ثم اقبل يعاتبه على امور كثيرة ساءته منــه ، وهو يرد ردا جميلا حتى قال المنصور : « الست الكاتب الى تبدأ بنفسك وتخطب عمتى آمنة بنت على ، وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ . قد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا »

فكانت هذه الكلمة اول ما حرك غضب ابى مسلم ، ولـكنه كظم الغيظ وظل ساكتا . فقال له المنصور : « ما الذى دعاك الى قتل سليمان بن كثير ؟ مع أثره فى دعوتنا وهو أحد فتياننا ، بل هو الذى ادخلك فى هذا الامر »

قال : « اراد الخلاف وعصانى فقتلته » . ولما طال العتاب على هــذه الصورة ، لم يعد أبو مسلم يطيق صبرا فقال : « لا يقال مثل هــذا القول لمثلى بعد بلائى ونصرتى وما كان منى »

فقال المنصور : « يا ابن الخبيثة ، والله لو كانت امة مكانك لفعلت ما فعلت، انما عملت فى دولتنا بريحنا وجاهنا ، فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا »
فأحس أبو مسلم الغدر فى عين المنصور ، ورأى نفسه وحيدا هناك ، فتقدم الى المنصور وأخذ بيده يقبلها ويعتذر . فقال المنصور : « ما رأيت كاليوم ، والله ما زدتنى الا غضبا »

فعادت الأنفة الى ابى مسلم فقال وصوته يرتجف من الغضب : « دع هذا ، لقد أصبحت ولا أخاف أحدا غير الله » . فغضب المنصور وصفق بيده ، فخرج الحراس فضرب أحدهم أبا مسلم على حمائل سيفه ، فصاح أبو مسلم : « استبقنى لعدوك يا أمير المؤمنين » . فقال : « لا ابقانى الله اذن ، أى عدو اعدى لى منك ؟ » . فصاح : « العفو العفو يا أمير المؤمنين » . ولـكن السيوف تساقطت عليه ، فخر على الارض

ونهض المنصور ليتحقق موته ، فرآه لا يزال يتخبط بدمه ويزأر كالأسد الجريح ، فحول بصره وهو يتجلد . فسمع ضوضاء فى غرفة مستطرقة الى تلك القاعة ، ثم رأى بابها دفع بقوة ودخلت منه فتاة مكشوفة الرأس محلولة الشعر سافرة الوجه يتدفق وجهها جمالا وهيبــة ، وقد هرعت ويداها ممدودتان وصاحت : « العفو يا أمير المؤمنين ، العفو عنى وعنه ، أو اقتلنى معه » . ورأى فى أثرها خادمتها تصيح مثل صياحها ؛ فلما سمع صالح الصوتين عرف انهما جلنار وريحانة ، فسقط فى يده . واستغرب قدومهما فى تلك الساعة وجد الدم فى عروقه ، ولكنه تجلد ووقف ، وأراد أن ينسل اثناء الضجة ، فاذا برجل دخل فى اثرهما وأمسك بطوقه وصاح : « أمكث

هنا يا خائن ، قد خدعت امير المؤمنين وحملته على قتل كبير قواده ، فلا تطلب الفرار ؟ »

فدهش المنصور لتلك الضوضاء ، واستغرب جراة الداخلين عليه بغير استئذان ، واراد ان ينادى الحراس ليسألهم عن ذلك ، فاستوقف انتباهه منظر تتقطع له الاكباد ، اذ راى جلنار اقبلت على ابى مسلم وهو مطروح أرضا والدم يسيل من جوانبه ، وقد توسط البساط معارضا ووجهه نحو المنصور كأنه يتوعده ، وقد انتثرت قلنسوته عن رأسه فبان شعره وتلوث بالدم . فلما رأته على تلك الحال ، صاحت : « أبا مسلم ! » . فالتفت ونظر اليها بعينين تكادان تجمدان من الاحتضار ، وقال بصوت مختنق : « سامحينى يا جلنار » . ثم ارتج عليه وأخذ يبكي بكاء الطفل فسقطت وقد اغمى عليها. فاشتغل الحضور بها ورشوها بالماء ، فلما افاقت لم يكن همها الا ان تنظر الى ابى مسلم ، فاذا به قد فارق الحياة وشخصت عيناه وجمدتا وهما متجهتان اليها والدمع لا يزال فيهما ، فرمت نفسها عليه وجعلت تتمرغ بردائه وتغمس كفيها بدمه وتمسح وجهها . ثم همت بيديه وصدره واخذت تقبل ثوبه وتستنشق ريحه وتبكي وتلطم ، حتى لم يبق فى الغرفة الا من تقطع قلبه تأثرا . فلما رأى المنصور ذلك أمر الحراس بأن يلفوا جثة ابى مسلم بالبساط ويخرجوه من القاعة ، ففعلوا وجلنار تحاول دفعهم عنه ، وخرجوا جميعا ولم يبق هناك الا جلنار وخادمتها اذ استبقاهما المنصور ليسأل عن سبب ما حدث . ثم تقدم الى الفتاة وانهضها وهو يقول لها : « ما بالك يا بنية ، ما الذى اصابك ؟ »

فانتبهت والتفتت الى ما حولها ، فلم تجد جثة ابى مسلم فقالت : « أين هو ؟ دعونى أودعه أو خذونى معه »

فقال لها المنصور : « اعلمى يا صبية ان أمير المؤمنين يكلمك »

فوقفت وتأدبت ثم التفتت تبحث عن ريحانة ، فرأتها ممسكة بثوب صالح وابراهيم قابض على طوقه وهو يحاول الفرار فصاحت فيه : « أهذا جزاء الثقة يا صالح ؟ . أياتيك كتاب ابى مسلم بالتوبة والمصالحة ، واخبرك بأن قلبى يحدثنى بذلك وأنت تخفي على حبه ، كأنك خفت أن يفلت هذا الأسد من القتل فيقتلك . وما كفاك ذلك حتى حرضت أمير المؤمنين على قتله ، وأقنعته بأنه يضمر له الشر وأن التوبة التي بعث بها اليه زائفة . وهذا كتابه الى كتبه منذ بضع سنوات يشهد بصدق توبته عن كل شىء» .

قالت ذلك وأخرجت من جيبها منديلا من الحرير الأحمر فيه كتاب من رق دفعته الى المنصور ، فتناوله وهو فى حيرة مما يشاهده ، وقد دهش لما رآه من قبض ابراهيم اليهودى على طوق الزاهد . وكان المنصور لا يزال ممسكا بيد جلنار ، فأجلسها على السرير وقعد الى جانبها وقال لابراهيم :

« ويحك ما هذه القحة ؟ كيف تهين هذا الرجل الصالح فى حضرتى ؟ »

قال : « لا تدعه صالحا يا أمير المؤمنين فانه شر خلق الله . انه شرير يستوجب القتل لأنه حرضك على قتل أبى مسلم وأنكر توبته ، وخدعك بما يظهره من التقوى والزهد وهو من اكبر أعداء امير المؤمنين »

فبهت المنصور حتى ظن نفسه فى حلم ، وقال : « دعه وأخبرنى بما تعرفه عنه »

قال : « لا اتركه حتى تأمر من يقبض عليه »

فقالت ريحانة : « أتركه فانى قابضة عليه ، ولا يتمكن من الفرار منى »

فتركه ابراهيم ووقف بين يدى الخليفة ، وقال : « ان هذا الذى يتظاهر بالزهد ويسمى نفسه تارة صالحا وطورا الضحاك وآونة الزاهد ، رجل من الخوارج الأشرار كان فى جلة رجال شيبان بقرب مرو عندما حاصرها أبو مسلم . وقد قام فى نفسه أن يساعد حزبه بالمكائد والحيل ، فالتحق بخدمة أبى هذه الفتاة وهو من دهاقين خراسان ، واحتال حتى استخدم الفتاة فى قتل أعدائه وهى تطيعه عن سذاجة وسلامة نية ، وكان قد اقنعها بأن أبا مسلم يحبها ، فلما صرح لها أبو مسلم بأن هذا لم يحدث ، وقتل أباها لممالأته القرب أعداء الدعوة ، عدت ذلك خيانة منه ، واستمعت لتحريض هذا الشرير اياها على قتله . فمضى بها فى الآفاق يترقب الفرص لبلوغ غرضه . ثم ندم ابو مسلم على جفائه ورأى هذه المسكينة مظلومة فبعثنى اليها بكتاب منه هو هذا الذى بيد امير المؤمنين ، وكلفنى أن أطوف البلاد للبحث عنها فوجدتها فى الكوفة وهممت بأن اخبرها بالأمر ، فحال هذا اللعين بيننا ، لأنه لما علم بمجيئى هرب بها الى دير خارج الكوفة ، واحتال على امير المؤمنين حتى أقام بقصره واظهر أنه يشير عليه ويطلعه على الغيب . ثم بلغه اننى أبحث عن الفتاة لأبلغها هذه الرسالة ، فكتم ذلك عنها مع انه رآها بالأمس وشكت اليه غربتها وقالت له ان نفسها تحدثها برضى حبيبها عليها . وهو ينكر ذلك مخافة ان يكون فى اطلاعها على فحوى الكتاب ما يخفف ذنب أبى مسلم عند امير المؤمنين . ولا شك عندى أن امير المؤمنين لو اطلع على هذا الكتاب قبل فتكه بهذا القائد العظيم لأبقى عليه ، اذ يتحقق توبته وتعلقه بالخلافة العباسية . وقد عرفت بوجود هذا الخارجى فى دار أمير المؤمنين منذ أمرتنى بكتابة ذلك الكتاب الذى كان سببا فى مقتل هذا الرجل . وعلمت انه ما من أحد يعرف مكان جلنار سواه ، فما زلت اترقبه حتى خرج اليها ، فأرسلت غلاما عرف مكانها وعاد الى قبل رجوعه وانا مع أمير المؤمنين فى هذه المدينة . فلما جاء أبو مسلم منذ ثلاثة أيام فرحت بمجيئه واحببت أن افاجئه بمجىء حبيبته ، فلم أجىء للسلام عليه بل أسرعت الى الدهقانة ودفعت الكتاب اليها فجاءت معى وقلبها يكاد يطير فرحا . فلما وصلنا الى القصر قيل لنا ان

ابا مسلم فى مجلس الخليفة ، فالتمسنا من قيم الدار ان يدخلنا لنقيم ريثما يفرغ من المقابلة . فادخلونا الى هذه الحجرة المستطرقة الى عنا فجلسنا ننتظر خروجه ، ثم سمعنا صوته واستغاثته وعلمنا ان المسكين يقتل ، فهجمت هذه الفتاة وهى لا تعى ولا استطعت ردها وفعلت ما رأيتموه. واذا شاء امير المؤمنين فليطلع على هذا الكتاب ليتحقق صدق قولى »

فأخفى المنصور الكتاب لئلا يكون فيه ما يثبت توبة ابى مسلم ، فيذاع انه قتل مظلوما

□

لما فرغ ابراهيم من كلامه صاحت جلنار بصالح : « ويلك يا خائن . . أنت من الخوارج وتغشنى كل هذا الزمن وانا أعدك بمنزلة أبى ؟ ». وحرقت اسنانها ، وأطرقت وهى تبكى

فقالت ريحانة وهى لا تزال ممسكة بثوب صالح : « اعلم ايها الامير ان هذا الرجل ، هو الذى سعى فى مقتل الامام ابراهيم عند مروان ، ثم جعل نفسه زاهدا فجاءكم فى الحميمة وخدعكم ولا يزال يخدعكم الى الآن . واذا كنت لا تصدق قولى ، فمره أن يزيل هذه العصابة عن عينيه فيظهر لك انه سليم البصر وهو يتظاهر بالعمى » . قالت ذلك ومدت يدها فحلت العصابة فبانت عيناه ، فأجال نظره فى الحضور وهو ثابت الجنان رابط الجاش كأنه واقف على ضفاف دجلة للنزهة !

فلما سمع المنصور ذلك انفطر قلبه على تلك الفتاة ، ولكنه لم يندم على قتل أبى مسلم . ثم التفت الى صالح فرآه واقفا لا يتكلم ولا يرتعد ولم تظهر عليه علامة الخوف ، فأراد أن يسأله عما سمعه فقال له : « ماذا تقول فيما سمعته ؟ »

قال : « كل ما قالوه صحيح »

قال : « تقول ذلك ولا تخاف غضبى ؟

قال : « وما يخيفنى من غضبك . هل تقدر على شىء شر من القتل ، وانا لا ابالى ما يصيبنى بعد ان بلغت مرامى بقتل هذا الظالم ، غير انى انصح لك بأن تقتل هذا اليهودى ايضا لأنه من أكبر المنافقين »

فقال المنصور : « اما القتل فانه قليل على ذنوبك لأنها كثيرة وكل واحد منها يستحق القتل » . ثم نظر الى جلنار فرآها مطرقة غارقة فى أحزانها ، فأراد أن يشفى غليلها فقال لها : « ان هذا الجانى لك ، فاختارى الطريقة التى تريدينها لقتله »

فرفعت بصرها الى الخليفة والدمع ملء عينيها وقالت : « هل اذا بالغت فى

عذابه يحيا حبيبى ؟ لا أبالى كيف يموت » . قالت ذلك وقد خنقتها العبرات وعاد اليها رشدها

فاعجب المنصور بتعقلها والتفت الى صالح وقال : « كل ضروب القتل قليلة على ذنبك ، ولكنى سأقتلك كما قتل الحجاج فيروز » . ودعا الحراس فأمرهم أن يشقوا القصب الفارسي ويعروا الرجل ويشدوا القصب المشقوق على بدنه ثم يسلوه قصبة قصبة فيجرحه ، ثم يصبون عليه الخل والملح حتى يموت من الألم » . فأخذوه وفعلوا به ما أمر الخليفة

فلما سمعت جلنار ذلك الوصف اقشعر بدنها ، والتفت المنصور اليهـا وقال : « وأنت يا بنية عظم الله أجرك . . لقد نفذ القدر ولا خيرة فى الواقع ، فاذا شئت أن تنزلى دار أمير المؤمنين كبعض أهله نزلت مكرمة معززة ، واذا اخترت الاقامة بمكان آخر كان لك ما تريدين »

فأثنت على فضل المنصور ، وقالت : « اذا أحب أمير المؤمنين أن يسرنى فليلحقنى بهذا » . وأشارت الى مكان أبى مسلم وعادت الى البكاء

فقال : « ان البكاء لا ينفعك ، فاذهبى الآن مع حاضنتك الى دار النساء للاستراحة »

فنهضت وأخذت تبحث عن جثة أبى مسلم فى أقصى القاعة فلم تجدها لأنهم كانوا قد لفوها بالبساط ، ثم التفتت الى المنصور ووجهها ملوث بالدم وقالت : « أوصيك بجثمانه خيرا » . وخرجت وهى تبكى وكفاها على عينيها ، وقد جمد الدم عليهما وريحانة تتبعها

أما ابراهيم فان وصية صالح بقتله أثرت فى المنصور ، فأمر بقتله سرا . وأما جلنار فقضت تلك الليلة تندب حظها وتبكى حبيبها ، واصبح أهل الدار فى اليوم التالى فلم يجدوها بينهم ولا عرفوا مكانها ؛ لأنهـا كرهت معاشرة الأحياء واختارت الاقامة بالدير الذى كانت فيه مع حاضنتها بعيدة عن الناس



بعض ما قاله الأدباء فى روايات جرجى زيدان

لا أعلم أين تذهب نفس الانسان بعد موته، ولا اين مكانها الذى ستقر فيه بعد فراق جسدها ، ولا ما هى الصلة التى تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها . فان كان صحيحا ما يقولون من ان ساكن القبور يستطيع أن يجد ما بين صخورها ورحابها منفذا يشرف منه على هذه الدار ، فيسره ما ترك وراءه فيها من ذكر جميل وثناء عاطر وسيرة صالحة ومجد باق ، فان نصيب جرجى زيدان اليوم من الهناء والغبطة بما ترك فى هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الاعمال أوفر الانصبة وأوفاها .. مات جرجى زيدان فبكاه قارىء كتبه لأنه كان يجد فيها غزارة المادة وسهولة التناول ، وبكاه قارىء رواياته لأنه كان يجد فى خيالها وجمال تصوراتها عونا على هموم الحياة وارزائها

كتب وهو المسيحى تاريخ الاسلام فى كتبه ورواياته كتابة العالم المحقق ، فاجتمع فى مجلس علمه من ابناء الامة الاسلامية ــ عربها وعجمها ــ جمع لم يجلس مثله بين يدى عالم من علماء الاسلام، ولا مؤرخ من مؤرخيه فى هذا العصر

مصطفى لطفى المنفلوطى

كتب روايات ، يكفى ذكرها اليوم ويكفى ذكرها غدا وبعد غد والى الابد ، فى أرقى الامم علما وأسماها حضارة ، حتى يكون اسم جرجى زيدان عنوان النشاط والجد ، وعنوان الادب والفضل ، وحتى يحل هذا الاسم كمنارة من المنائر التى قامت فى مصر ، وأرسلت اشعتها الى العالم العربى بل الى العالم الشرقى كله

داود بركات

روايات تاريخ الاسلام

مسلسلة حسب العصور التاريخية

١ ـ فتاة غسان

تشرح حال الاسلام من ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عادات العرب واخلاقهم فى آخر جاهليتهم واول اسلامهم

٢ ـ ارمانوسة المصرية

فيها تفصيل فتح مصر على يد عمرو بن العاص مع بسط سائر احوال العرب والاقباط والرومان فى ذلك العصر

٣ ـ عذراء قريش

تتضمن تفصيل مقتل الخليفة عثمان بن عفان وخلافة الامام على وما نجم عن ذلك من الفتنة وواقعتى الجمل وصفين

٤ ـ ١٧ رمضان

تفصل مقتل الامام على وبسط حال الخوارج وقيام الفتنة واستئثار بنى امية بالخلافة وخروجها من أهل البيت

٥ ـ غادة كربلاء

تتضمن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها من مقتل الامام الحسين وأهل بيته فى كربلاء ، ووقعة الحرة وغيرها

٦ ـ الحجاج بن يوسف

تتناول حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير الى فتحها وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان ، مع وصف مكة والمدينة

٧ ـ فتح الاندلس

تتضمن تاريخ اسبانيا قبيل الفتح الاسلامى ووصف احوالها وفتحها على يد طارق بن زياد ومقتل رودريك ملك القوط

٨ ـ شارل وعبد الرحمن

تشرح فتوح العرب فى بلاد فرنسا وما كان من تكاتف الافرنج بقيادة شارل مارتل وأسباب فشل العرب فى أوربا

٩ ـ ابو مسلم الخراسانى

تشتمل على سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية الى مقتل ابى مسلم . ويتخلل ذلك وصف عادات الخراسانيين

١٠ ـ العباسة اخت الرشيد

تشتمل على نكبة البرامكة وما يتخلل ذلك من وصف مجالس الخلفاء وملابسهم ومواكبهم ، وحضارة الدولة فى عصر الرشيد

١١ ـ الامين والمأمون

تفصل الخلاف بين الامين والمأمون ، وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد ، ودخائل السياسة بين العرب والفرس

١٢ ـ عروس فرغانة

تحوى وصف الدولة العباسية فىعصرالمعتصم بالله وقيام الفرس لارجاع دولتهم ونهوض الروم لاكتساح المملكة الاسلامية

١٣ ـ احمد بن طولون

فيها وصف جامع لمصر وبلاد النوبة وعلاقاتهما السياسية فى اواسط القرن الثالث للهجرة على زمن احمد بن طولون

١٤ ـ عبد الرحمن الناصر

تشتمل على وصف بلاد الاندلس وحضارتها فى زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموى وخروج ابنه عبد الله عليه

١٥ ـ فتاة القيروان

تتضمن ظهور دولة العبيديين أو الفاطميين فى أفريقية ومناقب المعزلدين الله وقائده جوهر، وانتزاعه مصرمنالدولة الاخشيدية

١٦ ـ صلاح الدين ومكايد الحشاشين

تتضمن انتقال مصر من الفاطميين الى الايوبيينعلى يد السلطان صلاح الدين ، مع وصف طائفة الاسماعيلية

١٧ ـ شجرة الدر

تتضمن مبايعة شجرة الدر ، وسيرة الامير ركن الدين بيبرس وحالة الخلافة العباسية وقتئذ وانتقالها من بغداد الى مصر

١٨ ـ الانقلاب العثمانى

تشرح أحوال الاحرار العثمانيين وما قاسوه فى طلب الدستور. ووصف يلدز وقصورها وحدائقها وعبد الحميد وجواسيسه

روايات لجرجي زيدان

خارجة عن سلسلة تاريخ الاسلام

لجرجي زيدان اربع روايات اخرى خارجة عن سلسلة تاريخ الاسلام المنشورة في الصفحتين السابقتين . وهي :

١ ـ استبداد المماليك

تتضمن حوادث مصر والشام في أواخر القرن الثامن عشر مع بسط عادات الأمراء والمماليك واخلاقهم ونوع حكومتهم

٢ ـ المملوك الشارد

تشمل وصف حوادث مصر وسورية وأحوالهما في النصف الأول من القرن التاسع عشر . ومن ابطالها محمد على باشا الكبير ، وابراهيم باشا ، والأمير بشير الشهابي ، وامين بك

٣ ـ اسير المتمهدى

تتناول حوادث المهدوية من أول ظهور المهدى في السودان الى سقوط الخرطوم . وحوادث الثورة العرابية من أول نشأة عرابى الى الاحتلال الانجليزى

٤ ـ جهاد المحبين

هى رواية ادبية غرامية تبين ما يقاسيه المحبون فى سبيل الحب

الرواية التاليـة

العباسة أخت الرشيد

تصدر فى ١٥ نوفمبر القادم

رسالة دار الهلال

لدار الهلال غاية تسعى إليها ، كما أن لها خطة مرسومة تسير عليها . فأما الغاية فالمساهمة فى رفع المستوى الثقافى فى مصر والأقطار العربية . وأما الخطة فالتوفيق بين قديمنا وحديثنا والجمع بين محاسن الشرق ومحاسن الغرب : فلا جمود ولا طفرة بل هو تمش وئيد فى سبيل الرقى الوطيد

ودار الهلال تؤدى واجبها بهدوء وعزيمة معاً ، مطمئنة الى ما قد أنتجت ، متطلعة الى اتقان ما تنتج — لا تداهن فريقاً ولا تتملق كبيراً — ولا تتساهل قيد شعرة فيما تعتمده حقاً وصواباً

ودار الهلال تؤمن ببقاء العمل الصالح ، واخفاق ما عداه . وهى لذلك لا تحفل بالسفاسف والصغائر ، بل ترحب بكل فكرة نزيهة وتعضد كل جهد شريف

وشعارها على الدوام الى الأمام !


اقرأ
الهلال
مجلة الجيل الجديد
فى أول كل شهر